سلسلة حياة الرسول وأهل بيته

سيرة الأئمة

علي الهادي
الحسن العسكري
المهدي المنتظر

الهادي العسكري المنتظر

بإسلوب قصصي مُيسّر

محمد رضا عباس محمد الدباغ

المستقبل

سيرة الأئمة

علي الهادي - الحسن العسكري - المهدي المنتظر عليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة حياة الرسول وأهل بيته

سيرة الأئمة

علي الهادي - الحسن العسكري - المهدي المنتظر عليهم السلام

بأسلوب قصصي ميسّر

محمد رضا عباس الدباغ

سيرة الائمة

محمد رضا الدباغ

(الهادي ، العسكري، المهدي المنتظر عج)عليهم السلام

الناشر: شكوري

المطبعة:قلم

الطبعة: الأولى - ٢٠٠٥ م

الكمية: ١٥٠٠

الشابك: ٣-٣-٩٥٩٥٣-٩٦٤

التوزيع:

مكتبة الصدر - إيران - النقال: ٩٨-٩١٢١٥١٠٤٦١

العراق-٠٩٦٤٧٨٠١٠٣١٤٥٤

الإمام الهادي

علي بن محمد بن موسى بن جعفر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

التمهيد

كان الأب يحس وكأنه متعب كثيراً، وهو لا يعلم سبباً لكل ما يشعر به ويحس، وكثيراً ما كان يسائل نفسه عن هذا الشعور، فلم يصل به التساؤل إلاَّ إلى سبب واحد، هو فعل الزمان ومرارة السنين، فيفوض أمره لمن بيده الأمر وحده، ويرجوه اللطف فيه، والرحمة إياه.

كان إحساس الأب سبباً في عدم استمراره للحديث مرة بعد أخرى، وإن كان ذلك لا يدوم طويلاً، وبينما هو في إحدى الأمسيات جالساً مع أبنائه يتسامرون كعادتهم قبل أن يلجأ كل واحد منهم إلى فراشه، خطر على بال الابن الأوسط أن يذكر أباه عن أشياء وعدهم بها ولم يؤدها لهم، فقال: كانت منك ثلاثة وعود يا أبي قلت لنا عن كل واحد منها أنك ستحدثنا عنه في حينه، ولم تحدثنا عن أي منها منذ فترة، ترى ألم يحن وقت الحديث عن واحدة منها يا أبي؟

فقال الأب: وما هي هذه الوعود يا ولدي؟

فقال الابن الأوسط: قلت لنا مرة أنك ستحدثنا عن الكفيفية التي دخل بها الاستعمار وطننا العربي عامة، والقطر العراقي خاصة، وقد فات وقت طويل، ولم تحدثنا بذلك يا أبي، هذا أولاً.

وثانياً: وعدتنا في الحديث عن القضية الفلسطينية، منذ بدايتها حتى وقتنا الحاضر هذا، ولم تتحدث عنها بالتفصيل كما وعدتنا إلى هذا اليوم.

وثالثاً: حينما حدثتنا عن الإمام الجواد عليه السلام، قلت في آخر الحديث أنك ستحدثنا عن ابنه الإمام علي الهادي عليه السلام، وكذلك لم تحدثنا عنه إلى الآن، ثم قال الابن: وقد طال انتظارنا للحديث عمَّا كنت قد وعدتنا سابقاً، ونخشىٰ أن يطول كذلك انتظارنا للحديث عن الإمام علي الهادي عليه السلام.

لقد أحس الأب، بكثير من الحرج من أبنائه وذلك لكونه لا يريد أن يكون أمامهم غير وفياً بما يعد، علماً أنه يؤمن أن احترام العهود أمرٌ يجب أن يتقيد به أي مسلم، وأن عدم الوفاء بها إضافة إلى كونه ليس من الخلق القويم، فهي صفة مذمومة لا يجب أن يراه أبناؤه موصوفاً بها، وفوق هذا وذلك فقد وردت أوامر عديدة بخصوص ذلك، أمر بها الله تعالىٰ عباده المؤمنين بقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ (سورة البقرة: الآية: ١٧٧).

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾ (سورة آل عمران: الآية: ٧٦).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ (سورة المؤمنون: الآية: ٨).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة المعارج: الآية: ٣٢).

ولكي يكون الأبناء على بينة من ذلك قال الأب:

بالنسبة للحديث عن الاستعمار والصهيونية واغتصاب فلسطين من أهلها العرب، لا أقول أن وقت الحديث عن ذلك لم يحن بعد، بل هو حان منذ أن دخل الاستعمار أرضنا العربية، وبذلك صار لزاماً على كل أب أن يحدث أبناءه عن هذا الغزو الوحشي والظالم الذي تلبس بثوب الإنسانية والحرص على تقدم الشعوب والأخذ بأيديهم من الجهل والفقر والمرض، ليرتقي بهم إلى مصافي الشعوب المتقدمة، في وقت أخفوا فيه نواياهم الحقيقية التي أقل ما تمثلت به هو نهب الخيرات، وما هبة الاستعمار للأرض الفلسطينية للصهاينة إلاَّ مثال آخر على ظلمهم ووحشيتهم وكذب ادعاءاتهم في كونهم يسعون إلى الأخذ بأيدي الشعوب نحو التقدم والرفاهية.

ثم قال الأب متابعاً حديثه: كيف لم يحن الوقت يا ولدي، وهو الواجب الذي لا ينس ولن ينس، وعلى الآباء أن يطلعوا أبناءهم دوماً على حقيقته مهما تعاقبت الأجيال، ومهما طال الزمن، وهل أوجب على الآباء من أن يعرفوا أبناءهم على أعدائهم؟ كي يحذروهم ويأخذوا أهبتهم منهم.

ثم قال الأب: ألا تعلموا أن الاسم الذي سموا أنفسهم به، هو كذبة بحدِّ ذاته حاولوا بها إيهام الشعوب وتضليلها.

فقال الابن الأكبر: أي اسم تعني به يا أبي؟

فقال الأب: لقد أطلقوا على أنفسهم اسم المستعمرين، أليس كذلك؟

فقال الابن: نعم، هم المستعمرون، ودولهم دولاً استعمارية.

فقال الأب: أتعرف ما تعني كلمة مستعمرين أو استعمارية؟ المستعمر يا ولدي هو من يعمل على الإعمار والبناء والتقدم، وهم حينما أطلقوا ذلك على أنفسهم ليوهموا الشعوب بأنهم بانين للدول التي دخلوها وليسوا فاتحين لها، لكي يمتصوا بذلك غضب الشعوب، وبناءً على هذه التسمية تكون الدول الفاتحة دولاً جاءت من أجل البناء والإعمار والعمل على تقدم الشعوب، وبذلك فهي استعمارية، هكذا كانت خدعتهم يا ولدي.

الابن الأكبر: هذا يعني أنهم ليسوا بأهل حتى لهذه التسمية يا أبي.

فقال الأب: نعم يا ولدي، هم ليسوا بأهل لها، وإنما هم أهل لأن نطلق عليهم مصاصي دماء الشعوب وناهبي خيراتها والعاملين على تخلفها.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: أما بالنسبة لفلسطين يا ولدي فهي الأرض السليبة التي وهبها الاستعمار للصهيونية لتكون دولة لليهود، والتي طرد أهلها الأصليون من أراضيهم وديارهم وشرّدوا هنا وهناك، دون وطن وبلا هوية، فهل تعتقد أن عربياً ينس يوماً أنَّ له أرضاً سلبت ووهبت لشرذمة من الناس، ما وجدت سيئة على هذه الأرض إلاَّ وكانت لهم اليد الطولى فيها.

ثم قال الأب: أتعلم يا ولدي، أنَّ هناك أراض غير أرض فلسطين قد نهبت من العرب، ووهبها الاستعمار لدول أخرى حاول من خلالها تمرير مؤامراته على الشعوب العربية.

فقال الابن الأكبر بكثير من الاستغراب: وهل هناك غير أرض فلسطين يا أبي سلبت منَّا نحن العرب؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، هناك غير فلسطين، وكل ذلك سنتحدث به يوماً بشيء من التفصيل.

فقال الابن الأكبر: ولكن يا أبي لم نسمع بغير فلسطين تذكر في الإذاعات العربية؟

فقال الأب: أما تعلم يا ولدي أن البعض لو كان بإمكانهم عدم ذكر فلسطين في وسائل إعلامهم لفعلوا؟ وهل ضياع كل ذلك إلاَّ من أمثالهم؟

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: هناك حقائق مرة يا ولدي مخزونة في الصدور، كانت قد حدثت في الماضي، وما أظن إلاَّ مثلها في طريقه للحدوث، ولكن لا، لا يمكن أن يحدث مثل ذاك، فالشعب العربي ما عاد كما كان في الماضي مغشياً على بصره وبصيرته، وأنَّ هناك من لم يزل مخلصاً وفياً، وعربياً أصيلاً، يأبىٰ الضيم ويحمل من الاستعداد للتضحية من أجل الأرض والأمة، ما لا يمكن أن يستهان به، وحوله الكثير من الشرفاء الذين استهوتهم التضحية والفداء والعزة.

الابن الأكبر: ومن تعني به يا أبي؟

الأب: أعني به كل مخلص غيور احتل مكاناً قيادياً في هذه الأمة، فهم أملها، وهم الأصلاء منها، وهم من سيأخذوا بأيدي إخوانهم نحو مستقبل مشرف تسوده سيادة العربي على أرضه وخيرات بلده، وما ضاع حق ولن يضيع ما دام واءه مطالب.

ثم قال الأب: كل ذلك يا أبنائي آليت على نفسي أن أعلمكم به، كي تكونوا على بينة من كل صغيرة وكبيرة تتعلق بوطنكم وبأمتكم، واعلموا أنَّ هذا وذاك له علاقة وثيقة بدينكم الإسلامي،

وأن كل المؤامرات والدسائس مثلما كان هدفها الأرض والخيرات فهدفها أيضاً دينكم.

نعم يا أبنائي يجب أن تعلموه جميعاً لأنكم رجال المستقبل، وعماد الأمة، وأن كل ما لم يقدر عليه جيلنا لا قدر الله فهو مسؤوليتكم، ويجب أن يكون همكم، فمن لا وفاء له لأرضه وأمته ودينه فلا يستحق أن ينتمي إليها أو يعيش في ربوعها أو يتسمىٰ باسمها.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: أما بالنسبة للحديث عن الأئمة من آل البيت النبوي الأطهار عليهم السلام، ولا أستثني منهم أحداً إن شاء الله تعالى، فهم القدوة والأسوة التي يجب أن تتعرفوا على سيرة حياتهم، لنستلهم منهم الوفاء والصدق والتضحية والإيمان، وما إبطائي في الحديث إلاَّ لأستعيد شيئاً من نشاطي، وألملم بعض عافيتي التي بعثرتها الأيام، وأضعفتها السنون دون رحمة منها.

وهنا أطرق الابن الأوسط خجلاً من نفسه باستعجاله أباه بالحديث، دون أن يفكر بأبيه وكبره، ووجوب نيله شيئاً من الراحة بين الحين والآخر.

فلاحظ الأب حرج ابنه، وحزَّ في نفسه أن يتألم ابنه من حساب ضميره ولومه إياه، ولكي يخرجه من حرجه وتعذيب ضميره قال الأب: ما رأيكم لو بدأنا الحديث من هذا اليوم عن الإمام علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

فقال الابن الأوسط: نعم يا أبي، لنبدأ الحديث عنه عليه السلام من هذا اليوم.

فقال الأب مخاطباً ابنه الأكبر: وما رأيك أنت يا ولدي؟

فقال الابن الأكبر: الرأي رأيك يا أبي، وأنا آسف عن كل ما بدر من أخي، وآسف أيضاً لأنَّه قال ما قال دون أن يفكر إن كان الوقت مناسباً للحديث أم لا.

فقال الأب: لا عليك يا ولدي، فالحياة مدرسة لابن آدم، وخيرهم من تعلم من هذه المدرسة ما ينفعه في الدنيا والآخرة، ولا تنسَ أن أخاك لم يزل في الصفوف الأولى من هذه المدرسة.

ثم قال الأب: والآن لنبدأ حديثنا ونسأل الله أن يعيننا على سلوك الصواب قولاً وفعلاً.

اليوم الأول

ولادة الإمام الهادي (ع) وأسماؤه ونسبه

في واحدة من قرى المدينة المنورة، وكانت تدعى صربا، وتبعد عنها ثلاثة أميال[1]، كانت ولادة حجَّة من حجج الله تعالى في أرضه يدعى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان ذلك في سنة مائتين واثني عشر للهجرة، وقيل سنة مائتين وأربعة عشر للهجرة.

كانت ولادته عليه السلام مبعث سرور كبير لجمع كبير من العلويين وآخرين من مواليهم ومحبيهم، وهي بالتأكيد مجلبة للهم لمبغضي آل البيت النبوي الأطهار وحاسديهم.

ففي اليوم الخامس عشر من شهر ذي الحجة كان الإمام محمد الجواد عليه السلام في سرور كبير، وقيل كان ذلك في السابع والعشرين من شهر ذي الحجة، وفي رواية أخرى كان في اليوم الثاني من شهر رجب، وقيل في اليوم الخامس منه، وفي رواية ثالثة كان ذلك في الثالث عشر من شهر رجب[2].

---

(١) راجع كتاب أعيان الشيعة.

(٢) راجع كتاب جلاء العيون: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١١٨.

كان سرور الإمام محمد الجواد عليه السلام مختلفاً عن سرور غيره من المحبين والموالين، وكذلك فهو مختلف عن سرور آل بيته أيضاً، ومرجع ذلك جملة أسباب منها وليده وقطعة من كبده، والأهم من ذلك وأخطر هو علمه عليه السلام بكونه الخليفة بعده في إمامة هذه الأمة، وأنه عليه السلام حجَّة أخرىٰ من حجج الله تعالى على خلقه، ولهذا وغيره تراه عليه السلام قلما يفارقه منذ ولادته حتى شاء لهم القدر أن يفترقوا، كان عليه السلام يناغيه ويداعبه في مهده، ويحدثه ويلاطفه في طفولته، ويعلمه ويساره في صباه.

سمّاه عليه السلام علياً منذ ولادته، وكناه أبو الحسن، وقد اشتهر لقبه بالهادي، ويُقال له أيضاً النجيب والمرتضىٰ والعالم والفقيه والأمين والمؤتمن والطيب والمتوكل والعسكري والناصح.

وقد جاءه لقب العسكري نسبة إلى المحلة التي يسكنها علي الهادي عليه السلام وابنه الحسن العسكري عليه السلام بسر من رأىٰ، وكانت تدعى بالعسكر، فلذلك لقب كل واحد منهما عليه السلام به إلاَّ أنَّ هذا اللقب عرف به أنَّه الحسن العسكري عليه السلام أكثر ممَّا عرف هو عليه السلام به[1].

الابن الأكبر: وهل كان الحمل به وولادته عليه السلام كما هو حال الباقين من الناس، أم أنَّ له عليه السلام خصوصية ما كانت لغيره؟

الأب: نعم يا ولدي، لقد اختلف عن الناس حين تحمل بهم أمهاتهم وحين يولدون، إلاَّ أنَّ هذه الخصوصية لم تكن له وحده، فقد كانت ميزة آبائه وأجداده من الأئمة الأطهار أيضاً، فقد روي عن

(١) راجع العلل. ومعاني الأخبار. وكذلك عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ص١٩٩.

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إن الله تعالى إذا أراد أن يخلق الإمام بعث ملكاً بسبع ورقات من الجنَّة فيتناولها فتصير في صلبه، فإذا واقع انعقدت النطفة في الرحم من ذلك، وصار يسمع الكلام في بطن أمه، فإذا سقط من بطن أمه جعل الله له عموداً من نور يبصر به ما يعمل أهل كل بلدة، وكتب الملك على عضده الأيمن: وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم[1].

ثم قال الأب: وحتى وهم في بطون أمهاتهم ما كانت تشعر أمهاتهم بما تشعر به النساء الحوامل من ضيق ووهن، وإنما كن بأحسن حال وأتم صحة، وكانوا عليهم السلام يولدون طاهرين مطهَّرين يمرر آباؤهم الموس عليهم سنة ليس إلاَّ.

كانت أمه عليه السلام أم ولد، يُقال لها سمانة، وهي مغربية[2]، وقيل أنها من سلالة مارية القبطية[3].

ثم قال الأب: أمضىٰ الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام طفولته مع أبيه، وحينما صار صبياً كان أبوه عليه السلام قد تركه في المدينة المنورة بعد أن استخلفه من بعده ونصَّ على إمامته أمام محضر من وجوه أصحابه ومواليه ودفع إليه كتبه وسلاحه وآثار الأنبياء والأوصياء.

فقال الابن الأكبر: أتعني بذلك يا أبي حينما أمر المعتصم العباسي بأن يحضر الإمام محمد بن علي عليه السلام إلى العراق بعد أن كان في المدينة المنورة؟

---

(١) رواه الصفار في البصائر بأسناده عن الإمام الصادق عليه السلام.
(٢) المناقب: لابن شهرآشوب، ورقة ١١٢.
(٣) بحر الأنساب: للنجفي، طبعة القاهرة، ص٣٥.

فقال الأب: نعم يا ولدي، وكان ذلك قد حصل في الثامن والعشرين من المحرَّم في السنة العشرين بعد المائتين من الهجرة، حيث ودَّع الإمام الجواد عليه السلام أهله وعياله وداع مفارق لا يعود، وورد إلى بغداد، حيث سمَّه المعتصم بتلك السنة ومضىٰ عليه السلام شهيداً.

ومنها بدأت إمامة الهادي علي بن محمد عليه السلام، فقام عليه السلام بمهام الإمامة رغم صباه، حيث كان يبلغ من العمر ثمان سنين حين وفاة أبيه الجواد عليه السلام، وفي رواية أخرى ست سنين وخمسة أشهر[1].

ثم قال الأب: وكما سبق وأن ذكرت لكم، أن الأئمة من آل البيت النبوي الأطهار، كان الله تعالى قد قضىٰ بحكمة منه جلَّ جلاله في تطهيرهم من الخطأ والسهو والفعل القبيح، وشهد بذلك جلَّ جلاله بقوله الكريم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، وأنهم عليهم السلام ورثوا علم جدهم المصطفىٰ محمد صلى الله عليه وآله، ولذلك فالإمام منهم له من العلم والحلم والحكمة ما شاء الله ولا علاقة بذلك في سنه، كبيراً كان أم صغيراً، وسبق وأن حدثتكم أيضاً عن أبيه الإمام الجواد حينما ناظره الفقهاء في زمن المأمون العباسي، فألجمهم بسعة علمه ومعرفته ما جعلهم يقرون بذلك رغماً عنهم، وكان من المفترض بهم أن يعلموا ذلك لو تدبروا قول الله جلَّ جلاله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، وقوله جلَّ جلاله أيضاً: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) المناقب: لابن شهرآشوب.

الابن الأكبر: وهل استدعاه المعتصم إلى بغداد بعد استشهاد أبوه الإمام الجواد عليه السلام؟

فقال الأب: لا يا ولدي لم يستدعه المعتصم رغم رغبته الشديدة بالخلاص منه كما تخلص من أبيه الجواد عليه السلام، إلاَّ أنَّ لله تعالى حكمة في ذلك وقضاء كان تعالى قد قضاه.

الابن الأكبر: وهل تعرض الإمام الهادي عليه السلام إلى مضايقات وأذىٰ المعتضم يا أبي؟

الأب: ليس لمضايقات المعتصم فحسب، وإنما لمضايقات وأذى كل من استخلف بعد المعتصم إلى المعتز العباسي، وفي رواية إلى المعتمد العباسي.

فقال الابن الأكبر: وهل تعني أن فترة إمامة الهادي عليه السلام قد مرت بأكثر من خليفة عباسي يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، كانت سنين إمامته عليه السلام ابتدأت كما علمتم بخلافة المعتصم، ثم الواثق العباسي والمتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز والمعتمد العباسي حيث استشهد عليه السلام مسموماً في آخر ملك المعتمد[1].

الابن الأكبر: وكم كانت مدة إقامة الإمام علي الهادي عليه السلام في المدينة المنورة ثلاثة عشر سنة تقريباً، بثَّ خلالها من العلم الشيء الكثير، حتى قصده القاصي والداني مسترشدين به في أُمور دينهم ودنياهم، ووجدوا من فضائله ما لا يحصىٰ عدداً، ومن كراماته ما لا يعرف لها مدىٰ، ومن عبادته ما لا تستطيع أن تضع

---

(١) راجع جلاء العيون: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١١٩.

لها حداً، وتعلموا منه الكرم والسخاء والعفة والتواضع وإيثار المحتاجين على النفس، وحب الخير للجميع.

الابن الأكبر: هنالك أمر أعجبه يا أبي رغم معرفتي أن للشيطان الرجيم فعل على بني آدم، إلاَّ أنَّني لا أستطيع الاقتناع بتأثيره على الإنسان ويخرجه كثيراً عن طريق الصواب، نعم، قد يجعل منه عاصياً لفترة من الزمان، إلاَّ أنَّ ذلك لا يمكن أن يدوم ما دام الإنسان قد وهبه الله تعالى بالعقل الذي يستطيع بواسطته التمييز بين النافع والضار.

فقال الأب: وما الذي تعجبه يا ولدي؟

فقال الابن الأكبر: إن الذي أعجبه يا أبي هو كيف قبل الحكَّام، سواء كانوا من بني أمية، أم من بني العباس، تعريض آل البيت النبوي الأطهار إلى الإيذاء أو القتل، مع العلم أنهم يقرون بين الحين والآخر، بمكانتهم من الله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ، ويعلمون يقيناً أنَّ ذلك لا غفران له؟

فقال الأب: إن لذلك الأمر أسباباً عديدة بعضها عميق متأصل في النفوس، وبعضها ظاهر للعيان، وسوف لن أحدثكم بالأسباب الخفية وإنما سأكتفي بما كان ظاهراً للعيان وملموساً لدىٰ كل من يطلع على سيرة أصحاب الشأن الذين هم مادة حديثنا هذا.

كان الحكَّام حينها قد رُبوا على ضعف الإيمان، وهذا يؤدِّي إلى كثير من المساوىء.

فقال الابن الأكبر: وكيف تربوا على ضعف الإيمان يا أبي؟

الأب: بالنسبة للدولة الأموية، فأول قائم بها هو معاوية بن

أبي سفيان، وهو معروف بضعف إيمانه ويكفي أن نقول فيه أنَّه ابن أبي سفيان الذي ما اختلف مع أبيه سراً أو علانية على كل ما كان أبو سفيان يتصرفه سواء قبل الإسلام أو بعده، وإيمان أبو سفيان معروف، فهل يعقل أن يكون معاوية على غير ما كان عليه أباه، ولو قلنا أن ذلك ممكن الحصول، فتاريخ معاوية يعرفنا بوضوح مدى إيمانه، فهو قد حارب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقام بسم الإمام الحسن عليه السلام فمن يقترف مثل ذلك ماذا يكون عليه إيمانه.

وحينما يرى الابن فعال أبيه فهل يعقل أن يسير على خلافها خصوصاً وهو ربيبه ومكتسب منه ووارث خصائصه وسجاياه، وكما يقول المثل: (الابن على سر أبيه).

وحينما تحول الحكم الأموي من بني سفيان إلى بني مروان، فيكفينا أن نتعرف على إيمان مروان بن الحكم من خلال حديث رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لعن به مروان وأبيه، وكذلك من خلال قول عائشة عن مروان بن الحكم بأنه فضض من لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وهكذا الحال بالنسبة لآله من بعده.

أما بالنسبة للدولة العباسية، فأول من قام بها السفاح الذي ثبت حكمه بالقتل والترهيب سواء للعلويين أو غيرهم وكان ذلك أمام عين أخيه المنصور الذي ما استلم الحكم من بعده حتى تصرف بأشد من أخيه وأقسى، الذي بدأ حكمه بقتل عمه عبد الله بن علي وثناه بأبي مسلم الخراساني[1] الذي كان الساعد القوي في تأسيس الدولة العباسية، ناهيك عن كل ما فعله المنصور العباسي بآل البيت خاصة وبالعلويين عامة، وقد عرف المنصور بنكث العهد.

---

(١) راجع المسعودي: ج٢، ص١٦٧.

فقال الابن الأكبر قاطعاً حديث أبيه: وكيف عرف المنصور بنكث العهد يا أبي؟

الأب: ممَّا يروى يا ولدي أن محمد بن عبد الله بن الحسن المثنىٰ حينما قام في المدينة خافه المنصور العباسي، فبعث إليه الأمان ووعده خيراً، فأجابه محمد بن عبد الله: أي أمان تعطيني؟ أمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبد الله؟ أم أمام أبي مسلم؟

ثم قال الأب: ومثل المنصور من جاء بعده من بني العباس، فمن كان إيمانه وتقواه بمثل هذا الحال يا ولدي بالتأكيد سيكون طويل الأمل، ناسياً أو متناسياً أنَّ هناك موتاً لا بدَّ أن يأتيه مها طال به الزمن، ويدركه بين لحظة وأخرىٰ، وقد قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾[1].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ومن كان طويل الأمل يا ولدي نما عنده حب الدنيا والحرص عليها، وهي صفة لا تقل ذمّاً عن طول الأمل، وقد حدثتكم سابقاً عن خطر هذه الصفة على الإنسان، لأنها تورده حتماً موارد الهلكة وسوء العاقبة، فقد ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

كم من واثق بها قد فجعته، وذي طمأنينة إليها صرعته، وذي أبهة قد جعلته حقيراً، وذي نخوة قد ردَّته ذليلاً، سلطانها دول، وعيشها رفق، وعذابها أجاج، وحلوها صبر، وغذاؤها سمام،

---

(١) سورة لقمان: الآية: ٣٤.

وأسبابها رمام، حيها بعرض موت، وصحيحها بعرض سقم، ملكها مسلوب، وعزيزها مغلوب، وموفورها منكوب، وجارها محروب.

ثم قال الأب متابعاً حديثه بالقول: فمن كان قليل الإيمان طويل الأمل، محباً للدنيا، يقدم على فعل أي قبيح ومنكر حتى وإن كانت من الكبائر من أجل أن يشبع رغباته ونزواته وأطماعه، دون أن يحسب حساب الآخرة أو الحساب، وهذا ما دعى هؤلاء وغيرهم على فعل المنكر.

فقال الابن الأكبر: حدثنا يا أبي عن ما لاقاه الإمام علي الهادي عليه السلام من الحكّام من أذىٰ أو ظلم.

فقال الأب: نكتفي اليوم بهذا القدر يا ولدي، ونؤجل حديثنا إلى غد إن شاء الله.

اليوم الثاني

تحوله (ع) من المدينة إلى سر من رأى

منذ أن كان رسول الله ﷺ حياً إلى يومنا هذا، كان ولا زال أمير المؤمنين عليه السلام خير محك تتعرف من خلاله على طيب الأصل من رديئه، فمن قول الله جلَّ جلاله في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ (سورة مريم: الآية: ٩٦). وكما أخرج السلفي في تفسير هذه الآية أنَّ محمد بن الحنفية قال في تفسير هذه الآية: لا يبقى مؤمن إلاَّ وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته[١]. وتأكيد ذلك ما جاء عن النبي محمد ﷺ، كما أخرجه البيهقي وأبو الشيخ والديلمي: أنه ﷺ قال: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من نفسه، وتكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته[٢]، وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: والذي خلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي إليَّ أنه قال: لا يحبني إلاَّ مؤمن ولا يبغضني إلاَّ منافق، (أخرجه مسلم).

---

(١) الصواعق: لابن حجر، ص١٧٢.

(٢) نفس المصدر السابق.

وأخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كنَّا نعرف المنافقين ببغضهم علياً عليه السلام[1].

وروي أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا علي، لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق[2].

وروي عن أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر قالت:

إذا ما التبر حك على محك تبين غشه من غير شكِ
وبان الزيف والذهب المصفىٰ عليّ بيننا شبه المحك[3]

من كل ما تقدم نثبت بشكل قاطع لا مراء فيه ولا شك أن كل من أبغض علياً عليه السلام وآل بيته من الأئمة الأطهار، فهو منافق وغير مؤمن، ومن قال عكس ذلك فقد كذب الله تعالىٰ ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله، ومن يكذب الله تعالىٰ ورسوله فهو كافر.

وإنَّ من يسبب لعلي عليه السلام ولفاطمة الزَّهراء عليها السلام: الأذىٰ فقد آذىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله فقد آذىٰ الله تعالى، ومن آذىٰ الله تعالىٰ فقد كفر، وأكبه الله على منخره في النار، ولتأكيد ذلك نورد أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وآله قال فيها:

من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله[4].

وقال صلى الله عليه وآله: من آذىٰ علياً فقد آذاني[5].

---

(١) نور الأبصار: للشبلنجي، ص٧٨. وابن حجر في الصواعق.
(٢) الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، لعبد الفتاح عبد المقصود، ج٤، ص٣.
(٣) الكنز المدفون: للسيوطي، ص٢٣٦.
(٤) الصواعق: لابن حجر، ص١٢٣.
(٥) مسند أحمد: ج٣، ص٤٨٣. والصواعق: لابن حجر، ص١٢٣. ونور الأبصار: ص٨٠. ومناقب الخوارزمي: ص٩٣.

وقال ﷺ في الزَّهراء فاطمة عليها السلام: فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها، وينصبني ما أنصبها[1].

وقال ﷺ: فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها[2].

وروي أنَّ النبي ﷺ أخذ بيدها وقال للمسلمين: من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها فهي: فاطمة بنت محمد، وهي بضعة مني، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبي، ومن آذاها فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله[3].

وبعد استعراض كل ذلك قال الأب محمد محدثاً نفسه: ترى بعد كل ما ورد من أحاديث نبوية شريفة، ماذا يمكن أن نطلق على من قتل آل البيت أو سعى لقتلهم أو رضي به؟ ناهيك عن آذاهم وأذىٰ آلهم ومواليهم.

ثم التفت الأب إلى أبنائه وكانوا قد جلسوا بجانب أبيهم منذ فترة من الزمن دون أن يتكلم أحدهم بشيء إلاَّ همساً: سأحدثكم اليوم عن السبب الذي تحول به الإمام علي الهادي عليه السلام من المدينة المنورة إلى سر من رأىٰ في العراق، ومن هو الذي سعى للخليفة بأبي الحسن علي الهادي عليه السلام قاصداً بذلك آذاه.

فاعتدل الأبناء في جلساتهم وقالوا: توكل على الله يا أبي.

فقال الأب: بعد حمد الله تعالىٰ وشكره والتوكل عليه: روي أنَّ عبد الله بن محمد كان يتولى الحرب والصلاة في المدينة المنورة، فسعى بأبي الحسن عليه السلام يوماً إلى المتوكل العباسي، وكان

---

(١) ابن حجر في الصواعق: ص١٩٠.

(٢) رواه مسلم في صحيحه في باب مناقب فاطمة عليها السلام.

(٣) نور الأبصار: للشبلنجي، ص٤١.

يقصد بذلك آذاه بغضاً وحسداً منه لآل البيت عليهم السلام، فبلغ الإمام علي الهادي عليه السلام ذلك، فكتب إلى المتوكل كتاباً ذكر فيه تحامل عبد الله بن محمد عليه، وكذبه فيما سعى به.

فتقدم المتوكل بإجابته عن كتابه، ودعاه فيه إلى الحضور إليه، على جميل من الفعل والقول، وكانت نسخة الكتاب: بسم الله الرَّحمٰن الرحيم.

أما بعد، فإنَّ أمير المؤمنين عارف بقدرك، راع لقرابتك، موجب لحقك، مؤثر من الأُمور فيك وفي أهل بيتك، ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به من عزك وعزهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم. يبتغي بذلك رضا ربه، وأداء ما فرض عليه فيك وفيهم، فقد رأى أمير المؤمنين، صرف عبد الله بن محمد عمَّا كان يتولى من الحرب والصلاة بمدينة الرسول إذا كان على ما ذكرت من جهالته بحقك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك (أي عابك) به، ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نيتك في برك، وقد ولىٰ أمير المؤمنين ما كان يلي من ذلك: محمد بن الفضل، وأمره بإكرامك وتبجيلك، والانتهاء إلى أمرك ونيهك، والتقرب إلى الله تعالىٰ وإلى أمير المؤمنين بذلك.

وأمير المؤمنين مشتاق إليك، يحب إحداث العهد بك، والنظر إلى وجهك، فإن نشطت لزيارته، والمقام قبله ما أحببت، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك، على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت، فإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند يرحلون برحلك، ويسيرون بسيرك، فالأمر في ذلك إليك، وقد تقدمنا إليه بطاعتك، فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين، فما أحد من

إخوته وولده، وأهل بيته، وخاصته، ألطف منك منزلة، ولا أحمد أثره، ولا هو لهم أنظر، وعليهم أشفق، وبهم أبر، وإليهم أسكن، منه إليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

كتبه إبراهيم بن العباس في جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين ومائتين.

فقال الابن الأكبر: حقيقة يا أبي إن أمر بني العباس محيّر جداً، فكلامهم يدلل على معرفتهم بفضل آل البيت النبوي الأطهار، وأفعالهم تدلل على حقد كبير.

فقال الأب: البغض موجود دون شك في ذلك، ولو لم يكن موجوداً لما تجرأوا وقتلوا من قتلوا من آل البيت ومن مواليهم، أمَّا بالنسبة لذكرهم فضل آل البيت فهي كما سبق وأن ذكرت لكم ما هي إلاَّ صرخة الحق التي يجب أن تظهر وتعلن على الملأ رغم كل شيء، فالحق يعلو ولا يعلى عليه.

فقال الابن الأكبر: وما كان من الإمام الهادي عليه السلام حينما وصله كتاب المتوكل؟

فقال الأب: حين ورود الكتاب على الإمام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام تجهز للرحيل، وخرج معه يحيى بن هرثمة، حتى وصل سر من رأى، فلما وصل إليها، أمر المتوكل أن يحجب عنه في يومه، فنزل عليه السلام في خان يُقال له خان الصعاليك، وأقام عليه السلام به يومه، ثم تقدم المتوكل بإفراد دار له عليه السلام فانتقل إليها[1].

وفي رواية أخرى أن الذي سعى بأبي الحسن علي

(١) ذكر هذه الرواية الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد.

الهادي عليه السلام، كان بريحة العباسي، حيث كتب إلى المتوكل: إن كان لك في الحرمين حاجة فاخرج علي بن محمد منها، فإنَّه قد دعى الناس إلى نفسه، واتبعه خلق كثير، ثم كتب إليه بهذا المعنى، فانفذ المتوكل بحيى بن هرثمة وكتب معه إلى أبي الحسن عليه السلام كتاباً جيداً، يعرفه فيه أنه اشتاق إليه، وسأله القدوم عليه، وأمر يحيى بالمسير إليه، وكتب إلى بريحة يعرفه ذلك.

فقدم يحيى المدينة، وبدأ ببريحة، وأوصل الكتاب إليه، ثم ركبا جميعاً إلى أبي الحسن عليه السلام، وأوصلا إليه كتاب المتوكل، فاستأجلهما عليه السلام ثلاثة أيام، فلما كان بعد ثلاث عادا إلى داره، فوجدا الدواب مسرجة، والأثقال مشدودة، قد فرغ منها، فخرج عليه السلام متوجهاً إلى العراق، ومعه يحيى بن هرثمة[1].

الابن الأكبر: وهل بقي المتوكل على كلامه من إجلال الإمام علي الهادي عليه السلام، أم أنه عاد إلى حقيقة أمره فيه يا أبي؟

الأب: كل ما قاله من قول حسن في الإمام أبي الحسن علي الهادي عليه السلام، كان مرحلياً كما يُقال، أي أنه ما قاله إلاَّ لأمر كان في نفسه استوجب منه أن يقول ذلك، وحينما انتهى الأمر وبلغ مأربه عاد إلى حقيته، حيث بدأ ذلك بأن لم يأذن للإمام عليه السلام في الدخول عليه حينما وصل سر من رأى، فاضطر الإمام عليه السلام ومن كان معه بالنزول في خان الصعاليك، واسم الخان هذا دليل على ضعته وعدم صلاحه في أن ينزل الإمام الهادي عليه السلام فيه، وهو ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وجده وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخير من ترك بعده،

---

(١) ذكر الرواية السيد المرتضى في عيون المعجزات.

وقد روي عن صالح بن سعيد قال: دخلت على أبي الحسن علي عليه السلام، فقلت: جعلت فداك في كل الأُمرو، أرادوا إطفاء نورك، والتقصير بك، حتى أنزلوك هذا الخان الأشنع، خان الصعاليك.

فقال الإمام الهادي عليه السلام: هاهنا أنت يا ابن سعيد؟ ثم أومأ عليه السلام بيده فقال: أنظر.

فقال صالح بن سعيد: فنظرت، فإذا بروضات انقات، وروضات ناظرات، فيهنَّ خيرات عطرات، وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون، وأطيار وظباء، وأنهار تفور، فحار بصري والتمع، وحسرت عيني، فقال عليه السلام: حيث كنَّا فهذا لنا عتيد، ولسنا في خان الصعاليك[1].

ثم قال الأب: كثيراً ما حاول المتوكل العباسي الإساءة للإمام الهادي عليه السلام، محاولاً إطفاء نوره، إلاَّ أنَّ الله جلَّت قدرته شاء غير ذلك، وهو تعالى القائل: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾.

فقال الابن الأكبر: المعروف يا أبي أن بغداد هي عاصمة الدولة العباسية، فما السبب الذي دعاهم إلى جعل سامراء هي العاصمة؟

الأب: كان ذلك في زمن المعتصم العباسي، وكانت أمه تركية الأصل، وأن له ميل ناحية أخواله كبيراً، فرأى أن يتقوى بالأتراك، فجعل يتخير منهم الأشداء يبتاعهم بالمال من مواليهم في العراق أو

---

(١) رواية الكليني والصفَّار في البصار. والمفيد في الإرشاد.

يبعث في طلبهم من تركستان وغيرها، فاجتمع عنده الآلاف منهم، فألبسهم أثواب الديباج والمناطق الذهبية، والحلية المذهبة، وميزهم بالزي على سائر الجنود[1]، فلما أفضت الخلافة إليه كان الأتراك عوناً له، وتكاثروا حتى ضاقت بهم بغداد، وصاروا يؤذون العوام من الناس في الأسواق والطرقات، وربما قتلوا البعض منهم.

وفي يوم كان المعتصم خارجاً بموكبه يوم عيد، فقام إليه شيخ فقال له: يا أبا إسحاق، فأراد الجنود منعه وضربه، فمنعهم المعتصم وقال: يا شيخ، مالك؟ فقال الشيخ: لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من غلمانك الأتراك فأسكنتهم بيننا، فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت نساءنا، وقتلت رجالنا.

فكان المعتصم يسمع ذلك، فدخل منزله، ولم يرّ راكباً إلى مثل ذلك اليوم، فخرج فصلّىٰ بالناس العيد، ولم يدخل بغداد بل سار يلتمس معسكراً لإجناده، حتى أتى سامراء فاتخذها معسكراً، فأعجبته فسماها سر من رأى، واختطَّ فيها الخطط، وأقطع أتراكه القطائع على حسب القبائل ومجاورتهم في بلادهم، وأفرد أهل كل صنعة بسوق، وكذلك التجار، فبنى الناس، وارتفع البنيان، وشيدت القصور، وكثرت العمارات، واستنبطت المياه، وتسامع الناس أن دار الملك قد انتقلت إلى هناك، فقصدوها.

وما زالت سامراء قاعدة الدولة العباسية من سنة مائتين وواحد وعشرين للهجرة إلى أيام المعتمد، فعاد إلى بغداد سنة مائتين وتسع وسبعين للهجرة، وهو أول من عاد إليها منذ بنيت سامراء[2].

---

(١) المسعودي في مروج الذهب: ج٢، ص٢٤٦.
(٢) تاريخ ابن الأثير: ج٧، ص١٨١.

وذكر اليعقوبي: وعزم المعتصم على الخروج من بغداد، فخرج حتى صار إلى موضع سر من رأى وهي صحراء من أرض الطبرهان، لا عمارة فيها ولا أنيس فيها، إلاَّ دير للنصارى، فوقف بالدير وكلَّم من فيه من الرهبان، وقال ما اسم هذا الموضع، فقال له بعض الرهبان: نجد في كتبنا المتقدمة، أن هذا الموضع يسمى سر من رأى، وأنه كان مدينة سام بن نوح، وأنه سيعمر بعد الدهور...[1].

فقال الابن الأكبر: إذاً فالأتراك كانوا سبباً في انتقال الخلافة من بغداد إلى سامراء؟

فقال الأب: نعم يَا ولدي، كثرة من جمعهم من الأتراك كان سبباً في ذلك.

فقال الابن الأكبر: وهل كان المعتصم أول من استخدم الأتراك يا أبي؟

فقال الأب: لا يا ولدي، فقد استخدم المنصور العباسي الأتراك في الجندية قبل المعتصم، إلاَّ أنهم كانوا شرذمة صغيرة لا شأن لها في الدولة، في حين أن المعتصم قد بالغ في جلبهم من هنا وهناك حتى بلغوا الآلاف، وتكاثروا، وبلغت بهم كثرتهم إلى أن تجاوزوا على العامة من الناس كثيراً، ثم ابتاع المعتصم لهم الجواري التركيات فازوجهم منهنَّ، ومنعهم أن يتزوجوا أو يصاهروا أحداً من غيرهم، وأجرى للجواري أرزاقاً، وأثبت أسماءهنَّ في الدواوين، فلم يكن يقدر أحد منهم أن يطلق امرأته أو يفارقها[2].

---

(١) البلدان: لليعقوبي، طبعة النجف، ص٣٣ ـ ٣٤.

(٢) تقويم البلدان: ص٣٣.

ثم قال الأب: وحينما تولى المتوكل العباسي، كانت سر من رأى هي العاصمة للبلاد الإسلامية، وفيها مركز الخلافة، وحينما استدعى الإمام الهادي عليه السلام كان استدعاؤه إليها.

فقال الابن الأكبر: وهل قتل الإمام الهادي عليه السلام في زمنه يا أبي؟

فقال الأب: لا يا ولدي، لم يكن استشهاد الإمام علي الهادي عليه السلام في زمنه، وإنما كان في ملك المعتمد العباسي.

فقال الابن: وهل كان المتوكل العباسي شديداً في إيذاء آل البيت يا أبي؟

الأب: ما كان شديد الإيذاء لآل البيت فحسب، وإنما كان شديد الإيذاء لكل من لهم علاقة بآل البيت النبوي عليهم السلام، فحين تولى الخلافة سنة مائتين واثنين وثلاثين للهجرة بدأ حكمه باضطهاد الشيعة وشدد النكير عليهم. فهو إضافة لبغضه لآل البيت فقد كان حوله جماعة يحملون عين البغض الذي يحمله، ومنهم علي بن الجهم الشاعر الشامي من بني شامه وعمرو بن فرخ الرخجي وأبو السمط من ولد مروان بن أبي حفصة الذي كان يتقرب إلى الرشيد بهجو العلويين، وهو من موالي بني أمية[1].

ثم قال الأب: ومن فعال المتوكل التي تنم عن حقده وبغضه لآل البيت عليهم السلام هو أمره بهده قبر الإمام الحسين بن علي عليه السلام وهدم ما حوله من المباني، ومنع الناس من إتيانه، وبالغ في بغضه علياً عليه السلام حتى روى أنه كان في جملة ندمائه مخنث اسمه عباده، كان يشدّ على

---

(١) راجع تاريخ التمدن الإسلامي: لجرجي زيدان، ج٤، ص١٧٠.

بطنه تحت ثيابه مخدة، ويكشف رأسه وهو أصلع، تشبهاً بأمير المؤمنين علي عليه السلام، ويرقص ويقول: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين (يعني علياً عليه السلام)، والمتوكل يشرب ويضحك[1].

فقال الابن الأكبر: بئس الفعل فعلهم هذا، وبئس من تبعهم من الناس ورضي بفعلهم.

فقال الأب: هذه هي حقيقة المتوكل يا ولدي، المتوكل الذي بعث بكتابه إلى الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام يستدعيه من المدينة المنورة إليه، بأحلى الكلام وأجمل العبارات التي ذكر بها فضل الإمام عليه السلام وأفضليته وأنه في شوق إليه، فهل تعجب من أمرهم يا بني بعد كل ما علمت من فعالهم؟

فقال الابن الأكبر: هم كما قال القائل:

يعطيك من طرف اللِّسان حلاوة ويروغ منك كما يروغ الثعلب

فقال الأب: قال الله تعالى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الظلمة وأعوان الظلمة، ومن لاق لهم دواة أو ربط لهم كيساً أو مدَّ لهم بمدَّة قلم فاحشروهم معهم.

فقال الابن الأكبر: حدثنا يا أبي عن فضائل الإمام الهادي عليه السلام وكراماته؟

فقال الأب: سنتحدث بذلك في غد إن شاء الله يا ولدي.

---

(١) تاريخ أبي الفداء: ج٢، ص٤٠.

اليوم الثالث

ما روي عن الإمام علي الهادي (ع) من أحاديث

كان الموعد بين الأب وأبنائه أن يحدثهم عن فضائل الإمام الهادي عليه السلام، ولذلك ما أن تمت جلستهم واجتماعهم بأبيهم حتى قال الابن الأكبر مذكراً أباه بما وعدهم به: لقد وعدتنا يا أبي أن يكون حديث اليوم عن فضائل الإمام الهادي عليه السلام.

فقال الأب: كنت قد هيأت نفسي للحديث عن غير ذلك يا ولدي.

فقال الابن الأكبر: وما ذلك يا أبي؟

فقال الأب: سأحدثكم اليوم عن بعض ما روي عن الإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام من أعمال وزيارات وأحاديث: وأعدكم سيكون حديثنا عن فضائل الإمام عليه السلام يوم غد إن شاء الله.

فقال الأبناء كما تشاء يا أبي.

فقال الأب: كما هو المعروف عن آل بيت النبي الأطهار عليهم السلام أنهم خزنة علم رسول الله صلى الله عليه وآله ووارثيه، إلاَّ أنَّ المناوئين ما كانوا يؤمنوا بذلك، ولهذا تراهم يقدمون المرة بعد الأخرى على سؤالهم،

لا ليتعلموا منهم وإنما أوهموا أنفسهم بقدرتهم على إحراج آل البيت وإعجازهم عن الإجابة، فهذا المتوكل العباسي مثلاً قال لابن السكيت: سل ابن الرضا (يعني الإمام الهادي عليه السلام)، مسألة عوصاء بحضرتي، فسأله:

لِمَ بعث الله موسىٰ بالعصا، وبعث عيسىٰ بإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتىٰ، وبعث محمَّداً صلى الله عليه وآله بالقرآن والسيف؟ فقال أبو الحسن علي بن محمد بن علي عليهما السلام: بعث موسى عليه السلام بالعصا واليد البيضاء في زمن الغالب على أهله السحر، فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم، وأثبت الحجَّة عليهم.

وبعث عيسىٰ عليه السلام بإبراء الأكمة والأبرص وإحياء الموتىٰ بإذن الله تعالى، فقهرهم وبهرهم.

وبعث محمَّداً صلى الله عليه وآله بالقرآن والسيف في زمن الغالب على أهله السيف والشعر، فأتاهم من القرآن الزاهر، والسيف القاهر، ما بهر به شعرهم، وبهر به سيفهم، وأثبت الحجَّة بهم عليهم.

فقال ابن السكيت: فما الحجَّة الآن، فإنَّ العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب.

فقال يحيى بن أكثم: ما لابن السكيت ومناظرته؟ وإنما هو صاحب نحو وشعر ولغة[1].

وهذا يحيى بن أكثم أغرىٰ نفسه وظن أنَّ بإمكانه إحراج ورثة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، بإلقاء أسألته عليهم، فقد روي عن موسىٰ بن محمد الرِّضا عليهما السلام قال: لقيت يحيى بن أكثم في دار العامة، فسألني

---

(١) المناقب: لابن شهرآشوب.

عن مسائل فجئت إلى أخي علي بن محمد عليه السلام فقلت له: جعلت فداك، أن ابن أكثم كتب يسألني عن قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾.

فهل نبي الله كان محتاجاً إلى علم آصف؟

وعن قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا﴾.

وعن قوله تعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾.

من المخاطب بالآية؟ فإن كان النبي صلى الله عليه وآله فقد شك، وإن كان المخاطب غيره، فعلى من أنزل الكتاب؟

وعن قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾.

ما هذه الأبحر؟ وأين هي؟

وعن قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾.

فاشتهت نفس آدم أكل البر، فأكل وأطعم، فكيف عوقب؟

وعن قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾.

يزوج الله تعالىٰ عباده الذكران؟ وقد عاقب قوماً فعلوا ذلك!؟

وعن شهادة المرأة جازت وحدها، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾؟

وعن شهادة الجار إلى نفسه لا تقبل؟

وعن صلاة الفجر لمَ يجهر بالقراءة؟ وهي من صلاة النهار وإنما الجهر في صلاة الليل؟

وعن قول علي عليه السلام لابن جرموز: بشر قاتل ابن صفية بالنار، فلم لم يقتله وهو إمام؟

وأخبرني عن علي عليه السلام، لمَ قتل أهل صفين وأمر بذلك مقبلين ومدبرين، وأجهز على الجرحى، وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مولياً، ولم يجهز على جريح، ولم يأمر بذلك، وقال: من دخل داره فهو آمن، ومن ألقىٰ سلاحه فهو آمن، لمَ فعل ذلك؟ فإن كان الحكم الأوَّل صواباً، فالثاني خطأ.

فقال الإمام أبو الحسن الهادي لأخيه موسىٰ بن محمد عليهما السلام: اكتب إليه.

قال موسىٰ بن محمد عليه السلام: ما أكتب؟ قال عليه السلام: اكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنت فألهمك الله الرشد، أتاني كتابك فيما امتحنتنا به من نعتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصدنا فيها، والله يكافيك على نيتك، وقد شرحنا مسائلك، فأصغ إليها سمعك، وذلل لها فهمك، واشغل بها قلبك، فقد لزمتك الحجَّة والسَّلام.

سألت عن قوله عزَّ وجل: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.. فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف، ولكنه أحب أن يعرف أمته من الجن والإنس أنه الحجَّة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله تعالى ففهمه، لئلا تختلف في إمامته ودلالته، كم فهم سليمان في حياة داود لتعرف نبوته وولايته من بعده، لتأكيد الحجَّة على الخلق.

وأما سجود يعقوب وولده، فإن السجود لم يكن ليوسف، وإنما

كان ذلك من يعقوب وولده طاعة لله تعالى، ومحبة منهم لآدم، فسجود يعقوب وولده يوسف معهم كان شكراً لله تعالىٰ باجتماع شملهم، ألم ترّ أنَّه يقول في شكره في ذلك الوقت: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ﴾.

وأمَّا قوله: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ﴾، فإن المخاطب بذلك الرسول ﷺ، ولم يكن في شك ممَّا أنزل الله إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة؟ ولمَ لم يفرق بينه وبين الناس في الاستغناء عن المأكل والمشرب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله عزَّ وجل إلى نبيه ﷺ فاسأل الذين يقرؤون الكتاب بمحضر من الجهلة: هل بعث الله رسولاً قبلك إلاَّ وهو يأكل الطعام ويشرب الشراب ويمشي في الأسواق، ولك بهم أسوة يا محمَّد، وإنما قال: فإن كنت في شك، ولم يكن في شك للنصفة، كما قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾، ولو قال تعالى: عليكم، لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أنَّ نبيه مؤدٍّ عنه رسالته، وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنَّه صادق فيما يقول، ولكن أحب أن ينصف من نفسه.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ﴾، فهو كذلك، لو أن أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمده بسبعة أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً، لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله، ونحن كلمات الله التي لا تنفد، ولا تدرك فضائلنا.

وأمَّا الجنة، فإنَّ فيها من المآكل والملاهي ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وأباح الله ذلك كله لآدم، والشجرة التي نهىٰ الله عنها آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، ولم يجد له عزما.

وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾، أي يولد له الذكور، ويولد له إناث، يُقال لكل اثنين مقترفين زوجان، كل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنىٰ الجليل ما لبست به على نفسك، تطلب الرخص لارتكاب المآثم، ﴿. . . وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾، إن لم يتب.

وأمَّا صلاة الفجر: فالجهر فيها بالقراءة، لأنَّ النبي ﷺ كان يغلس بها، فقربها من الليل.

وأمَّا قول علي عليه السلام: بشر قاتل ابن صفية بالنار: فهو لقول رسول الله ﷺ. وكان ممَّن خرج يوم النهروان، فلم يقتله أمير المؤمنين بالبصرة لأنه يقتل في فتنة النهروان.

وأمَّا قولك أنَّ علياً قتل أهل صفين مقبلين ومدبرين، وأجهز على جريحهم، وأنه يوم الجمل لم يتبع مولياً، ولم يجهز على جريحهم، ومن ألقى سلاحه أمنه، ومن دخل داره أمنه، فإن أهل الجمل قتل إمامهم، ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها.

وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مخالفين ولا منابذين، فقد رضوا بالكف عنهم، فكان الحكم فيهم رفع السيف، والكف عنهم إذ لم يطلبوا عليه أعواناً.

وأهل صفين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدة، وإمام منصب يجمع لهم السلاح والدروع والرماح والسيوف، ويعطي لهم العطاء، ويهيىء لهم الأموال، ويعود مريضهم، ويجبر كسيرهم، ويداوي جريحهم، ويحمل راجلهم، ويكسو حاسرهم، ويردهم فيرجعون إلى محاربتهم وقتالهم، فإن الحكم في أهل البصرة الكف عنهم لما ألقوا أسلحتهم، إذ لم تكن لهم فئة يرجعون إليها، والحكم في أهل صفين

أن يتبع مدبرهم، ويجهز على جريحهم، فلا يساوي بين الفريقين في الحكم، ولولا أمير المؤمنين عليه السلام وحكمه في أهل صفين والجمل لما عرف الحكم في عصاة أهل التوحيد.

فلما قرأ ابن أكثم ذلك، قال للمتوكل: ما نحب أن نسأل هذا الرجل عن شيء بعد مسائلي هذه، فإنه لا يرد عليه شيء بعدها، إلاَّ دونها[1].

ورغم ما حملوا من حقد وبغض وحسد لآل البيت النبوي، تنطلق من أفواههم كلمات الحق رغماً عنهم، ويقروا لهم بالأعلمية والفضل، ويعترفوا بالحاجة إليهم عند كل ملحة وكل مستعصية، ومن ذلك ما روي أن يحيى بن أكثم قال في مجلس الواثق العباسي، وكان الفقهاء بحضرته: من حلق رأس آدم حين حجَّ؟

فتعايىٰ القوم (أي انتابهم الإعياء والعجز) عن الجواب، أنا أحضركم من ينبئكم بالخبر.

فبعث إلى علي بن محمد بن علي بن موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فاحضر، فقال الواثق: يا أبا الحسن، من حلق رأس آدم؟ فقال الإمام الهادي عليه السلام: سألتك بالله يا أمير المؤمنين إلا أعفيتني، قال الواثق: أقسمت عليك لتقولن، فقال عليه السلام: أما إذا أبيت، فإن أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمر جبرئيل عليه السلام أن ينزل بياقوتة من الجنَّة، فهبط بها، فمسح بها رأس آدم، فتناثر الشعر منه، فحيث بلغ نورها صار حرماً[2].

---

(١) راجع تحف العقول: لعلي بن شعبة الحلبي.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي: ج١٢، ص٥٦، طبعة السعادة.

وروي عن أبي دعامة قال: أتيت علي بن محمد بن علي عائداً في علته التي كانت وفاته منها، فلما هممت بالانصراف قال عليه السلام لي: يا أبا دعامة، قد وجب حقك عليَّ، ألا أحدثك بحديث تسرّ به؟

قال أبو دعامة: قلت: ما أحوجني إلى ذلك يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال عليه السلام: حدثني أبي محمد بن علي قال: حدثني أبي علي بن موسىٰ قال: حدثني أبي علي بن الحسين قال: حدثني أبي الحسين بن علي قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، اكتب، فقلت: ما أكتب؟ فقال صلى الله عليه وآله: اكتب:

الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرىٰ على اللِّسان وحلت به المناكح[1].

الابن الأكبر: وهل كانت للإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام حكماً ومواعظ ذكرها التاريخ يا أبي؟

الأب: لقد ذكر التاريخ له الكثير يا ولدي كما ذكر لآبائه وأجداده عليهم السلام، وهل يخرج من فيهم غير الموعظة والحكمة يا ولدي.

فقال الابن الأكبر: أذكر لنا بعضها يا أبي.

فقال الأب: سأختار لكم من بعض الكتب بعضاً من حكمه

---

(١) عن المسعودي في مروج الذهب عن ابن الفرج عن أبي دعامة.

ومواعظه، فمثلاً رويت له في كتاب تحف العقول للحلبي، قوله عليه السلام:

ـ الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأنَّ النعم متاع، والشكر نعم وعقبى.

ورويت له عليه السلام في كتاب الدر النظيم للشافعي: شر الرزية سوء الخلق.

ـ وقال عليه السلام: من سأل فوق حقه أولى بالحرمان.

ـ وقال عليه السلام: العقوق يعقب القلَّة، ويؤدِّي إلى الذلة.

ـ وقال: البخل أذم الأخلاق، والطمع سجية سيئة.

ورويت له عليه السلام في كتاب نزهة الناظر قوله عليه السلام: خير من الخير فاعله، وأجمل من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله.

ـ وقال عليه السلام: من جمع لك وده ورأيه، فاجمع له طاعتك.

ـ وقال عليه السلام: المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

ـ وقال عليه السلام: الحكمة لا تجتمع في الطباع الفاسدة.

ـ وقال عليه السلام: لا تطلب الصفاء ممَّن كدرت عليه، ولا الوفاء ممَّن غدرت به، ولا النصح ممَّن عرفت سوء ظنك إليه، فإنَّما قلب غيرك كقلبك له.

ـ وقال عليه السلام: الهزء فكاهة السفهاء، وصناعة الجهال.

ـ وقال عليه السلام: اتقوا فراسة المؤمن، فإنَّه ينظر بنور الله.

ورويت له عليه السلام في كتاب كشف الغمة قوله عليه السلام حينما سئل عن التوحيد:

ـ إنَّ الله لا يوصف إلاَّ بما وصف نفسه، وأنَّىٰ يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحده، والأبصار عن الإحاطة به، جلَّ عمَّا يصفه الواصفون، وتعالىٰ عمَّا ينعته الناعتون.

كيف الكيف فلا يُقال كيف هو، وأين الأين فلا يُقال أين هو، إذ هو منقطع عن الكيفية والأينية، هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

وروي له عليه السلام في تاريخ ابن خلكان شعراً قاله يعظ به المتوكل العباسي قال عليه السلام فيه:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القللُ
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأودعوا حفراً يا بئسما نزلوا
ناداهم صارخ من بعدما رحلوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فافصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
يا طالما أكلوا يوماً وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذٰاك الأكل قد أُكلوا

وروي في كتاب المناقب لابن شهرآشوب أنَّ المتوكل العباسي سأله: ما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟

فقال عليه السلام: اشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله...

فقال الابن الأكبر: وهل رويت عنه عليه السلام أدعية وزيارات وأعمال يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، وكنت ظننت أنَّ بمقدوري أن أحدثكم عنها هذا اليوم، إلاَّ أنَّ الوقت قد فات، والتعب قد زارني،

وأرجو أن ترفقوا بي، لننهي حديثنا هذا اليوم إلى هذا الحد، ولكم عليَّ أن أحدثكم عن ذلك في وقتٍ آخر.

فقال الأبناء: كما تشاء يا أبي.

فنهض الأب من مجلسه، ونهض أبناؤه معه، وتمنى كل واحد للآخرين ليلة هانئة.

اليوم الرابع

ما روي عنه (ع) من أدعية وزيارات

ما كان الأبناء قد دخلوا الغرفة منتظرين أباهم حتى دخل عليهم محيياً إياهم، فتلقاه الأبناء بسرور بالغ، فأخذ مجلسه بينهم والصغير متعلق بأبيه، فقال الأب: هناك موضوعين وعدتكم الحديث عنهما، الأول هو فضائل الإمام علي الهادي عليه السلام، والثاني ما روي عنه عليه السلام من زيارات وأدعية وأعمال، فأي الحديثين نتحدث به اليوم.

فقال الابن الأكبر مداعباً أباه: أظنك يا أبي تريد بحديثك عن ما روي عن الإمام الهادي عليه السلام كي لا نسافر إلى سامراء لزيارته، أليس كذلك؟

فقال الأب: بالنسبة لزيارة الإمام علي الهادي وابنه الحسن العسكري عليهما السلام، فأنا مثلكم في شوق كبير لزيارتهما، واسأل الله أن يكتبها لي ولكم.

فقال الابن الأكبر: وما المانع من عدم السفر للزيارة يا أبي؟

فقال الأب: لا مانع يا ولدي، إلاَّ أني أردت الفراغ من

الحديث عن الهادي والعسكري والقائم عليهم السلام كي يكون لزيارتنا طعم آخر.

فقال الابن الأكبر: وكيف يكون للزيارة طعم آخر يا أبي؟

الأب: حينما نتحدث عنهم عليهم السلام، أكون أنا قد استذكرت سيرتهم العطرة، وأنتم قد تعرفتم على سيرة حياتهم، وبذلك سيكون طعم الزيارة أكثر مذاقاً، وأكبر شوقاً، وأحسن استذكاراً.

فقال الابن الأكبر: إذاً حدثنا عن ما روي عنه عليه السلام من أدعية وزيارات وأعمال عبادية.

فقال الأب: هناك حديث مروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه مخاطباً وصيه وابن عمه وأخاه علي بن أبي طالب عليه السلام: يا علي، ما عرف الله إلاَّ أنا وأنت، وما عرفني إلاَّ الله وأنت، وما عرفك إلاَّ الله وأنا.

وهذا الحديث يدلل بشكل قاطع أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام هما من عرفا الله تعالى حق معرفته، وبذلك تكون عبادتهم له بما هو أهل لذلك، ويكون توسلهم ودعاؤهم الله جلَّ جلاله بمقدار معرفتهم.

ولأنَّ آل البيت الأطهار عليهم السلام ورثوا علم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي علمه لعلي عليه السلام، فهم بهذه الحال يكون علمهم ومعرفتهم لخالقهم لا تقل عن معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بخالقه جلَّ جلاله، والإمام الهادي هو أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين ورثوا ذلك العلم، كان علماً في الإيمان والزهد والعبادة والخشية، فمن مناجاة له عليه السلام كان يقول فيها:

إلٰهي، مسيىء قد ورد، وفقير قد قصد، لا تخيب مسعاه، وارحمه، واغفر خطأه.

وكان عليه السلام يقدم بين يدي حاجاته ودعواته الوجهاء عند الله تعالىٰ: جده المصطفىٰ صلى الله عليه وآله والوصي المرتضىٰ عليه السلام، وكان يوصي المسلمين بذلك، فمن وصاياه عليه السلام في هذا الخصوص قال: تقول عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، وآل البيت النبوي.

السلام عليك يا ولي الله، أنت أول مظلوم، وأول من غصب حقه، وصبرت واحتسبت حتى آتاك اليقين، فأشهد أنك لقيت الله وأنت شهيد، عذَّب الله قاتلك بأنواع العذاب، وجدد عليه العذاب، جئتك عارفاً بحقك، مستبصراً بشأنك، معادياً لأعدائك ومن ظلمك، ألقىٰ على ذلك ربي إن شاء الله، يا ولي الله، أنَّ لي ذنوباً كثيرة، فاشفع لي إلى ربك، فإنَّ لك عند الله مقاماً معلوماً، وأنَّ لك عند الله جاهاً وشفاعة، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[1].

ومن وصاياه عليه السلام أنَّه قال: تقول عند قبر الحسين عليه السلام: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك يا حجَّة الله في أرضه، وشاهده على خلقه، السلام عليك يابن رسول الله، السلام عليك يابن علي المرتضىٰ السلام عليك يابن فاطمة الزهراء. أشهد أنك قد أقمت الصلاة. وآتيت الزكاة. وأمرت بالمعروف. ونهيت عن المنكر، وجاهدت في سبيل الله، حتى آتاك اليقين، فصلَّىٰ الله عليكَ حياً وميتاً.

---

(١) رواه الكليني عن أبي الحسن علي الهادي عليه السلام. وذكره الشيخ القمي في مفاتيح الجنان. ص٤٦٨، طبع دار الرَّسول الأكرم صلى الله عليه وآله. لبنان، بيروت ١٩٩٦.

وقال عليه السلام: تضع خدك الأيمن على القبر وتقول؛: أشهد أنك على بينة من ربك، جئت مقراً بالذنوب، لتشفع لي عند ربك، يابن رسول الله.

ثم قال عليه السلام: ثم تقول قاصداً الأئمة عليهم السلام: أشهد أنكم حجج الله.

وتقول: اكتب لي عندك ميثاقاً وعهداً، إني أتيتك مجدداً الميثاق، فاشهد لي عند ربك، إنك أنت الشاهد[1].

ومن وصاياه عليه السلام في السفر كما روى السيد ابن طاوس في أمان الأخطار، عن أبي محمد القاسم بن علاء عن الصافي خادم الإمام علي التقي عليه السلام أنَّه قال: استأذنته في الزيارة إلى طوس، فقال لي: يكون معك خاتم فصه عقيق أصفر، عليه ما شاء الله لا قوَّة إلاَّ بالله استغفر الله، وعلى الجانب الآخر: محمد وعلي، فإنَّه أمان من القطع، وأتم للسلامة، وأصون لدينك.

قال الصافي: فخرجت وأخذت خاتماً على الصفة التي أمرني عليه السلام بها، ثم رجعت إليه لوداعه، فودعته وانصرفت، فلما بعدت أمر بردّي، فرجعت إليه، فقال عليه السلام: يا صافي، قلت: لبيك يا سيدي، قال عليه السلام: ليكن معك خاتم آخر من فيروزج، فإنَّه يلقاك في طريقك أسد بين طوس ونيشابور، فيمنع القافلة من المسير، فتقدم إليه وأره الخاتم، وقل له: مولاي يقول لك: تنح عن الطريق، ثم قال عليه السلام: ليكن نقشه: الله الملك، وعلى الجانب الآخر: الملك لله الواحد القهار، فإنَّ خاتم أمير المؤمنين عليه السلام كان

---

(١) رواه الكليني عن الإمام الهادي عليه السلام. وذكره الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان: ص٥٤٥.

عليه: الله الملك، فلما ولي الخلافة نقش على خاتمه: الملك لله الواحد القهار، وكان فصه فيروزج، وهو أمان من السباع خاصة، وظفر في الحرب.

قال الخادم: فخرجت في سفري ذلك، فلقيني والله السبع، ففعلت ما أُمرت به، فلما رجعت حدثته، فقال عليه السلام لي: بقيت عليك خصلة لم تحدثني بها، إن شئت حدثتك بها، فقلت: يا سيدي، أذكر عليَّ لعلي نسيتها، فقال عليه السلام: نعم، بت ليلة بطوس عند القبر، فصار إلى القبر قوم من الجن لزيارته، فنظروا إلى الفص في يدك، وقرأوا نقشه، فأخذوه عن يدك، وصاروا به إلى عليل لهم، وغسلوا الخاتم بالماء، وسقوه ذلك الماء فبرىء، وردوا الخاتم إليك، وكان في يدك اليمنى، فصيروه في يدك اليسرى، فكثر تعجبك من ذلك، ولم تعرف السبب فيه، ووجدت عند رأسك حجراً ياقوتاً، فأخذته وهو معك، فاحمله إلى السوق، فإنك ستبيعه بثمانين ديناراً، وهو هدية القوم إليك.

قال الصافي: فحملته إلى السوق، وبعته بثمانين ديناراً كما قال سيدي عليه السلام.

وروي عن موسى بن عبد الله النخعي أنَّه قال للإمام علي التقي عليه السلام: علمني يابن رسول الله صلى الله عليه وآله، قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت أحداً منكم، فقال له الإمام عليه السلام: إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين أي قل: أشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً صلَّىٰ الله عليه وآله عبده ورسوله، ثم قال عليه السلام له: وأنت على غسل، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل: الله أكبر، ثلاثين مرَّة، ثم امش قليلاً وعليك السكينة والوقار،

وقارب بين خطاك، ثم قف وكبر الله عزَّ وجل، ثلاثين مرَّة، ثم ادن من القبر وكبر الله، أربعين مرَّة، تمام مائة تكبيرة ثم قل: السلام عليكم يا أهل بيت النُّبوَّة، وموضع الرِّسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، وقادة الأُمم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب الإيمان، وأُمناء الرَّحمٰن، وسلالة النَّبيِّين، وصفوة المرسلين، وعترة خيرة رب العالمين، ورحمة الله وبركاته.

السلام على أئمة الهدىٰ، ومصابيح الدجىٰ، وأعلام التقىٰ، وذوي النهىٰ، وأولي الحجىٰ، وكهف الورىٰ، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلىٰ، والدعوة الحسنىٰ، وحجج الله على أهل الدنيا، والآخرة والأولىٰ[1]، ورحمة الله وبركاته.

السلام على الأئمة الدعاة، والقادة الهداة، والسادة الولاة، والذادة الحماة، وأهل الفكر، وأولي الأمر، وبقية الله وخيرته، وحزبه وعيبة علمه، وحجَّته وصراطه، ونوره وبرهانه، ورحمة الله وبركاته.

أشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله، وحده لا شريك له، كما شهد الله لنفسه، وشهدت له ملائكته، وأولوا العلم من خلقه، لا إلٰه إلاَّ هو

---

(١) ذكر السيد عبد الله شبر في كتابه مصابيح الأنوار: ج٢، ص٣٠٣، قال: وفي المراد بلفظ الأولى خفاء، ويمكن توجيهه بوجوه: الأوَّل: أن يكون المراد بها، النشأة الأولىٰ التي في عالم الذر وخلق الأرواح قبل الأبدان، بألفي عام، فإنَّ الله احتجَّ عليهم بهم عليهم السلام، كما ورد في الحديث أنَّه قال لهم: ألست بربكم، ومحمد نبيكم، وعلي إمامكم. الثاني: أن تكون الأولىٰ صفة الحجج، فإنَّهم عليهم السلام أولىٰ الحجج. الثالث: أن يكون أتىٰ به لتأكيد الدنيا أو لرعاية السجع، أو المراد أهل الملة الآخرة وأهل الملة الأولىٰ. الرابع: أن يقرأ الأولىٰ بأفعل التفضيل، فإنَّهم أكمل حجج الله تعالىٰ على خلقه.

العزيز الحكيم، وأشهد أنَّ محمداً عبده المنتجب، ورسوله المرتضىٰ، أرسله بالهدىٰ ودين الحق، ليظهره على الدِّين كله، ولو كره المشركون، وأشهد أنكم الأئمة الراشدون، المهديون المعصومون المكرمون، المقربون المتقون الصادقون، المصطفون المطيعون لله، القوامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته، اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسِّره، واجتباكم بقدرته، وأعزكم بهداه، وخصكم ببرهانه، وانتجبكم لنوره (بنوره)، وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته، وأنصاراً لدينه، وحفظة لسِّره، وخزنة لعلمه، ومستودعاً لحكمته، وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشهداء على خلقه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزلل، وآمنكم من الفتن، وطهَّركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس، وطهَّركم تطهيراً، فعظمتم جلاله، وأكبرتم شأنه، ومجدتم كرمه، وأدمتم ذكره، ووكدتم ميثاقه (وذكرّتُمْ ميثاقه)، وأحكمتم عقد طاعته، ونصحتم له في السِّر والعلانية، ودعوتم إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه (في حبه)، وأقمتم الصلاة، وأتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حقَّ جهاده، حتى أعلنتم دعوته، وبينتم فرائضه، وأقمتم حدوده، ونشرتم شرائع أحكامه، وسننتم سنته، وصرتم في ذلك منه إلى الرضا، وسلمتم له القضاء، وصدقتم من رسله من مضىٰ، فالراغب عنكم مارق، واللازم لكم لاحق، والمقصر في حقكم زاهق، والحق معكم وفيكم، ومنكم وإليكم، وأنتم أهله ومعدنه، وميراث النُّبوَّة عندكم، وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، وفصل الخطاب عندكم،

وآيات الله لدينكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وأمره إليكم، من والاكم فقد والىٰ الله، ومن عاداكم فقد عادىٰ الله، ومن أحبكم فقد أحب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، أنتم الصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة، والباب المبتلي به الناس، من آتاكم نجا، ومن لم يأتكم هلك، إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلمون، وبأمره تعملون، وإلى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون، سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضل من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، من اتبعكم فالجنَّة مأواه، ومن خالفكم فالنَّار مثواه، ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك، ومن ردَّ عليكم في أسفل درك من الجحيم، أشهد أن هذا سابق لكم فيما مضىٰ، وجار لكم فيما بقي، وأنَّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهرت بعضها من بعض، خلقكم الله أنواراً، فجعلكم بعرشه محدقين، حتى مَنَّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وجعل صلاتنا (صلواتنا) عليكم، وما خصّنا به من ولايتكم، طيباً لخلقنا، وطهارة لأنفسنا، وتزكية لنا، وكفارة لذنوبنا، فكنَّا عنده مسلمين بفضلكم، ومعروفين بتصديقنا إياكم، فبلغ الله بكم أشرف محل المكرمين، وأعلىٰ منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقىٰ ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دني ولا فاضل، ولا مؤمن صالح، ولا فاجر طالح، ولا جبَّار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلاَّ عرفهم

جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم، ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه...[1].

ثم قال الأب لأبنائه: أما ترون أني قد تعبت يا أبنائي؟

فقال الابن الأكبر: كفانا اليوم ما حدثتنا يا أبي، وجزاك الله عنَّا خيراً.

فقام الأب، وقام الأبناء وودع كل منهم الآخرين متمنين لهم ليلة سعيدة.

(١) ذكر الزيارة الجامعة هذه الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان: ص٦٧٧، وقد أوردت الزيارة هنا غير كاملة، فأرجوا مراجعتها في كتاب مفاتيح الجنان، وقراءتها والدوام عليها لما لها من الأهمية والشأن.

اليوم الخامس

من فضائل الإمام علي الهادي (ع)

كانت الجلسة قد اكتملت منذ دقائق، وكان الأب صامتاً متفكراً وكأنه يبحث عن بداية يبتدىء بها حديث هذا اليوم، وكان الأبناء كذلك صامتين لا يجرؤ أحد منهم على الحديث احتراماً لصمت أبيهم، وبينما هم كذلك قال الأب: اعلموا يا أبنائي إن لله تعالىٰ فضائل كثيرة وعديدة على آل البيت النبوي الأطهار خصهم بها دون المسلمين، وخير مثال على ذلك ما جاء في كتابه العزيز من قول الله جلَّ جلاله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[1]، وسبق وأن ذكرت لكم ما أخرجه أبو الحسن المغازلي عن الإمام الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام أنَّه قال: نحن الناس والله[2].

ثم قال الأب: ولو عدنا لكتابا لله تعالى وقرأنا الآيات التي سبقت هذه الآية، حيث قال الله جلَّ جلاله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

---

(١) سورة النساء: الآية: ٥٤.

(٢) إسعاف الراغبين هامش نور الأبصار: للشبلنجي، ص١٠٩. والصواعق: لابن حجر، ص١٥٢.

نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[1]، ولو حاولنا فهم تفسير هذه الآيات الكريمات نجد ذلك يسيراً من خلال حديث الإمام الباقر عليه السلام حينما سأله بريدة العجلي: عن قوله عزَّ وجل: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ فقال عليه السلام: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾، يقولون لأئمة الضلال والدعاة إلى النّار هؤلاء أهدىٰ من آل محمَّد سبيلاً، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ...﴾ يعني الإمامة والخلافة ﴿فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ ونحن الناس المحسدون على ما آتانا الله من الإمامة دون خلقه، ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ يقول: جعلنا منهم الرُّسل والأنبياء والأئمة فكيف يقرون به في آل إبراهيم وينكرونه في آل محمَّد، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾[2].

ثم قال الأب: وممَّا لا يخفى أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله من ذرية إبراهيم عليه السلام، وأنَّ آل محمَّد صلى الله عليه وآله من آل إبراهيم عليه السلام، وهذا يعني أنَّ الآية تعنيهم حينما قال الله تعالىٰ: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ

---

(١) سورة النساء: الآية: ٥١ ـ ٥٤.

(٢) المراجعات: للسيد شرف الدين، هامش ص٦٣، تحت رقم ٣.

ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، وقوله تعالىٰ آتينا آل إبراهيم الكتاب، يعني به جلَّ جلاله علم الكتاب الذي فيه تفسير كل شيء، ولو لم يكن عندهم هذا العلم لما أمر الله عباده بسؤالهم حين قال تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

إذاً فآل البيت النبوي الأطهار خصهم الله تعالىٰ بعلم الكتاب الذي فيه تفسير كل شيء، وكذلك بالحكمة والإمامة، ثم قضىٰ سبحانه تعالىٰ بتطهيرهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

ثم قال الأب: والإمام الهادي علي بن محمد عليه السلام واحداً من الأئمة الذين خصهم الله تعالىٰ بعلم الكتاب والحكمة والإمامة والتطهير، كما خص جلَّ جلاله آباءه وأجداده، وخص ابنه الإمام الحسن العسكري وقائم آل محمَّد المنتظر عليهما السلام لم يخف فضل آل البيت عليهم السلام على أحد من الناس، وقد ذكرهم بأعلىٰ مراتب الفضل الكثير، ومنهم ابن الصباغ المالكي قال في فضل الإمام الهادي عليه السلام وأفضليته ما نصه: فضل أبي الحسن علي الهادي قد ضرب على المجرة قبابه، ومدَّ على نجوم السماء أطنابه، وما تعد منقبة إلاَّ وله أفخرها، ولا تذكر مكرمة إلاَّ وله فضيلتها، ولا تورد محمدة إلاَّ وله تفصيلها وجملتها، استحق ذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرد بخصائصه، ومجد حكم فيه على طبعه الكريم، بحفظه من المشوب حفظ الراعي لقلائصه، فكانت نفسه مهذبة، وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة، وأفعاله فاضلة، والمعروف بوجود وجوده عامر آهل، وهو من الوقار والسكون والطمأنينة والفقه والنزاهة والزهادة والنباهة على السيرة النبوية، العلوية، ونفس زكية، وهمة عالية، لا يقاربها

أحد من الأنام؛ ولا يدانيها، وطريقة خشنة مرضية لا يشاركه فيها خلق، ولا يطمح فيها[1].

وكمثال على علمه عليه السلام ما روي عن زرافة حاجب المتوكل العباسي أنَّه قال: كان المتوكل لحظوة الفتح ابن خاقان عنده، وقربه منه دون الناس جميعاً، ودون ولده وأهله، أراد أن يبين موضعه لهم، فأمر جميع مملكته من الأشارف من أهله وغيرهم، والوزراء وسائر العساكر، ووجوه الناس، أن يزينوا بأحسن زينة، ويظهروا في أفخر عددهم وذخائرهم، ويخرجوا مشاة بين يديه، وأن لا يركب أحد إلاَّ وهو والفتح بن خاقان خاصة بسر من رأى، ومشى الناس بين أيديهما على مراتبهم رجالةً، وكان يوماً قايضاً شديد الحر، وأخرجوا في جملة الأشراف الإمام علي بن محمد عليه السلام، فشق عليه ما لقيه من الحر، والزحمة.

قال زرافة، فأقبلت إليه، وقلت له: يا سيدي، يعز والله عليَّ ما تلقىٰ من هذه الطغاة، وما قد تكلفته من المشقة، وقال زرافة: وأخذت بيده عليه السلام فتوكأ عليَّ وقال: يا زرافة، ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني، أو قال بأعظم قدراً مني[2].

وفي رواية أخرى قال عليه السلام: في هذا العالم من قلامة ضفره أكرم على الله من ناقة ثمود وفصيلها.

قال زرافة: ولم أزايله وأستفيد منه وأحادثه، إلى أن نزل المتوكل من الركوب، وأمر الناس بالانصراف، فقدمت إليهم

---

(١) الفصول المهمة: لابن الصباغ المالكي.

(٢) روى ذلك السيد ابن طاوس في المهج.

دوابهم، فركبوا إلى منازلهم، وقدمت بغلة فركبها عليه السلام وركبت معه إلى داره، فنزل عليه السلام وودعته وانصرفت إلى داري، وكان لولدي مؤدب يتشيع، من أهل العلم والفضل، وكانت لي عادة بإحضاره عند الطعام، فحضر عند ذلك، وتجارينا الحديث وما جرى من ركوب المتوكل والفتح بن خاقان، ومشي الأشراف وذوي الأقدار بين أيديهما، وذكرت له ما شاهدته وسمعته من قول الإمام علي بن محمد عليه السلام، وكان المؤدب يأكل معي، فرفع يده وقال: بالله إنك سمعت هذا اللفظ منه عليه السلام؟

قال زرافة: فقلت: والله إني سمعته يقوله.

فقال لي المؤدب: اعلم، إن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام ويهلك، فانظر في أمرك، واحرز ما تريد إحرازه، وتأهب لأمرك كي لا يفجؤوك هلاك هذا الرجل، فتهلك أموالكم بحادثة تحدث، أو سبب يجري.

قال زرافة: من أين لك ذلك؟

فقال المؤدب: أما قرأت القرآن في قصة الناقة وقوله تعالىٰ: ﴿تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾، ولا يجوز أن يبطل قول الإمام.

قال زرافة: فوالله، ما جاء اليوم الثالث، حتى هجم المنتصر، ومعه بغاء ووصيف والأتراك، على المتوكل فقتلوه وقطعوه، والفتح بن خاقان جميعاً قطعاً، حتى لم يعرف أحدهما من الآخر، وأزال الله نعمته ومملكته، فلقيت الإمام أبا الحسن عليه السلام بعد ذلك، وعرفته ما جرى مع المؤدب، وما قاله، فقال عليه السلام: صدق، إنه لما بلغ مني الجهد رجعت إلى كنوز نتوارثها من آبائنا، هي أعز من

الحصون والسلاح والجنن، وهو دعاء المظلوم على الظالم، فدعوت به عليه، فأهلكه الله.

ثم قال الأب: وهناك أحاديث وروايات عدَّة تنم عن فضل للإمام الهادي عليه السلام كبير، وعلم له عليه السلام كثير، وكل ذلك من فضل الله تعالىٰ يؤتيه من اصطفاه من عباده.

فقال الابن الأكبر: حدثنا عن بعضها يا أبي.

فقال الأب: في رواية عن إبراهيم بن محمد الطاهري قال فيها: مرض المتوكل من خراج به، فأشرف منه على التلف، فلا يجسر أحد أن يمسه بحديدة، فنذرت أمه إن عوفي أن تحمل إلى أبي الحسن علي بن محمد عليهما السلام مالاً جليلاً من مالها.

فقال له الفتح بن خاقان: لو بعثت إلى هذا الرجل (يعني أبا الحسن عليه السلام) فسألته، فإنه ربما كان عنده صفة شيء يفرج الله به عنك، قال المتوكل: ابعثوا إليه.

فمضى الرسول، ورجع فقال خذوا كُسب الغنم (لعلَّ المراد منه ممَّا يتلبد من السوقين تحت أرجل الشاة)، فذيفوه بماء الورد (أي اخلطوه بماء الورد) وضعوه على الخراج، فإنَّه نافع بإذن الله.

فجعل من بحضرة المتوكل يهزأوا من قوله، فقال لهم الفتح بن خاقان: وما يضر من تجربة ما قال؟ فوالله إني لأرجو الصلاح فيه، فعوفي.

بشرت أم المتوكل بعافيته، فحملت إلى أبي الحسن عليه السلام عشرة آلاف دينار تحت ختمها، ولما استقل المتوكل من علَّته كان قد سعى البطحائي بأبي الحسن عليه السلام إلى المتوكل، فقال له: إن عنده سلاح

وأموال، فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً، ويأخذ ما يجد عنده من الأموال والسلاح، ويحمل إليه.

فقال إبراهيم بن محمد: قال لي سعيد الحاجب: صرت إلى دار أبي الحسن عليه السلام بالليل، ومعي سلم، فصعدت منه إلى السطح، ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدر كيف أصل إلى الدار، فناداني أبو الحسن عليه السلام من الدار: يا سعيد مكانك، حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن أتوني بشمعة فنزلت، فوجدت عليه جبَّة من صوف، وقلنسوتها منها، وسجادة على حصير بين يديه، وهو مقبل على القبلة، فقال لي: دونك البيوت، فدخلتها وفتشتها، فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدرة مختومة بخاتم أم المتوكل، وكيساً مختوماً معها، فقال أبو الحسن عليه السلام: دونك المصلى، فرفعته فوجدت سيفاً في جفن غير ملبوس، فأخذت ذلك وصرت إلى المتوكل، فلما نظر إلى خاتم أمه على البدرة، بعث إليها فخرجت إليه، فسألها عن البدرة، فأخبرني بعض الخدم أنها قالت له: كنت نذرت في علتك إن عوفيت أن أحمل إليه من مالي عشرة آلاف دينار، فحملتها إليه وهذا خاتمي على الكيس ما حركها، وفتح الكيس الآخر، وكان فيه أربعمائة دينار، فأمر المتوكل أن يضم إلى البدرة بدرة أخرى، وقال لي: احمل ذلك الكيس إلى أبي الحسن عليه السلام، واردد عليه السيف والكيس بما فيه.

قال إبراهيم قال سعيد: فحملت ذلك إليه، واستحييت منه، وقلت: يا سيدي، عزَّ عليَّ دخولي دارك بغير إذنك، ولكني مأمور به، فقال عليه السلام لي: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

فقال الابن الأكبر: الذي آراه يا أبي أن البلاء الذي حلَّ بآل البيت النبوي الأطهار من الحكَّام كان للمنافقين والساعين اليد الطولى فيه، لأنهم من بغضهم لآل البيت ورغبتهم في التقرب إلى السلطان يلقون على مسامع السلطان ما يثير النار المتأججة في صدره، والتي أوجدها بغضه وحسده وخوفه على الحكم والجاه الذي هو فيه.

فقال الأب: ما تقوله كان قد حصل بالفعل يا ولدي، فكثيراً ما حاول المبغضين السعاية والإفساد وهم بفعلهم هذا يضربون عصفورين بحجر واحد كما يقول المثل، أي أنهم يسببون الأذىٰ لمن هم مبغضين لهم، وكذلك يتملقون للسلطان في ذكر ما يسيىء إلى من كان السلطان مبغضاً لهم أصلاً.

فمن قول لرسول الله ﷺ: من أشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق، شانه الله في النَّار يوم القيامة.

ثم قال الأب: فهم بهذا الجزاء سيكونون يوم القيامة على ما كان منهم من سعاية، وليس ذلك لأنهم كانوا قد سعوا بآل البيت عليهم السلام، وإنما هو جزاء كل من سعى في مؤمن بغير حق وبغير ذنب كان قد أذنبه، وهو واحد من أنواع الظلم للعباد، والظلم كما سبق وإن تحدثنا عنه أنه صفة مذمومة، لا يتصف بها مؤمن صادق البتة.

ثم قال الأب: قال الله تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾[1].

---

(١) سورة المجادلة: الآية: ٦.

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[2].

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

من هذه الآيات يا أولادي نفهم ما سيؤول الأمر بكل من ظلم، سواء نفسه بعدم إيمانه وصلاحه وانتهاجه سنَّة الله ورسوله، أو ظلم الآخرين من الناس، وما كان ذلك منهم إلاَّ أن سوَّلت لهم أنفسهم أمراً فصبراً جميلاً والله المستعان.

ثم نهض الأب من مجلسه وهو يقول: وإلى غد إن شاء الله يا أبنائي.

---

(١) سورة الكهف: الآية: ٤٩.

(٢) سورة الحجر: الآية: ٩٢ ـ ٩٣.

(٣) سورة الأنبياء: الآية: ٤٧.

اليوم السادس

مناقب الإمام علي الهادي (ع)

حينما يتعرّف الإنسان المسلم على بعض تفاصيل حياة الأئمة الأطهار عليهم السلام، وينظر بعقله وفكره كبر إيمانهم، وصدق عبادتهم، ووفائهم لدينهم الذي ارتضاه الخلاَّق العظيم لعباده الصالحين، يتبين صغر أعمالنا، وضآلة مقدارنا، وتقصيرنا اتجاه خالقنا جلَّ جلاله، وعدم وفائنا في تقديم ما يتوجب علينا تقديمه لهادينا إلى طريق التوحيد والفضيلة رسول الله صلى الله عليه وآله، فتهيم أنفسنا في بيداء الندم وتعذيب الضمير ومحاولة الاستقامة وإخلاص العبادة، ومهما حاولنا، ومهما أصلحنا من ذاتنا وأعمالنا، يبقى الصراع في داخلنا بين الخوف والرجاء، وبين الرفض والقبول، وبين الثواب والعقاب، خوف من العذاب وسوء المنقلب، ورجاء بالعفو والغفران، إلاَّ أنَّ الضمير لا يهدأ له لوم وتعذيب بما أسرفنا، وخوفنا من رفض خالقنا لأعمالنا، وأملنا في قبوله جلَّ جلاله رحمة منه تعالىٰ بعبده وقضاؤه على نفسه بالغفران لمن يخلص التوبة والإنابة، فننال منه جلَّ جلاله ثواباً على ما استقرت به أنفسنا من الرجاء بغفرانه تعالىٰ وعفوه، فنسلم من عقابه وعذابه، فهو سبحانه حسبنا ونعم الوكيل ونعم

الرَّحمٰن الرحيم الذي لا يخيب راجياً، ولا يردّ سائلاً، ولا يفشل تائباً التجأ إليه، فنسأله تعالىٰ بعظمته التي هو عليها، أن لا يخيب لنا رجاء، ولا يردّ لنا سؤال، ولا يفشلنا في التجائنا إليه بعد أن أيقنا بسوء أعمالنا، وتعرفنا على إفراطنا، ونرجوه جلَّ جلاله ونتوسل إليه ونقول قول سيدنا وإمامنا أمير المؤمنين عليه السلام.

إلٰهي، أنت ربي وأنا عبدك، آمنت بك مخلصاً لك على عهدك ووعدك ما استطعت، أتوب إليك على عهدك من سوء عملي، واستغفرك لذنوبي التي لا يغفرها غيرك.

أصبح ذلي مستجيراً بعزتك، وأصبح فقري مستجيراً بغناك، وأصبح جهلي مستجيراً بحلمك، وأصبحت قلَّة حيلتي مستجيرة بقدرتك، وأصبح خوفي مستجيراً بأمانك، وأصبح دائي مستجيراً بدوائك، وأصبح سقمي مستجيراً بشفائك، وأصبح حيني مستجيراً بقضائك، وأصبح ضعفي مستجيراً بقوتك، وأصبح ذنبي مستجيراً بمغفرتك، وأصبح وجهي الفاني البالي مستجيراً بوجهك الباقي الدائم الذي لا يبلىٰ ولا يفنىٰ...[1].

إلٰهي، ارحم غربتنا إذا تضمنتنا بطون لحودنا، وعميت علينا باللبن سقوف بيوتنا، وأُضجعنا على الأَيمان في قبورنا، وخُلفنا فُرادىٰ في أضيق المضاجع، وصرعتنا المنايا في أنكر المصارع، وصرنا في ديار قوم كلها مأهولة وهي منهم بلاقع.

إلٰهي، فإذا جئناك عراة مغبرة من ثرى الأجداث رؤوسنا، وشاحبة من تراب الملاحد وجوهنا، وخاشعة من أهوال القيامة

---

(١) أخذنا ذلك من دعائه عليه السلام كما ورد في الصحيفة الأولى: ص١٢٩، رقم ٥٣.

أبصارنا، وجائعة من طول القيام بطوننا، وبادية هناك للعيون سوءاتنا، ومثقلة من أعباء الأوزار ظهورنا، ومشغولين بما دهانا عن أهلينا وأولادنا، فلا تضاعف علينا المصائب بإعراض وجهك الكريم عنَّا، وسلب عائدة ما مثله الرجاء منَّا...

يا خير من دعاه داع، وأفضل من رجاه راج، بذمة الإسلام أقبلت إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبمحمَّد أتقرب إليك، فصلِّ على محمَّد، وعلى آل محمَّد، واعرف لي ذمتي التي بها رجوت قضاء حاجتي، واستعملني بطاعتك، واختم لي بخير، واعتقني من النَّار، واسكني الجنَّة، ولا تفضحني بسريرتي حياً ولا ميتاً، وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك، وارض عبادك عني في مظالمهم قِبَلي، واجعلني ممَّن رضيت عنه، فحرمته على النَّار والعذاب، واصلح لي كل أُموري التي دعوتك فيها في الآخرة والدنيا.

يا حنَّان يا منَّان، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، يا من له الخلق والأمر، تباركت يا أحسن الخالقين، يا رحيم، يا كريم، يا قدير، صلِّ علىٰ محمَّد وعلى آله الطيبين، وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته، إنه حميد مجيد[1].

وهنا التفت الأب لأبنائه فوجدهم واجمين منكسرين، تترقرق في عيونهم دموع لم تشأ أن تسيل على الخدود، فسألهم الأب بلهفة كبيرة: ما بكم؟

فقال الابن الأكبر: لا شيء يا أبي، ولكن ما بك أنت؟ فإنا نراك وكأنَّ شيئاً كبيراً قد أهمك وشغل بالك.

---

(١) أخذت ذلك من مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام كما رواه القضاعي.

فقال الأب: وقد اطمأن إلى أنَّ أبناؤه لا شيء يقلقه أصابهم: كنت أتفكر يا أبنائي بعظمة آل البيت النبوي الأطهار عليهم السلام، ودنو الآخرين من الناس.

فقال الابن الأكبر: ولماذا لا تحدثنا عن بعض هذه العظمة يا أبي؟

فقال الأب: سبق وأن حدثتكم عن عظمتهم عليهم السلام، وسأبقىٰ أحدثكم كلَّما وجدت لذلك سبباً، فهم أسوتنا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وبرسول الله صلى الله عليه وآله نتوسل إلى الله تعالىٰ في أن يهدينا سواء السبيل الذي يرتضيه سبحانه وتعالىٰ لعباده الصالحين.

ثم قال الأب: وللتعرف على عظمة الإمام علي الهادي عليه السلام مثلاً، علينا أن نطرق أبواب مناقبه عليه السلام والذي منها ما روي عن جماعة كثيرين قالوا: كانت زينب الكذَّابة تزعم أنها ابنة علي بن أبي طالب عليه السلام.

فاحضرها المتوكل العباسي وقال لها: اذكري نسبك، فقالت: أنا زينب ابنة علي، وأنَّها حملت إلى الشام فوقعت إلى بادية من بني كليب، فأقامت بين ظهرانيهم، فقال لها المتوكل، إن زينب بنت علي قديمة، وأنت شابة؟

فقالت: لحقتني دعوة رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه يرد شبابي في كل خمسين سنة.

فدعى المتوكل وجوه آل أبي طالب، فقال: كيف يعلم كذبها؟ فقال الفتح بن خاقان: لا يخبرك بهذا إلاَّ ابن الرِّضا عليه السلام (يعني الإمام علي الهادي عليه السلام).

فأمر المتوكل بإحضار الإمام علي الهادي عليه السلام، وسأله:

فقال الإمام علي الهادي عليه السلام: إن في ولد علي عليه السلام علامة.

قال المتوكل: وما هي؟

قال الإمام عليه السلام: لا تعرض لهم السباع، فالقها إلى السباع، فإن لم تعرض لها فهي صادقة.

فقال المتوكل لها: ما تقولين؟ قالت: إنَّه يريد قتلي.

فقال الإمام الهادي عليه السلام: فهنا جماعة من ولد الحسن والحسين عليهما السلام، فانزل من شئت منهم.

قال الراوي: فوالله، لقد تغيرت وجوه الجميع، فقال بعض المبغضين: هو يحيل على غيره، لمَ لا يكون هو؟

فقال المتوكل وقد رجا أن يذهب أبي الحسن عليه السلام من غير أن يكون له في أمره صنع: يا أبا الحسن، لمَ لا تكون أنت ذلك؟

فقال عليه السلام: ذاك إليك، فقال المتوكل: افعل.

قال الراوي: فأتي بسلم وفتح عن السباع وكانت ستة من الأسد، فنزل أبو الحسن عليه السلام إليها، فلما دخل إليها وجلس صارت الأسود إليه، فرمت بأنفسها بين يديه، ومدت بأيديها، ووضعت رؤوسها بين يديه، فجعل عليه السلام يمسح على رأس كل واحد منها، ويشير إليه بيده إلى الاعتزال، فيعتزل ناحية، حتى اعتزلت كلها، وقامت بإزائه.

فقال للمتوكل وزيره: ما هذا صواباً، فبادر بإخراجه من هناك قبل أن ينتشر خبره.

فقال المتوكل للإمام عليه السلام: يا أبا الحسن، ما أردنا بك سوء، وإنما أردنا أن نكون على يقين ممَّا قلت، فأحب أن تصعد.

فقام الإمام الهادي عليه السلام وصار إلى السلم، والأسود من حوله تتمسح بثيابه، فلما وضع رجله على أول درجة التفت إليها، وأشار بيده أن ترجع، فرجعت وصعد عليه السلام، فقال عليه السلام: كل من زعم أنه من ولد فاطمة عليها السلام فليجلس في ذلك المجلس، فقال المتوكل للمرأة: انزلي، فقالت: الله الله ادعيت بالباطل، وأنا بنت فلان، حملني الضر على ما قلت.

فقال المتوكل: القوها إلى السباع، فاستوهبتها والدته، وفي رواية: أنها طرحت للسباع فأكلتها[1].

ثم قال الأب: ومن مناقبه عليه السلام أيضاً ما روي عن ابن أرومة قال: خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى، فدخلت على سعيد الحاجب، وكان المتوكل قد دفع أبا الحسن عليه السلام إليه ليقتله، فلما دخلت عليه قال: أتحب أن تنظر إلى إلٰهك؟ قال ابن أرومة: فقلت: سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار، فقال سعيد: هو الذي تزعمون أنه إمامكم، قال ابن أرومة: فقلت: ما أكره ذلك، قال سعيد الحاجب: قد أمرت بقتله، وأنا فاعله غداً، وعنده صاحب البريد، فإذا خرج فادخل إليه.

قال ابن أرومة: فلم ألبث أن خرج، فقال سعيد: ادخل، فدخلت الدار التي كان فيها الإمام عليه السلام محبوساً، فإذا بحياله قبر

---

(١) روى ذلك ابن شهرآشوب في المناقب. وكذلك القطب الراوندي. وذكر الرواية السيد عبد الله شبر في كتابه جلاء العيون: ج٣، ص١٢٧. وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص٢٠٣، بتصرف.

محفور، فدخلت وسلَّمت وبكيت بكاءً شديداً، فقال الإمام عليه السلام: ما يبكيك؟ فقلت: لما أرى، فقال عليه السلام: لا تبك لذلك، لا يتم لهم ذلك، قال ابن أرومة: فسكن ما كان بي، ثم قال الإمام الهادي عليه السلام: إنه لا يلبث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته فقال ابن أرومة: فوالله، ما مضىٰ غير يومين حتى قتل المتوكل[1].

ثم قال الأب: وفي رواية عن صقر بن أبي دلف الكرخي قال: لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام، جئت اسأل عن خبره، فنظر إليَّ الزراقي وكان حاجباً للمتوكل، فأمر أن أدخل إليه، فأدخلت إليه فقال: يا صقر ما شأنك؟ فقلت: خيراً أيُّها الأستاذ، فقال: اقعد.

قال صقر: فأخذني ما تقدم وما تأخر، وقلت أخطأت في المجيىء، ثم وجيء الناس عنه، فقال لي: ما شأنك؟ وفيم جئت؟ قلت: لخير ما، فقال الزراقي لي: لعلَّك تسأل عن خبر مولاك؟ قال صقر: فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين، فقال: اسكت، مولاك هو الحق، فلا تحتشمني، فإني على مذهبك، فقلت: الحمد لله، فقال: أتحب أن تراه؟ فقلت: نعم، قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده، قال صقر: فجلست، فلما خرج، قال لغلام له: خذ بيد صقر، وادخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، وخل بينه وبين الحجرة، ثم قال صقر: فادخلني الحجرة، وأومأ إلى بيت فدخلت، فإذا هو عليه السلام جالس على صدر حصير، وبحذائه قبر محفور، قال صقر: فسلَّمت عليه، فردَّ عليَّ،

---

(١) رواها الراوندي في الخرائج عن ابن أرومة.

ثم أمرني بالجلوس، ثم قال عليه السلام لي: يا صقر، ما أتىٰ بك؟ قلت: سيدي، جئت أتعرف خبرك، قال صقر: ثم نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر عليه السلام إليَّ فقال: يا صقر، لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء الآن، قال صقر: فقلت: الحمد لله، ثم قلت: يا سيدي: وذكر سؤالاً وجواباً إلى أن قال: ثم قال عليه السلام: ودع واخرج، فلا آمن عليك[1].

ثم قال الأب: وكما سبق وأن ذكرت لكم: أنَّ ليس المتوكل وحده من حاول قتل الإمام علي الهادي عليه السلام، وإنما فعل ذلك كل من جاء بعد المتوكل، وما ذكرنا لفعال المتوكل إلاَّ لتكون نموذجاً لما كان يجري على آل البيت عليهم السلام من الخلفاء العباسيين، إلاَّ أن الله تبارك وتعالىٰ كان يظهر للناس من أفضال آل البيت وكراماتهم ومناقبهم كي يكون كل ذلك حجَّة على الناس يوم القيامة، ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾[2].

فقال الابن الأكبر: ثم كان قضاء الله تعالىٰ أن يستشهد الإمام علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرِّضا عليهم السلام على يد المعتمد العباسي.

فقال الأب: نعم يا ولدي، وكان ذلك في سامراء، ودفن عليه السلام في داره، في يوم الاثنين ثالث شهر رجب، كما روي عن علي بن إبراهيم وابن عياش، أما ابن الخشاب فقال: إن وفاته عليه السلام كانت خامس وعشرين من شهر جمادى الآخرة. وفي

---

(١) رواه الصدوق في العلل والخصال عن صقر بن أبي دلف الكرخي.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ١٦١.

رواية أخرى أنَّ وفاته عليه السلام كانت في السابع والعشرين من جمادى الآخرة، وقيل في السادس والعشرين منه، وكان له عليه السلام من العمر حينئذٍ أربعين سنة، وفي رواية إحدىٰ وأربعين سنة وأشهر.

فقال الابن الأكبر: وكم كان له من الأولاد يا أبي؟

فقال الأب: هذا ما سنتحدث عنه يوم غد إن شاء الله تعالىٰ.

اليوم السابع

خصائص الإمام الهادي (ع)

كان الابن الأكبر قد خرج مع أبيه هذا اليوم، وقد دارت بينهما أحاديث شتى، وكان آخرها جواب الأب عن سؤال طرحه ابنه الأكبر عليه قائلاً: كثيراً ما سمعت منك وأنت تحدثنا اصطلاحاً تطلقه على آل بيت النبي الأطهار وهو: امتاز آل البيت عن غيرهم من الناس، أو قولك ميَّزهم الله دون غيرهم، فما تعني بكلمة امتاز آل البيت، أو ميَّزهم الله؟

فقال الأب: اعلم يا ولدي أنَّ لكل فرد من البشر صفات يعرف بها، كقولنا أن فلاناً كريماً ونقول أنَّ فلاناً شجاعاً أو أنه يأبى الضيم أو وفياً، وغير ذلك من الصفات سواء كانت من مكارم الأخلاق ومحاسن الفعال أو على العكس من ذلك، المهم أنها صفات اتصف بها ذلك الشخص، وحينما تكون هذه الصفات ميزة له نقول حينها أنه امتاز بكذا، أو أنَّ الله ميَّزه بكذا من الصفات.

وحينما تجتمع مجموعة من الصفات في شخص معين يعرفه الناس بها، نقول حينها أنَّ تلك الصفات من خصائص فلان.

فمثلاً آل البيت قد امتازوا بصفات عرفوا بها كالإيمان والاستعداد للتضحية والجهاد والصدق بالعهد والعلم وغيرها من الصفات الحميدة كالكرم والسخاء والوفاء إلى غير ذلك.

والآن دعني أسألك هل من الناس من حمل إيمان كإيمان الأئمة الأطهار من آل البيت؟

فقال الابن الأكبر: كلا بالطبع.

فقال الأب: إذاً فهم عليهم السلام قد امتازوا بالإيمان الصادق والمطلق بالله تعالىٰ، وأن ليس في الناس من حمل كإيمانهم.

فقال الابن الأكبر: الآن قد أصبح الأمر واضحاً بالنسبة لي يا أبي.

كان هذا الحديث هو الدائر بين الأب وابنه وهم في طريقهم إلى البيت، وبانتهائه كانوا قد وصلوا بيتهم ودخلوا مسلمين على من فيه، فتلقاهم الأخوة وأمهم بالترحاب، وساروا جميعاً متوجهين إلى الغرفة التي اعتادوا الجلوس فيها.

أخذ كل منهم مكانه، وبدأ الأب حديثه هذا اليوم فقال: سنتحدث اليوم عن بعض خصائص الإمام الهادي عليه السلام الذي امتاز بها على غيره من الناس في وقته.

فقال الابن الأكبر لأبيه: لماذا قلت امتاز بها على غيره من الناس في وقته؟

فقال الأب: إذا قلت امتاز بها على غيره من الناس، أكون قد أخطأت في القول، لأن ذلك سيعني كل الناس، سواء من كانوا قبله ومن كانوا في وقته وكذلك من كانوا بعده وهو عليه السلام لم يتميز على

غيره من الأئمة قبله ولا بعده لكونهم قد حملوا نفس الخصائص الذي حملها عليهم السلام، فكيف يمتاز عليهم وخصائصهم واحدة.

ثم تابع الأب حديثه فقال: إن آل البيت الأطهار هم أعلم الناس وهذا ما سبق وأن تحدثنا عنه وقدمنا أمثلة عديدة عليه، ومنها علمهم عليهم السلام بما كان وما يكون، ورثوه عن النبي صلى الله عليه وآله علمه إياه جبرئيل عليه السلام عن الله جلَّ جلاله، وكمثال على ذلك نضيفه إلى ما قدمناه من أمثلة: ما روي عن الأسباطي قال: قدمت على أبي الحسن بن محمد عليه السلام المدينة الشريفة من العراق، فقال عليه السلام: ما خبر الواثق عندك؟

فقلت: خلفته في عافية، وأنا من أقرب الناس به عهداً، وهذا مقدمي من عنده، وتركته صحيحاً.

فقال عليه السلام: إن الناس يقولون أنه قد مات.

قال الأسباطي: فلما قال عليه السلام إن الناس يقولون أنه قد مات فهمت أنه عليه السلام يعني نفسه، فسكت.

ثم قال عليه السلام: ما فعل ابن الزيات؟

قلت: الناس معه، والأمر أمره.

فقال عليه السلام: أما أنه شؤم عليه، ثم قال عليه السلام: لا بدَّ أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا جبر، إن الواثق قد مات، وجلس جعفر المتوكل، وقتل ابن الزيات.

قال الأسباطي: فما كان إلاَّ أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل إلى المدينة، فكان كما قال عليه السلام[1].

---

(١) رواه الشبلنجي في نور الأبصار: ص١٦٥ طبعة القاهرة.

ثم قال الأب: أما أن تحدثنا عن المكارم فآل البيت الأطهار هم أعلامها، وأسوة الناس فيها، فمن أمثلة كرمه عليه السلام ما رواه ابن شهرآشوب في كتابه المناقب فقال: دخل أبو عمر وعثمان بن سعيد وأحمد بن إسحاق الأشعري وعلي بن جعفر الهمداني، على أبي الحسن عليه السلام، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فقال عليه السلام: يا عمرو (وكان وكيله)، ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار.

ويروى أن أبا الحسن عليه السلام خرج من سر من رأى إلى قرية له لمهم، فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره، فلم يجده، وقيل له: انه ذهب إلى الموضع الفلاني، فقصد إلى ذلك الموضع، فلما وصل إليه، فقال عليه السلام: ما حاجتك؟ فقال الأعرابي: أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد ركبتني الديون، وأثقلت ظهري بحملها، ولم أرّ من أقصده لقضائها إلاّ أنت.

فقال أبو الحسن عليه السلام: طب نفساً وقرّ عيناً، يقضىٰ دينك إن شاء الله تعالىٰ، ثم أنزله، فلما أصبح قال عليه السلام له: يا أخا العرب، أريد منك حاجة، لا تعصيني فيها، ولا تخالفني، والله الله فيما آمرك به، وحاجتك تقضىٰ إن شاء الله تعالىٰ، فقال الأعرابي: لا أخالفك في شيء ممَّا تأمرني به، فأخذ أبو الحسن ورقة، وكتب فيها بخطه ديناً عليه للأعرابي بالمبلغ المذكور، وقال له: خذ هذا الخط معك، فإذا حضرت إلى سر من رأى فتراني أجلس، فتعال إليَّ بالخط، وطالبني، واغلظ عليَّ في القول والطلب.

فلما وصل أبو الحسن عليه السلام إلى سر من رأى، جلس مجلساً

عاماً، وحضره وجوه من الناس، وأصحاب الخليفة المتوكل، فجاء الأعرابي، وأخرج الورقة، وطالب بالمبلغ، وأغلظ عليه في الكلام، فجعل أبو الحسن عليه السلام يعتذر، ويطيب نفسه بالقول، ويعده بالخلاص، وكذلك الحاضرون، وطلب منه المهلة ثلاثة أيام، فلما انفك المجلس، نقل ذلك إلى الخليفة المتوكل، فأمر لأبي الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم، فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي، فقال عليه السلام له: خذها جميعها، فقال الأعرابي: يابن رسول الله، والله أنَّ العشرة بلوغ مطلبي، ونهاية أربي، فقال أبو الحسن عليه السلام: والله، لتأخذن ذلك جميعه، وهو رزقك ساقه الله لك، ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه، فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف، وهو يقول: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

ثم قال الأب: أما أن تحدثنا عن هيبته، فيكفي أن نقول إنَّ الله جلَّ جلاله قد اصطفاه للإمامة، وهي كافية أن تكسب صاحبها من الوقار والهيبة الشيء الكثير، ومصداق ذلك ما روي عن محمد بن الحسن الأشتر العلوي: أنه كان مع جماعة من الناس على باب المتوكل، فأقبل أبو الحسن، فترجل الناس كلهم حتى دخل عليه السلام.

فقال بعضهم لبعض: لمن نترجل؟ ألهذا الغلام؟ فما هو بأكبرنا سناً، والله، لا نترجل له مرَّة أخرى.

فقال أبو هاشم الجعفري: والله، لتترجلنَّ له إذا رأيتموه، فما هو إلاَّ أن أقبل، وبصروا به، حتى ترجل له جميع الناس في ذلك الموضع.

---

(١) رواه الشبلنجي في نور الأبصار: ص١٦٥.

فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟

فقالوا: والله، ما ملكنا أنفسنا حتى ترجلنا.

قال الأب: ولا غرابة في كل ذلك يا أبنائي ما دام قضاه الله تعالىٰ قد حصل في أن يكون الهادي علي بن محمد عليه السلام حجَّة الله في أرضه، إضافة إلى حججه من الأئمة الذين سبقوا الهادي عليه السلام، ولا ضير في أن يكون صبياً أم شاباً أم كهلاً، ما جاء ذكره على لسان أحد إلاَّ وقال فيه أحسن ما يُقال، وذكره أجمل ذكر، فهذا القطب الراوندي يقول فيه: وأما علي بن محمد الهادي، فقد اجتمعت فيه خصال الأمانة، وتكامل فضله وعلمه وخصاله الخيرة، وكانت أخلاقه كلها خارقة للعادة، كأخلاق آبائه[1].

وهذا ابن شهرآشوب قال في مناقبه: وكان (يعني الإمام الهادي عليه السلام) أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صمت علته هيبة الوقار، وإذا تكلَّم سماه البهاء، وهو من بيت الرِّسالة والإمامة، ومقر الوصية والخلافة، شعبة من دوحة النُّبوَّة منتقاة مرتضاة، وثمرة من شجرة الرِّسالة مجتناة مجتباة.

ثم قال الأب: وكل ما قيل في آل البيت النبوي الأطهار فهو دون حقهم، لأن من هو دونهم ليس بمقدوره أن يصفهم أو يؤدِّي لهم حقهم، ولكي لا نبخسهم هذا الحق نستذكر ما قاله فيهم رسول الله محمَّد صلى الله عليه وآله حين قرنهم بكتاب الله جلَّ جلاله، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحين شبههم بسفينة نوح

(١) الخرائج والجرائح: للقطب الراوندي، ج٣، ص٢٢.

التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوىٰ، وحين مثلهم بباب حطة في بني إسرائيل التي من دخلها غفر له، وحين قال فيهم ﷺ: لا تتقدموهم فتهلكوا ولا تتخلفوا عنهم فتهلكوا ولا تعلموهم فإنَّهم أعلم منكم.

وصمت الأب قليلاً، ثم قال: نكتفي بما تحدثنا به اليوم، وموعدنا يوم غد إن شاء الله.

اليوم الثامن

شهادته (ع) وأولاده

حضر الأب مبكراً هذا اليوم، فتلقاه أبناؤه بفرح وترحاب، وتقدمهم أبوهم نحو الغرفة وأخذ مجلسه، وكذلك فعل أبناؤه، وما هي إلاَّ دقائق حتى بدأ الأب حديثه قائلاً:

سبق وأن حدثتكم أنَّ الإمام علي الهادي عليه السلام عاصر مجموعة من الخلفاء العباسيين ابتداءً من المعتصم العباسي الذي أقدم على سم أبيه الإمام محمد بن علي عليه السلام ثم الواثق والمتوكل والمستنصر والمستعين والمعتز وفي آخر ملك المعتمد استشهد مسموماً.

كان يوماً حزيناً مؤلماً على المسلمين عامة ناهيك عن الموالين من شيعتهم، لما امتاز به من السماحة والعلم والحكمة والتواضع والزهد في الحياة الدنيا، وكما هي عادة الخلفاء العباسيين حينما يقدموا على قتل واحد من آل البيت الأطهار، يحاولوا خداع الناس من أنَّ ليس لهم يد في ذلك وإنما الوفاة حصلت إما نتيجة علَّة أو قدراً مقدوراً من الله تعالىٰ، وهكذا عمل من كان على هواهم من الناس، إلاَّ أنَّ للتاريخ لسان، وللحقيقة صوت لا بدَّ أن يظهر ليلقي

على مسامع الناس وعقولهم كلمة الحق التي يجب أن تظهر رغم محاولة تشويشها وكتمانها.

ثم قال الأب: اتفقت أكثر الروايات إلاَّ من شذَّ على أنَّ سنة استشهاده كانت سنة مائتين وأربعة وخمسين بعد الهجرة النبوية الشريفة، واختلف في يوم وفاته، فمن قائل أنها كانت يوم الاثنين ثالث رجب وهي رواية علي بن إبراهيم، وفي رواية أخرىٰ أنها كانت في الخامس والعشرين من جمادىٰ الآخرة، وهي رواية ابن الخشاب، ومنهم من قال أنها في السابع والعشرين منه، وغيرهم ذكر أنها في السادس والعشرين منه.

فقال الابن الأكبر: أذكر لنا يا أبي بعض روايات الذين اتفقوا على أنَّ سنة وفاته عليه السلام كانت سنة مائتين وأربعة وخمسين؟

فقال الأب: سأذكر لكم ثلاث روايات لثلاث منهم، كمثال على ذلك.

فقد ذكر الديار بكري في كتابه الخميس فقال: وتوفي (يعني الإمام الهادي عليه السلام) في زمن المستنصر[1] في سر من رأى من نواحي بغداد يوم الاثنين من أواخر جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين للهجرة[2].

وذكر اليعقوبي فقال: وتوفي الإمام علي الهادي عليه السلام بسر من رأى يوم الأربعاء لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين[3].

---

(١) لا يوجد من بين خلفاء العباسيين الذين عاصرهم الإمام الهادي عليه السلام من يحمل اسم المستنصر، والذي اعتقده أنَّه خطأ مطبعي أو ما شاكل، وأن المراد به المنتصر العباسي.

(٢) تاريخ الخميس: ج٢، ص٣٢١.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ج٣، ص٢٥.

وذكر المسعودي فقال: واعتل أبو الحسن عليه السلام علته التي مضىٰ فيها سنة أربع وخمسين ومائتين[1].

ثم قال الأب: وكما اختلف الرواة بيوم وفاة الإمام الهادي عليه السلام فقد اختلفوا أيضاً فيمن سمه من الخلفاء العباسيين، فبعضهم قال أنه المتوكل، وقال آخرون أنه المستعين، وقيل المعتز وقيل المعتمد، إلاَّ أنَّ المشهور أنَّ المعتمد العباسي هو الذي سمه، وقيل أنَّه المعتز العباسي[2].

وقبل وفاته عليه السلام كان أوصى بالإمامة بعده لابنه الحسن بن علي عليهما السلام الذي يلقب بالعسكري، فمن رواية للمسعودي قال: واعتل أبو الحسن علته التي مضىٰ فيها سنة أربع وخمسين ومائتين، فأحضر أبا محمد ابنه عليه السلام فسلَّم إليه النور والحكمة ومواريث الأنبياء والسلاح، وأوصى إليه ومضى صلَّىٰ الله عليه وسلَّم، وسنه كان أربعون سنة، وكان مولده في رجب سنة أربع عشرة ومائتين من الهجرة[3].

وتوفي الإمام الهادي عليه السلام فغسله ابنه وخليفته الإمام الحسن العسكري عليه السلام وكفنه وصلَّىٰ عليه، وخرج في جنازته وقميصه مشقوق، فكتب إليه ابن عون الأبرش قرابة نجاح بن سلمة: من رأيت أو بلغك، من الأئمة شق ثوبه في مثل هذا، فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: يا أحمق، وما يدريك ما هذا؟ قد شقَّ موسى على هارون[4].

---

(١) كتاب الوصية: ص١٩٩.

(٢) راجع عمدة الطالب: ص١٩٨، عن هامش الأصل. والصواعق المحرقة: ص٢٠٧.

(٣) المسعودي في كتاب الوصية: ص١٩٩، طبعة النجف.

(٤) وراه الكشي، وغيره. وذكره السيد عبد الله شبر في كتابه جلاء العيون: ج٣، ص١١٩.

كان نقش خاتم الإمام علي الهادي عليه السلام كما في الفصول المهمة: الله ربي وهو عصمتي من خلقه.

وفي كشف الغمة للآربلي كان نقش خاتمه عليه السلام حفظ العهود من أخلاق المعبود.

الابن الأكبر: وكم كان له عليه السلام من الأبناء يا أبي؟

الأب: ذكر صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: أنَّ الإمام الهادي عليه السلام كان له من الأولاد ثلاثة، وهم الإمام الحسن العسكري عليه السلام وجعفر ومحمد[1].

وذكر الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد أنَّه عليه السلام: خلف من الولد: أبا محمد الحسن وهو الإمام بعده، والحسين ومحمداً وجعفراً، وابنته علية[2].

وقد زاد البعض عليهم: زيداً وموسى وعبد الله.

فأما ابنه الحسين: فقد روي أنه كان زاهداً عابداً معترفاً بإمامة أخيه الحسن العسكري عليه السلام، وأن بعض المؤرخين يطلقون عليه وأخيه الحسن العسكري عليه السلام: بالسبطين، تشبيهاً بالحسن والحسين عليهما السلام ابني أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[3].

وأما ابنه عليه السلام الثاني فهو محمد، وكنيته أبا جعفر، وكان فقيهاً عالماً عابداً زكياً، أراد النهضة إلى الحجاز فسافر في حياة أخيه[4]

---

(١) عمدة الطالب: ص١٩٩.

(٢) ومثله في أعلام الورىٰ: للطبرسي. ومناقب ابن شهرآشوب.

(٣) ذكر ذلك عبد الرزاق شاكر البدري في كتابه سيرة الإمام العاشر الطبعة الثانية، ص٢٢.

(٤) المشهور أنَّ وفاته عليه السلام كانت في حياة أبيه عليه السلام.

حتى بلغ بلداً، وهي قرية فوق الموصل بسبعة فراسخ، فمات بالسواد، فدفن هناك، وعليه مشهد[1]، وهو الذي يعرف بالسيد وسبع الدجيل.

وابنه عليه السلام الثالث هو جعفر: ويكنى بأبي عبد الله، ويلقب بالكذَّاب لادعائه الإمامة بعد أخيه، إلاَّ أن الله تعالىٰ تاب عليه بعد أن استغفر وأناب واعترف بإمامة ابن أخيه الحجَّة المنتظر عليه السلام، وهذا ما تؤمن به الشيعة الإمامية، اعتماداً على ما روي عن المؤرخين والأعلام، ويكنى جعفر أيضاً بأبي كرين (أبي البنين) لكثرة ما أولد، وكان يقال لولده الرضويين نسبة إلى جدهم الإمام الرِّضا عليه السلام.

وقد أعقب جعفر بن علي الهادي عليه السلام من جماعة، انتشر منهم عقب ستة ما بين مقل ومكثر وهم: إسماعيل حريفا من ولده ناصر ومحمد أبو البقاء، ثم طاهر بن جعفر ومن ولده محمد ثم يحيى الصوفي ومن ولده المحسن، ثم هارون بن جعفر ومن ولده علي، ثم علي بن جعفر من ولده عبد الله، ثم إدريس بن جعفر ومن ولده القاسم[2].

وابنه الرابع الإمام الحسن العسكري عليه السلام فهو وارث الإمامة والعلم والحلم والحكمة وفصل الخطاب.

فقطع الابن الأكبر كلام أبيه بلهجة المداعبة: وهو ما سنتحدث عنه في حينه إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) عمدة الطالب: هامش، ص١٩٩ عن المجدي.

(٢) راجع عمدة الطالب. وكتابنا أنساب آل البشير طبع دار الهادي بيروت لبنان.

فابتسم الأب ابتسامة عريضة، وكرر ما قاله ابنه الأكبر، ثم نهض من مكانه ونهض معه أبناؤه وكل واحد يتمنى للآخرين ليلة سعيدة.

الإمام العسكري

الحسن بن علي بن محمد بن
علي بن موسى بن جعفر
عليهم السلام

التمهيد

حينما يكلف المرء بعمل معين تراه يعمل بهدوء وروية لإنجاز ما كلف به وذلك حينما يجد متسعاً من الوقت كاف لإنجاز عمله، أما إن كان الأمر على العكس من ذلك، حيث ضيق الوقت وتراكم الأعمال ترى الهمة والنشاط سائدة، والحرص على الوقت وعدم التفريط به حاصل لكي يستطيع السيطرة على الأُمور وينجز ما عليه من عمل، وهذا أمر طبيعي على ما أظن عند كل الناس، إلاَّ الذين لا يكون من خصائصهم الالتزام والوفاء والمسؤولية.

ومن الناس من لا يحدد لهم وقت معلوم، ولا عمل معين، وإنَّما يؤمروا باشغال مركزاً معيناً لينجزوا ما يتوجب عليهم إنجازه من عمل قد يستحدث في أي وقت أو يطرأ في أي لحظة، وهنا يتحدد النجاح بالكيفية يُسيَّر المكلَّف بها عمله، والنوعية التي يكون عليها ذلك الإنجاز، والفترة الزمنية التي أنفقها من أجل ذلك.

وكذلك الإنسان في هذا الوجود، لم يوجد عبثاً أو لهواً، ولا لكي يملأ فراغاً، وإنَّما شاءت حكمة الله تعالىٰ له أن يوجد لأمر هو سبحانه أعلم به، ثمَّ كلفه الله جلَّ جلاله بتأدية ما سنَّ له من شرائع وأحكام، وأن يقيم بإيمان ووعاية ما يتوجب عليه من فرائض

وعبادات تجاه خالقه ومسويه وبارئه، وباختصار أن يفعل كل ما يؤمر به، وينتهي عن كل ما نهي عنه.

ولرحمة الله جلَّ جلاله بعباده، وغناه سبحانه وتعالىٰ عنهم، فقد هيأ للمطيع العامل جزاءً وافراً ونعيماً دائماً، ثمَّ قضى سبحانه وتعالىٰ على نفسه أن يضاعف لمن يشاء من عباده، ولكي لا يتمادى الإنسان في غيه إن هو ضلَّ سواء السبيل، ونسي أنَّ له خالق مقتدر، وسيِّد بيده الأمر ومقاليد كل شيء، فقد جعل سبحانه وتعالىٰ للكفر والعصيان عقاباً يناله العبد الخارج عن الطاعة يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

ولكي لا يكون الأمر شاقاً على ابن آدم، فقد بعث الله سبحانه وتعالىٰ بالأنبياء والرُّسل، ثمَّ تبعهم بالأوصياء والصالحين من عباده، لكي يهدوا من ضلَّ سواء السبيل، ويعينوا التائب والمنيب.

لقد أوجد الله جلَّ جلاله العقل عند بني البشر رحمة بهم، لكي يميّزوا من خلاله ما هو نافع لهم وما هو ضار، ولهذا فالله سبحانه وتعالىٰ به يثيب وبه يعاقب، فمن كان من: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[1]، أمَّا إن كان ممَّن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣﴾[2].

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٣ ـ ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية: ١٣.

قد يقدم الإنسان على ظلم نفسه، وكثيراً ما يكون ذلك الظلم هيناً، وقد تكون نتائجه وخيمة، أمَّا إن كان ظلماً كبيراً فهنا تقع الطامة الكبرى، حيث لا غفران ولا شفاعة، فكيف يغفر الله تعالىٰ لمن يكفر به سبحانه، ومن يشفع لمن غضب الله تعالىٰ عليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾[1].

لقد خصَّ الله تعالى رسوله الكريم محمَّد ﷺ وآل بيته الأطهار بالشفاعة، إلاَّ أنَّ شفاعتهم لا تحصل كيفما كان، وإنَّما بشرطها وشروطها، وليس بالعسير على المسلمين معرفة شروطها، وذلك لكون النبي ﷺ ما ترك المسلمين بعده في شك أو حيرة، وكيف يتركهم كذلك وهو المبعوث رحمة للعالمين، أم كيف يجعل الله تبارك وتعالىٰ رسوله الكريم محمَّد ﷺ يترك أمته بصراع بين الشك واليقين، وهو سبحانه الذي قال عن جلالته أنه الرَّحمٰن الرحيم.

حينما أكمل الله تعالىٰ للمسلمين دينه، وارتضىٰ لهم الإسلام ديناً، كان آخر ما أمر الله تعالىٰ به رسوله الكريم محمَّد ﷺ هي ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، يوم رفع علياً في غدير خم بعدما أمره الله تعالىٰ بذلك بقوله جلَّ جلاله: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، حيث قال رسول الله ﷺ حينها أمام كل المسلمين إلاَّ القلَّة القليلة التي لم تحضر الموسم ذلك العام لسبب قاهر: أيُّها النَّاس، إنَّ الله أنزل إليَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، وقد أمرني جبرائيل عن ربي، أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: أنَّ

---

(١) سورة البقرة: الآية: ٦ ـ ٧.

علياً أخي، ووصيي، والإمام بعدي، فسألت جبرائيل أن يستعفي لي ربي، لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المؤذين لي، واللائمين لكثرة ملازمتي لعلي، وشدة إقبالي عليه، حتى سموني اذناً، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾، ولو شئت أن أسميهم، وأدل عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلاّ بتليغي فيه، فاعلموا معاشر المسلمين، إنَّ الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد[1].

رفع رسول الله ﷺ علياً، حتى نظر الناس بياض إبط رسول الله ﷺ، وقال:

من كنت مولاه، فهذا عليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وادر الحق معه حيث دار.

فقال أبو سعيد الخدري: فلم ينزل رسول الله ﷺ حتى نزلت هذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[2].

فقال رسول الله ﷺ: الله أكبر على إكمال الدِّين، وإتمام النعمة، ورضا الله برسالتي، وبولاية علي من بعدي.

---

(١) الولاية: للطبري. وكنز العمال: ج٢، ص١٥٣ ـ ١٥٤. ومستدرك الحاكم: ج٣، ص١٢٩. وأخرج السيوطي في الدر المنثور خطبة بنفس المعنى.

(٢) من الذين رووا نزول هذه الآية في يوم الغدير بعد خطبة رسول الله ﷺ وإعلانه الولاية لعلي عليه السلام من بعده كل من الرازي في تفسيره: ج٣، ص٥٢٩. وأبو السعود في تفسيره المطبوع في هامش تفسير الرازي: ج٣، ص٥٢٣. والدر المنثور: للسيوطي، ج٢، ص٢٥٩. والاتقان: ج١، ص٣١. وتذكرة السبط: ص١٨. وتفسير ابن كثير: ج٢، ص١٤. وغيرهم.

إذاً من بيعة الغدير هذه يتبين لنا أهم الشروط في الإيمان الحق والصادق، برسالة محمَّد ﷺ، وأنَّ هذا الشرط يعد من الشروط التي توجب الشفاعة، وأن من دونه لا شفاعة أبداً، لأنَّ من لا يؤمن بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فهو غير مؤمن برسالة المصطفىٰ محمَّد ﷺ، لكون الولاية لعلي هي من ضمن الرسالة التي جاء بها رسول الله ﷺ، ومن يرفض البعض يعد رافضاً للكل، لأنَّ لا تبعيض لمنهج الإسلام، هذا من جانب، ومن جانب آخر: إنَّ حب علي عليه السلام وموالاته يعد حباً لرسول الله ﷺ وموالاتاً له، واتباع نهج علي عليه السلام هو اتباع لنهج المصطفىٰ محمَّد ﷺ، ومعلوم لدى الجميع أنَّ نهج رسول الله ﷺ هو عين السنَّة التي استنَّها الله تعالىٰ لعباده، فرفض أي منها معناه رفض لجميعها، ومصداق ذلك حديث رسول الله ﷺ الذي قال فيه: من فارق علياً فارقني ومن فارقني فارق الله عزَّ وجل[1]، وقوله ﷺ: أوصي من آمن بي وصدقني بولاية علي بن أبي طالب، فمن تولاه فقد تولاني، ومن تولاني فقد تولى الله، ومن أحبه فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغضه فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عزَّ وجلَّ[2]، وقوله ﷺ الذي روي عن أبي بكر: لا يجوز أحد الصراط إلاَّ من كتب له علي الجواز[3].

ولو أعدنا النظر في الحديث المروي عن أبي بكر والذي قال النبي ﷺ فيه: لا يجوز أحد الصراط إلاَّ من كتب له علي الجواز، كفانا تأكيداً أنَّ علياً عليه السلام على الحق دائماً وأبداً، ولكونه كذلك جعله الله تبارك وتعالىٰ القسيم بين الجنَّة والنَّار.

---

(١) مناقب الخوارزمي: ص٥٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير. وابن عساكر في تاريخه وهو الحديث ٢٥٧١ من أحاديث الكنز.

(٣) الرياض النضرة: ج٢، ص١٧٧. والصواعق: ص٧٨.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو: ترى ما يكون موقف علي بن أبي طالب عليه السلام من الذين آذوا آل بيته، وتمادوا بالأذىٰ حتى بلغ حدّ القتل؟ ترى هل ينالوا من علي عليه السلام جوازاً على الصراط؟ وإن كانوا لا ينالوا منه جوازاً، فماذا يا ترى يكون مصيرهم؟ أهو إلى النَّار؟ أم إلى الجنَّة؟ فإن قلنا إلى النَّار مصيرهم، فهو بما كسبت أيديهم وما الله بظلاَّم للعبيد، وإن قلنا إلى الجنَّة، فقد كذبنا كل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله، بل كذبنا رسول الله صلى الله عليه وآله دون شك، ومن كذب رسول الله صلى الله عليه وآله فقد كفر، ومن كفر فإلى جهنم وبئس المصير.

فآل البيت هم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، وولد فاطمة الزَّهراء عليها السلام، وهم بذلك بضعة الرسول محمَّد صلى الله عليه وآله لكونهم عترته، وبضعة فاطمة الزَّهراء لكونهم أبناءها، وبالتالي فهم بضعة النبي صلى الله عليه وآله دون شك في ذلك، ومن آذاهم فقد آذىٰ علياً وآذىٰ فاطمة وآذىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن آذىٰ هؤلاء فقد آذىٰ الله، وهذا ما أكدته أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال:

من آذىٰ علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله.

من أحب علياً فقد أحبني ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله[1].

من سب علياً فقد سبني ومن سبني فقد سب الله، ومن سب الله أكبه على منخره[2].

---

(١) الصواعق: لابن حجر، ص١٢٣.

(٢) الرياض النضرة: للطبري، ص١٦٦. ومناقب الخوارزمي: ص٨١.

وقال ﷺ في فاطمة عليها السلام:

من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمَّد، وهي بضعة مني، وهي قلبي، وهي روحي التي بين جنبي، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله[1].

فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها وينصبني ما أنصبها[2].

فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني[3].

فاطمة بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها[4].

ومن سوء عاقبة البعض أنَّهم والوا قتلة آل بيت النبي ﷺ ومؤذوا علي وفاطمة عليها السلام، وآخرون لم تكفهم موالاة هؤلاء وإنَّما أعانوهم على قتل آل النبي الأطهار، وكانوا لهم شركاء فيما قدموا من مجازاة لرسول الله ﷺ على ما عاني من أجل هدايتهم إلى التوحيد.

ثمَّ جاء آخرون فراحوا يبحثون عن أعذار لكل من تسبب في أذىٰ رسول الله ﷺ في عترته وآله، فأولوا تفسير كلام الله تعالى في غير ما أنزل به، كما وأولوا أحاديث رسول الله ﷺ، ولم يكتفوا بذلك وإنَّما وضعوا أحاديث ونسبوها للنبي ﷺ، ولو كان بمقدورهم لتجاوزوا وضع الأحاديث إلى ما هو أكبر من ذلك.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾

---

(١) نور الأبصار: للشبلنجي، ص٤١.
(٢) ابن حجر في الصواعق: ص١٩٠.
(٣) صحيح البخاري: ج٢، ص١٨٩.
(٤) صحيح مسلم في باب مناقب فاطمة عليها السلام.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢﴾[1].

كل ذلك كانت خاطرة قد خطرت في بال الأب فاستسلم لها وراح يحدث نفسه بها، وهو بين متألم على خير خلق الله بعد رسول الله ﷺ، لما تعرضوا إليه من الأذىٰ والظلم والتقتيل، وبين إحساس بالمرارة على ضلال جمع من المسلمين استسلموا لدعوة الشيطان الرجيم، دون أن ينتفعوا من هبة الله تعالىٰ لهم بما أودع في رؤوسهم من العقل الذي فضلهم به على الكثير من مخلوقاته. وكان الأبناء حينها مشغولين بأداء واجباتهم المدرسية، وما أن انتهوا من ذلك حتى دخلوا على أبيهم الغرفة وهم يقولون لأبيهم: بأيِّ شيء شغل أبونا فكره؟

فقال الأب: أشغلت فكري بحديث طويل عريض يا أبنائي؟

فقال الابن الأكبر: حدثنا به يا أبي.

فقال الأب: هناك حديث هو أنفع لكم يا أبنائي أحدثكم به هذا اليوم، وفاءً منِّي بما وعدتكم به، ألا وهو الحديث عن الإمام الحادي عشر من آل بيت النُّبوَّة الأطهار عليهم السلام، أبي محمد الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرِّضا بن موسىٰ الكاظم بن جعفر الصَّادق بن محمد الباقر بن علي السَّجاد بن الحسين السبط الشهيد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة البقرة: الآيات: ٨ ـ ١٢.

فقال الأبناء: ما دام كذلك فهو أنفع لنا كما ذكرت يا أبي، فحدثنا بسم الله.

فقال الأب: بارك الله فيكم، وهداكم لما يحب ويرضىٰ، إنَّه سميع مجيب.

اليوم الأول

ولادة الإمام الحسن العسكري (ع) وتسميته ونسبه

قال الأب: في السنة الثانية والثلاثين بعد المائتين من الهجرة النبوية الشريفة زفت البشرى للإمام علي الهادي عليه السلام بولادة ثمرة فؤاد الأئمة، الشافع المشفع، والإمام المسدد، ووالد خاتم الأئمة، سِّر الله المكنون، وعيبة علم الأنبياء والمرسلين، الزكي الرضي، التقي الحسن العسكري، فكانت ولادته مدعاة سرور كبير، وفرح ليس له نظير، ملأ بيت الهادي علي بن محمد عليهما السلام.

وفي رواية أنَّ ولادته عليه السلام كانت سنة إحدى وثلاثين ومائتين للهجرة النبوية المباركة، والأشهر في يوم ولادته عليه السلام أنها كانت يوم الجمعة ثامن ربيع الثاني، وقيل في العاشر منه، وفي قول آخر أنها كانت يوم السبت رابع ربيع الثاني.

وفي رواية الشيخ المفيد: أن ولادته عليه السلام كانت في المدينة، في شهر ربيع الثاني سنة ثلاثين ومائتين من الهجرة النبوية الشريفة.

وفي رواية أنَّ مولده عليه السلام كان في مدينة سر من رأى، إلاَّ أنَّ الأشهر أنَّ ولادته عليه السلام كانت في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله.

سمَّاه أبوه عليه السلام بالحسن، وكناه بأبي محمد، وكانت ألقابه: الزكي والهادي والعسكري، وزاد ابن شهرآشوب في المناقب: الصامت والرفيق والتقي.

وقال الشبلنجي: وألقابه عليه السلام: الخالص والسراج والعسكري[1].

والدته أم ولد تدعى سليل، وقيل حديث، والصحيح والمشهور سليل، وكانت من العارفات الصالحات[2] وقيل أنَّ اسمها سوسن[3].

ثم قال الأب: وحينما استدعى المتوكل العباسي، الإمام أبا الحسن علي الهادي عليه السلام إلى سامراء كان ابنه الحسن العسكري عليه السلام لم يتجاوز الخامسة من العمر، فارتحل مع أبيه إلى العراق، وبذلك فقد لمس سوء معاملة الخلفاء العباسيين لأبيه وحسدهم لآل البيت عليهم السلام، كما وتعرف على أصحاب أبيه وشيعته، وعرف مقدار ما يحمله كل واحد منهم من إيمان وعلم وموالاة.

فقال الابن الأكبر: وكم كان له عليه السلام من العمر حين وفاة أبيه الهادي عليه السلام يا أبي؟

فقال الأب: إن كانت ولادته عليه السلام كما هو مشهور في السنة الثانية والثلاثين بعد المائتين، ووفاة أبيه الهادي عليه السلام في السنة الرابعة والخمسين بعد المائتين، فهذا يعني أنَّ له من العمر اثنتا وعشرين عاماً حين وفاة أبيه عليه السلام وهي التي بدأت بها إمامته عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: وهل كان زواجه عليه السلام في حياة أبيه عليه السلام يا أبي أم بعدها؟

---

(١) راجع نور الأبصار: ص١٦٦.

(٢) راجع عيون المعجزات للمرتضى.

(٣) نور الأبصار للشبلنجي.

الأب: لقد كان زواج الإمام الحسن العسكري عليه السلام في حياة أبيه يا ولدي.

فقال الابن الأكبر: حدثنا عن زواجه عليه السلام يا أبي كيف تم؟

فقال الأب: كان للإمام الهادي عليه السلام جار بسر من رأى يدعى بشر بن سليمان النخاس، وهو من ولد أبي أيوب الأنصاري، وكان موالياً لآل البيت النبوي الأطهار، وهو من يروي لنا قصة زواج الإمام الحسن العسكري عليه السلام، حيث يقول:

أتاني كافور الخادم فقال: مولانا أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام يدعوك إليه.

قال بشر: فأتيته، فلما جلست بين يديه قال عليه السلام لي: يا بشر، إنك ومن ولد الأنصار، وهذه الموالاة لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقاتنا أهل البيت، وأني مزكيك ومشرفك بفضيلة تسبق بها الشيعة في الموالاة بها بسرّ اطلعك عليه، وأنفذك في ابتياع إمة.

ثم قال بشر: فكتب عليه السلام كتاباً لطيفاً بخط ولغة رومية، وطبع عليه خاتمه، وأخرج شقة صفراء، فيها مائتان وعشرون ديناراً، فقال: خذها، وتوجه بها إلى بغداد، واحضر معبر الفرات، ضحوة يوم كذا، فإذا وصلت إلى جانبك زواريق السبايا وترى الجواري فيها، ستجد طوائف المبتاعين من وكلاء قواد بني العباس، وشرذمة من فتيان العرب، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمى عمر بن يزيد النخاس عامة نهارك، إلى أن تبرز للمبتاعين جارية، صفتها كذا وكذا، لابسة حريرين صفيقين، تمتنع من العرض ولمس المعترض والانقياد لمن يحاول لمسها، وتسمع صرخة رومية من وراء ستر رقيق، فاعلم أنها تقول: واهتك ستراه، فيقول بعض عليَّ

ثلثمائة دينار، فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول له بالعربية: لو برزت في زي سليمان بن داود وعلى شبه ملكه ما بدت لي فيك رغبة، فاشفق على مالك، فيقول النخاس: فما الحيلة؟ ولا بدَّ من بيعك، فتقول الجارية: وما العجلة، ولا بدَّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إليه، وإلى وفائه وأمانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخاس، وقل له: إنَّ معك كتاباً ملطفة لبعض الأشراف، كتبه بلغة رومية وخط رومي، ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه، وتناولها لتتأمل منه أخلاق صاحبه، فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر: فامتثلت جميع ما حده لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلما نظرت في الكتاب بكت بكاءً شديداً، وقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب، وحلفت بالمحرجة والمغلظة أنَّه متى امتنع من بيعها منه قتلت نفسها، فمازلت أشاحه في ثمنها، حتى استقر الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي عليه السلام من الدنانير، فاستوفاه، وتسلمت الجارية ضاحكة مستبشرة، وانصرفت بها إلى الحجرة التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أن أخذتها حتى أخرجت الكتاب من جيبها، وهي تلثمه، وتطبقه على جفنها، وتضعه على خديها، وتمسحه على بدنها، فقلت تعجباً منها: تلثمين كتاباً لا تعرفين صاحبه؟ فقال: أيُّها العاجز الضعيف المعرفة بمحل أولاد الأنبياء، أعرني سمعك، وفرغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر، ملك الروم، وأمي من ولد الحواريين، تنسب إلى وصي المسيح، شمعون، أنبئك بالعجب، أنَّ جدي قيصر أراد أن يزوجني من ابن أخيه، وأنا من بنات ثلاث عشر سنة، فجمع في قصره نسل الحواريين من القسيسين والرهبان ثلثمائة رجل،

ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقواد العسكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف، وأبرز من بهي ملكه عرشاً مصاغاً من أصناف الجوهر، ورفعة فوق أربعين مرقاة، فلما صعد ابن أخيه وأحدقت الصلب، وقامت الأساقفة عكفاً، ونشرت أسفار الأناجيل، تسافلت الصلب من الأعلى فلصقت الأرض، وتقوضت أعمدة العرش فانهارت إلى القرار، وخرَّ الصاعد من العرش مغشياً عليه، فتغيرت ألوان الأساقفة، وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدي: أيُّها الملك، اعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالة على زوال هذا الدِّين المسيحي، والمذهب الملكاني، فتطير جدي من ذلك تطيراً شديداً، وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة، وارفعوا الصلبان، واحضروا أخا هذا المدبر العاهر المنكوس جده، لأزوجه هذه الصبية، فيدفع نحوسه عنكم بسعوده، ولما فعلوا ذلك، حدث على الثاني مثل ما حدث على الأوَّل، فتفرق الناس، وقام جدي قيصر مغتماً، فدخل منزل النساء، وأرخيت الستور، وأُريتُ في تلك الليلة كأنَّ المسيح وشمعون وعدَّة من الحواريين قد اجتمعوا في قصر جدي، ونصبوا فيه منبراً من نور يباري السَّماء علواً وارتفاعاً، في الموضع الذي كان نصب جدي فيه عرشه، ودخل عليه محمَّد ﷺ، وختنه ووصيه عليه السلام، وعدَّة من أبنائه عليهم السلام، فتقدم المسيح إليه واعتنقه، فقال له محمَّد ﷺ: يا روح الله، إني جئتك خاطباً من وصيك شمعون، فتاته مليكة، لابني هذا، وأومأ ﷺ بيده إلى أبي محمد عليه السلام، ابن صاحب هذا الكتاب، فنظر المسيح إلى شمعون وقال له: قد آتاك الشرف، فصل رحمك برحم آل محمد، قال: قد فعلت، فصعدوا ذلك المنبر، فخطب محمَّد ﷺ، وزوجني من ابنه، وشهد المسيح، وشهد أبناء

محمد ﷺ، والحواريون، فلما استيقظت أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدي، مخافة القتل، فكنت أسرّها في نفسي، ولا أبديها لهم، وضرب صدري بمحبة أبي محمد عليه السلام، حتى امتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي، ودق شخصي، ومرضت مرضاً شديداً، فما بقي في مدائن الروم طبيب إلاَّ أحضره جدي، وسأله عن دوائي، فلما برح به اليأس قال: يا قرَّة عيني، هل يخطر ببالك شهوة فأزودكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدي، أرى أبواب الفرج عليَّ مغلقة، فلو كشفت العذاب عمَّن في سجنك من أسارىٰ المسلمين، وفككت عنهم الأغلال، وتصدقت عليهم ومنيتهم الخلاص، رجوت أن يهب المسيح وأمه عافية، فلما فعل ذلك تجلدت في إظهار الصحة من بدني قليلاً، وتناولت يسيراً من الطعام، فسرَّ بذلك، وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم، فأريت أيضاً بعد أربع عشر ليلة، كأنَّ سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام قد زارتني، ومعها مريم بنت عمران، وألف من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيدة النساء، أم زوجك أبي محمد عليه السلام، فأتعلق بها وأبكي، وأشكو إليها امتناع أبي محمد عليه السلام من زيارتي،، فقالت سيدة النساء: إنَّ ابني أبا محمد لا يزورك وأنت مشركة بالله على مذهب النصارى، وهذه أختي مريم بنت عمران تبرأ إلى الله من دينك، فإن ملت إلى رضا الله تعالى، ورضىٰ المسيح ومريم عليهما السلام، وزيارة أبي محمد إيَّاك، فقولي: أشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله، وأنَّ أبي محمَّداً ﷺ رسول الله، فلما تكلمت بهذه الكلمة ضمتني إلى صدرها سيدة نساء العالمين، وطيبت نفسي، وقالت: الآن توقعي زيارة أبي محمد عليه السلام، وإني منفدته إليك، فانتبهت وأنا أقول: واشوقاه إلى لقيا أبي محمد، وأتوقع لقاء أبي محمد عليه السلام، فلما

كان في الليلة القابلة، رأيت أبا محمد، وكأني أقول له: جفوتني يا حبيبي، بعد أن أتلفت نفسي معالجة حبك، فقال عليه السلام: ما كان تأخيري عنك إلاَّ لشركك، فقد أسلمت، وأنا زائرك في كل ليلة، إلى أن يجمع الله شملنا في العيان، فما قطع عني زيارته بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها: وكيف وقعت في الأسارىٰ؟ قالت: أخبرني أبو محمد عليه السلام ليلة من الليالي أن جدك سيسير جيشاً إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا، ثم يتبعهم، فعليك باللحاق بهم متنكرة في زي الخدم، مع عدَّة من الوصائف، من طريق كذا، ففعلت ذلك، فوقعت علينا طلائع المسلمين، حتى كان من أمري ما رأيت وشاهدت، وما شعر بأني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية أحد سواك، وذلك باطلاعي إيَّاك عليه، ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته، وقلت: نرجس، فقال: اسم الجواري.

قال بشر: فقلت: العجب أنك رومية، ولسانك عربي؟ قالت: نعم، من ولوع جدي وحمله إياي على تعلم الآداب أن أوعز إلى امرأة ترجمانة له، في الاختلاف إليَّ، وكانت تقصدني صباحاً ومساءً، وتفيدني العربية، حتى استمر لساني عليها، واستقام.

قال بشر: فلما انكفأت بها إلى سر من رأى، دخلتُ على مولاي أبي الحسن عليه السلام، فقال عليه السلام: كيف أراكِ الله عز الإسلام وذل النصرانية، وشرف محمَّد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام؟ قالت: كيف أصف لك يابن رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنت أعلم به مني؟ قال عليه السلام: فإني أحب أن أكرمك، فأيما أحب إليك: عشرة آلاف دينار، أم

بشرى لك بشرف الأبد؟ قالت: بشرى، قال عليه السلام لها: ابشري بولد يملك الدنيا شرقاً وغرباً، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، قالت: ممَّن؟ قال عليه السلام: ممَّن خطبك رسول الله صلى الله عليه وآله له ليلة كذا، في شهر كذا، من سنة كذا بالرومية، ثم قال عليه السلام لها: ممَّن زوجك المسيح عليه السلام ووصيه؟ قالت: من ابنك أبي محمد، فقال عليه السلام: هل تعرفينه؟ قالت: وهل خلت ليلة لم يزرني فيها منذ الليلة التي أسلمت على يد سيدة النساء عليها السلام، فقال عليه السلام: يا كافور، ادع أختي حكيمة.

قال بشر: فلما دخلت، قال عليه السلام لها: ها هي، فاعتنقتها طويلاً، وسرت بها كثيراً، فقال لها أبو الحسن عليه السلام: يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، خذيها إلى منزلك، وعلميها الفرائض والسنن، فإنها زوجة أبي محمد، وأم القائم عجَّل الله فرجه[1].

فقال الابن الأكبر: سبحان الله، امرأة رومية تسكن بلاد بعيدة، اختارها الله تعالى بحكمته لتكون زوجة لولي من أوليائه مطهَّر بقضائه، وأماً لحجَّة من حججه على هذه الأرض، ووارثاً لها بعد أن استضعف فيها، إنه لأمر لا يخرج عن قضاء الله تعالىٰ وحكمته.

فقال الأب: لو عدنا يا ولدي لحديث كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد حدَّث المسلمين به فقال فيه: ما زلت انتقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجني الله إلى عالمكم هذا.

ثم قال الأب: ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله هذا تأكيد على وجوب أن يكون هناك اختيار صائب لمن ستكون أماً

---

(١) روىٰ ذلك الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة. وكذلك الشيخ الصدوق.

لرسول الله ﷺ أو لأحد آبائه وأجداده، وهذا الاختيار لا يمكن أن ينال الصواب المؤكد إن لم يكن لله خالق الخلق والعالم بهم يد فيه، وهذا أيضاً ما يفترض أن يكون بالنسبة لأمهات الأئمة الأطهار الذين ما كانوا حجَّة لله تعالىٰ على عبيده إلاَّ بعد أن اصطفاهم الله تعالى من بين خلائقه، ولهذا أيضاً فإنَّ أم أي إمام من الأئمة الأطهار ما كانت لتكون أماً له إلاَّ بعد أن كان لله تعالى في ذلك اختيار واصطفاء.

فقال الابن الأكبر: وهل هذه الرواية يا أبي هي الوحيدة التي ذكرت كيفية تزويج الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أم أنَّ هناك روايات أخرى غيرها؟

فقال الأب: هناك رواية رواها الصدوق والشيخ والسيد المرتضى بأسانيدهم عن محمد بن عبد الله المطهري قال: قصدت حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام بعد مضي أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام أسألها عن الحجَّة عليه السلام، وساق الحديث إلى أن قال: فقلت يا سيدتي حدثيني بولادة مولاي عليه السلام وغيبته، قالت عليها السلام: نعم، كانت لي جارية يُقال لها نرجس، فزارني ابن أخي عليه السلام، وأقبل يحد النظر إليها، فقلت له: يا سيدي، لعلَّك هويتها فأرسلها إليك، فقال عليه السلام: لا يا عمة، لكني أتعجب منها، فقلت: وما أعجبك؟ فقال عليه السلام: سيخرج منها ولد كريم على الله عزَّ وجلَّ الذي يملأ الله به الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، قالت حكيمة: فأرسلها إليك يا سيدي؟ فقال عليه السلام: استأذني في ذلك أبي عليه السلام، قالت: فلبست ثيابي وأتيت منزل أبي الحسن عليه السلام فسلَّمت، وجلست، فبدأني عليه السلام وقال: يا حكيمة، ابعثي نرجس إلى ابني محمد، قالت حكيمة: فقلت: يا سيدي، على

هذا قصدتك، أن استأذنك في ذلك، فقال عليه السلام: يا مباركة، إنَّ الله تعالىٰ أحب أن يشركك في الأجر، ويجعل لك في الخير نصيباً، قالت حكيمة: فلم ألبث أن رجعت إلى منزلي وزينتها ووهبتها لأبي محمد عليه السلام، وجمعت بينه وبينها في منزلي، فأقام عندي أياماً، ثم مضى إلى والده، ووجهت بها معه...

فقال الابن الأكبر: وكيف كانت ولادة الإمام المنتظر عليه السلام يا أبي؟

الأب: الحديث عن ولادة الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام سيكون حين حديثنا عنه عليه السلام يا ولدي، أما الآن فنحن نتحدث عن أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

ثم قال الأب: وسنكتفي اليوم بهذا القدر من الحديث، ولنا حديث آخر يوم غد إن شاء الله تعالىٰ.

اليوم الثاني

فضائل الحسن العسكري (ع) بشهادة مبغض

منذ يوم أمس والأبناء في شوق لحديث أبيهم، ومن شوقهم للحديث تمنوا لو أنهم يذهبون إلى أبيهم في عمله عسى أن يبدأ حديثه لهم هناك، إلاَّ أنَّ الذي منعهم من ذلك عدم أخذ الإذن منه في الحضور إليه.

كان الوقت طويلاً عليهم رغم مروره كالمعتاد، إذ الساعة من الزمان لم تزل ساعة، ما طرأت عليها زيادة أو تغيير، إنَّما طوله قد حصل نتيجة الانتظار والرغبة في مروره، يكفي أن نعلم رغبتهم في مضية أنهم ينظرن إلى ساعة الجدار بين دقيقة وأخرى، ومن ضجرهم من كثرة النظر إلى الساعة خرجوا إلى حديقة المنزل وكأنهم يريدون مراقبة الوقت من خلال نظرهم إلى الشمس متحينين غروبها، فملوا ذلك أيضاً، لأن الساعة أرحم من ضوء الشمس الذي لا يتغير إلاَّ ساعة الغروب.

لمست الأم قلق أبنائها وجزعهم، ولكي تساعدهم على قضائه كلفت الكبير بالذهاب إلى الخبَّاز لشراء الخبز، وما أن خرج الابن

الأكبر حتى نادت على الأوسط وكلفته بالذهاب إلى دار أخته الذي يبعد عن دارهم قليلاً ليسأل عن حالها وحال أبنائها.

وقبل حضورهم كان الأب قد حضر إلى داره، وحينما لم يجد ابنيه في الدار سأل زوجته عنهم فقصت عليه نبأ جزعهم من الانتظار، فتبسم الأب، ثم دخل الغرفة وأخذ مجلسه فيها.

وحضر الأبناء، وعلموا أن أباهم قد حضر، فسارعوا إليه وحيوه وجلسوا إلى جانبه، فما كان من الأب إلاَّ أن بدأ الحديث قائلاً: هناك بيت من الشعر يقول:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

ثم تابع الأب: وهذا البيت يعني أن المحب لا يرى من حبيبه إلاَّ الجميل، وفي كثير من الأحيان يرى القبيح منه حسناً، أما إن كان ساخطاً فلا يرى من الساخط عليه إلاَّ القبيح، وفي كثير من الأحيان يرى الحسن قبيحاً أيضاً، وقلما تجد مبغضاً ساخطاً يحدثك عن الحسن والجميل الذي فيمن بغضه، وإن حصل ذلك فهي صرخة الحق كما أسميناها، وهذا ما حصل من المبغضين لآل البيت في زمن الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: ومن هو يا أبي؟ وما حصل منه؟

فقال الأب: هو أحمد بن عبيد الله بن خاقان، وكان حينها عامل الخليفة العباسي على الخراج والضياع بكورة قم، وكان من أنصب خلق الله وأشدهم عداوة.

والذي حصل منه ما رواه رجل من أهل قم كان قد حضر مجلسه، وقد جرى ذكر المقيمين من آل أبي طالب عليهم السلام بسر من

رأى، ومذاهبهم وصلاحهم وأقدارهم عند السلطان، فقال أحمد بن عبيد الله:

ما رأيت ولا عرفت بسر من رأى، رجلاً من العلوية مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليه السلام، ولا سمعت به في هديه، وسكونه، وعفافه، ونبله، وكرمه عند أهل بيته والسلطان، وجميع بني هاشم، وتقديمهم إيَّاه على ذوي السن منهم والخطر، وكذلك القواد والوزراء والكتَّاب وعوام النَّاس.

ثم قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان: وإني كنت قائماً ذات يوم على رأس أبي، وهو يوم مجلسه للناس، إذا دخل عليه حجابه فقالوا: ابن الرضا على الباب.

ثم قال: فقال أبي بصوت عال: ائذنوا له.

فدخل رجل أسمر أعين، حسن القامة، جميل الوجه، جيد البدن، حدث السن، له جلالة وهيبة، فلما نظر إليه أبي قام فمشى إليه خطوات، لا أعلمه فعل هذا بأحد من بني هاشم، ولا بالقواد، ولا بأولياء العهد، فلما دنى عانقه، وقبَّل وجهه ومنكبيه، وأخذ بيده فأجلسه على مصلاه الذي كان عليه، وجلس إلى جنبه مقبلاً عليه بوجهه، وجعل يكلمه ويكنيه، ويفديه بنفسه وبأبويه، وأنا متعجب ممَّا أرى منه، إذ دخل عليه الحجاب، فقالوا: الموفق قد جاء، وكان الموفق إذا جاء ودخل على أبي، تقدم حجابه وخاصة قواده، فقاموا بين مجلس أبي، وبين الباب سماطين، إلى أن يدخل ويخرج، فلم يزل أبي مقبلاً عليه يحدثه، حتى نظر إلى غلمان الخاصَّة، فقال حينئذٍ: إذا شئت فقم جعلني الله فداك أبا محمد، وقال لغلمانه: خذوا به خلف السماطنين لئلا يراه الأمير، يعني الموفق، وقام أبي وعانقه، وقبَّل وجهه، ومضى.

قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان: فقلت لحجاب أبي وغلمانه: ويلكم، من هذا الذي فعل به أبي هذا الذي فعل؟

فقالوا: هذا رجل من العلوية، يُقال له الحسن بن علي، يعرف بابن الرِّضا عليه السلام.

قال أحمد: فازددت عجباً، فلم أزل يومي ذلك قلقاً متفكراً في أمره، وأمر أبي، وما رأيت منه، حتى كان الليل، وكانت عادته أن يصلي العتمة ثم يجلس فينظر فيما يحتاج إليه من المؤامرات وما يرفعه إلى السلطان، فلما جلس جئت فجلست بين يديه، فقال: يا أحمد، ألك حاجة؟قلت: نعم يا أبه، إن أذنت سألتك عنها، فقال: قد أذنت لك يا بني، فقل ما أحببت، فقلت: يا أبه، من الرجل الذي رأيتك الغداة فعلت به ما فعلت من الإجلال والإكرام والتبجيل، وفديته بنفسك وأبويك؟

فقال: يا بني، ذاك ابن الرضا، ذاك إمام الرافضة.

قال أحمد: فسكت ساعة، فقال: يا بني، لو زالت الخلافة عن خلفاء بني العباس ما استحقها أحد من بني هاشم غير هذا، فإنَّ هذا يستحقها في فضله، وعفافه، وهديه، وصيانة نفسه، وزهده، وعبادته، وجميل أخلاقه، وصلاحه، ولو رأيت أباه لرأيت رجلاً جليلاً خيراً فاضلاً.

قال أحمد: فازددت قلقاً، وتفكراً، وغيظاً على أبي، ممَّا سمعته منه فيه، ولم يكن لي همة بعد ذلك، إلاَّ السؤال عن خبره، والبحث عن أمره، فما سألت أحداً من بني هاشم والقواد والكتَّاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس، إلاَّ وجدته عندهم في غاية الإجلال، والإعظام، والمحل الرفيع، والقول الجميل، والتقديم له

على أهل بيته ومشايخه وغيرهم، وكلٌّ يقول: هو إمام الرافضة، فعظم قدره عندي، إذ لم أرّ له ولياً ولا عدواً إلاَّ وهو يحسن القول فيه، والثناء عليه[1].

فقال الابن الأكبر: فمن كانت هذه أخلاقه وسجاياه يا أبي فلمَ يساء إليه؟

الأب: ثلاث خصال مذمومة أن تخلق بها الإنسان دفعته لارتكاب المعاصي وفعل المنكر ألا وهي الشره إلى الطعام وحب المال وشهوة الجنس، ومصادق ذلك ما روي عن رسول الله ﷺ قال: «من وقي شرَّ قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي».

فقال الابن الأكبر: وما تفسير هذه الكلمات يا أبي؟

فقال الأب: القبقب هو البطن، والذبذب هو الفرج، واللقلق هو اللِّسان، وفي رواية أنَّ رسول الله ﷺ قال: ويل للناس من القبقبين، فقيل: وما هما يا رسول الله ﷺ؟ قال ﷺ: الحلق والفرج، ثم قال ﷺ: أكثر ما يلج به أمتي النَّار الأجوفان، البطن، والفرج.

ومن سوء عاقبة الإنسان إذا كثر همه لهذه الخصال التي ذمت كثيراً كما في قوله ﷺ: (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسْبُ ابن آدم لقيمات يقمن صلبه)، وقوله عليه السلام: (أبغض الناس إلى الله المتخمون الملأى). لأن ذلك سيؤدي به إلى أن يسلك غير سلوك المؤمنين

قال لقمان الحكيم يعظ ابنه: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

وشهوة الفرج شر كبير، وهم كثير، وهو يؤدِّي بصاحبه

---

(١) رواه الصدوق في إكمال الدّين.

لارتكاب المحرَّمات، واقتحام الفواحش، ومن اعتاد ذلك هان عليه فعل أي قبيح دون أن يكون له رادع يردعه، فمن دعاء لرسول الله ﷺ قال فيه: اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي وشر منيي.

وحينما سئل يحيى بن زكريا عليه السلام: ما بدء الزنا؟ قال عليه السلام: النظرة والتمني.

ثم قال الأب: ولو أعدنا النظر بسيرة الحكَّام الذين آذوا آل بيت النبي الأطهار، نجدهم جميعاً دون استثناء قد ابتلوا بحب الشهوات من النساء والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، إضافة إلى شراهة الكثيرين منهم إلى الطعام والشراب حتى بلغ ببعضهم أنهم ملوا كثرة الأكل.

وممَّا سجله التاريخ بذلك الكثير، ومنه: غالى الخلفاء في استحضار ما اشتهر بطيبة من ألوان اللحوم والطيور والفاكهة، ولو بعد مكانه، فيحملونه على البريد، ينفقون في ذلك الأموال الكثيرة[1].

وذكر أيضاً: وكانوا يربون الطيور الداجنة على أطعمة مغذية يتوهمون أنها تزيد في لذتها وطعمها أو نفعها أو تسهل هضمها، فكانوا يعلفون الفراريج الجوز المقشر، ويسقونها اللبن الحليب[2].

وكان الخلفاء يتولون شؤون الدولة بأيديهم، فتصرفوا في أموالها دون محاسب أو رقيب، ثم أنفقوا الكثير منها في الجوائز

---

(١) لطائف المعارف: ص٩٥. وابن بطوطة: ج٢، ص٣.
(٢) طبقات الأطباء: ج١، ص١٤٠.

والهدايا، وبذلوها من أجل ملذاتهم من طعام وشراب وجواري ورياش وأثواب وأثاث، ولم يقتصر البذخ والثراء على الخلفاء فحسب وإنما حتى أمهاتهم كما كان حال الخيزران أم الرشيد، وقبيحة أم المعتز وغيرهما، ثم تعدى الأمر هؤلاء إلى الوزراء كالحسن بن فرات والمادرائي وابن كلس والأفضل وابن شهيد الأندلسي، وأول من أثرى من الوزراء البرامكة في عهد الرشيد[1].

أما ولع الخلفاء بالجواري فهذا ما تحدثت به الكتب، وأنَّ من المؤلم أنَّه أصبح جزءاً من تاريخ ذلك الزمان، وكان السبب في ذلك هو تمادي الكثيرون منهم في حب الجواري، حتى تسلطت بعضهن على عقولهم، كما فعلت حبابة بيزيد بن عبد الملك الأموي، حتى كادت تذهب عقله، وشغلته عن مهام الخلافة، وكما فعلت ذات الخال في الرشيد، فإنها ملكت قيادة حتى حلف يوماً أنها لا تسأل شيئاً في ذلك اليوم إلاَّ قضاه لها، فسألته أن يولي حموية الحرب والخراج بفارس سبع سنين، ففعل وكتب له عهده، وبه شرط على ولي عهده بعده أن يتمّها له إن لم تتم في حياته[2]، ونتيجة لاهتمام الخلفاء بالجواري وهيام بعضهم ببعضهن فقد شغلوا عن رعاية الملك، والاهتمام بمصالح العامة من الناس، ولذلك فقد استخدم بعض ذوي الحيلة والمصلحة، هذه الجواري للجاسوسية، أو لنيل رتبة أو منصب، كما استخدم الخلفاء أنفسهم ذلك، فقد روي أنَّ

---

(١) راجع تاريخ المتحدث الإسلامي: لجرجي زيدان، ج٥، ص١١٩. طبع دار الهلال تعليق الدكتور حسين مؤنس.

(٢) الأغاني: ج١٥، ص٨٠.

المأمون يدس الوصائف هدية ليطلعنه على أخبار من شاء[1].

ثم قال الأب: بمثل هذا وغيره من الأساليب كان انشغال الخلفاء، إضافة إلى الرغبة العارمة التي كانوا عليها اتجاه الجواري، وهذا الهوىٰ كان دافعاً لهم إلى اللامبالات في ارتكاب المعاصي والآثام وفعل المنكر، ناهيك عن إيمانهم الذي كان التصريح له بالألسن دون الجوارح، وبالقول دون الفعل، وقتل آل البيت كان واحداً من الأدلة على بعدهم عن الطريق السليم الذي سنَّه الله ورسوله لعباده.

فقال الابن الأكبر: مسألة خروجهم عن الصراط هي في حكم المنتهي منه، إذا كان المقياس لذلك هو القرآن الكريم والسنَّة النبوية الشريفة وذلك لما ورد من أحاديث نبوية كريمة في حث المسلمين على اتباع آل البيت وعدم مخالفتهم، إضافة إلى وجوب ودهم وموالاتهم، وما سؤالي عن سبب الإساءة لآل البيت الأطهار، إلاَّ حزناً لهم عليهم السلام على الكيفية التي جازى بها الناس رسول الله صلى الله عليه وآله على ما كان منه من حب للناس واستعداد لإيثار هداهم على راحته وسلامته وطمأنينته، فتحمل ما تحمل من أذى المشركين وتطاولهم عليه صلى الله عليه وآله سواء بالقول أو الفعل.

فقال الأب: نعم يا ولدي لم يكن الجزاء منصفاً، وهم بذلك لم ينصفوا حتى أنفسهم، كما لم ينصفوا الناس أيضاً.

فقال الابن الأكبر: ما رأيك يا أبي أن ندع الضالين وأفعالهم، ونرجع بحديثنا عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام؟

فقال الأب: إنَّ الحديث عن آل البيت عليهم السلام أكثر نفعاً للمسلم

---

(١) العقد الفريد: ج١، ص١٤٨.

دون شك في ذلك، وما حديثنا عن الخلفاء وغيرهم، إلاَّ لتوضيح ما كان يتعرض له آل البيت عليهم السلام من الأذى والقتل، بأمر من هؤلاء الخلفاء أنفسهم.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: أما الآن فنكتفي بما تحدثنا به اليوم، على أمل أن نستمر في الحديث يوم غد إن شاء الله.

اليوم الثالث

مناقب الإمام الحسن العسكري (ع)

قد تعترض الإنسان كثيراً من الأفكار يحدث بها نفسه، وأكثرها ما كان في أعماقه ارتباط بها، سواء كان ذلك الارتباط ناتج عن الرفض أو الإيجاب والقناعة.

وفي هذا اليوم، كان قد اعترض فكر محمد سؤال طرحه على نفسه، وتمنى لو طرحه كل إنسان على نفسه كذلك، ألا وهو: لماذا لا يكون الإنسان متصرفاً وفق الحقيقة التي هو عليها؟ ولماذا يكذب على نفسه والآخرين ويصور ذاته في إطار هو أوسع بكثير من الحقيقة التي هو فيها؟

أترى ذلك ناتجاً عن عقد نفسية كان قد أصيب بها في حياته لسبب ما؟ فصار محباً للظهور بغير حقيقته، أم هي عقدة بالنقص هو شاعراً بها، ولذا يحاول ستر ذلك النقص ولو خداعاً وكذباً وغير حقيقة، أم تراه أعجب بنفسه، فتوهم بكونه يحمل من الصفات والمزايا ما لا يحملها غيره، أو على الأقل يحمل من الصفات والمزايا ما لا يحمل محدثه، أو من يريد أن يقارن نفسه معه كبراً منه عليه.

وعلى كلٍّ الأحوال، وأي كان الأمر الذي هو عليه، فعقدة النقص، وحب الظهور، والعجب، ما هنَّ إلاَّ أمراضاً نفسية وآفات تؤدي بصاحبها إلى الهاوية، ولا يصاب بها العلماء أو الحكماء، وإنما يصاب بها الجهال من الناس في كثير من الأحيان.

وقد يسأل سائل: كيف لا يصاب بالعجب مثلاً، العلماء والحكماء؟ ونحن نرى أو نسمع عن الكثير ممَّن أصابهم العجب والكبر وكان من بينهم من هو عالم.

والجواب على ذلك: نعم قد يصيب العجب من تسمى بالعالم أو الحكيم، ولو كان عالماً أو حكيماً حقاً لما أصيب به، لأن العلم والحكمة تعمل على أن تكسب الموصوف بها التواضع والكياسة والدماثة، وإن اجتمعت هذه الخصال بإنسان كان بعيداً عن الإصابة بأي مرض نفسي ناهيك عن العجب أو الشعور بالنقص وحب الظهور.

ومن غير المتوقع أن يرى العالم أو الحكيم، سوء عمله حسناً فيعجبه، ويحسب أنَّه يحسن صنعاً، وإن حصل ذلك بإنسان فما هو بالعالم ولا الحكيم ولا العاقل أيضاً، كيف يعجب العالم بنفسه؟ وهو قبل غيره يعلم أنَّ العجب صفة مذمومة تؤدي بالفرد إلى الهاوية والخسران، وهل يستحوذ الشيطان على المرء بغير عجبه بنفسه؟ واستكثاره عمله؟ وصغر ذنبه في عينه؟

ما عرف إنسان قدر نفسه غير العالم والحكيم والعاقل، ولذلك فهو لا يتجاوز مقداره، ولا يتعدى حدوده.

وممَّا روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: العجب كل العجب ممَّن يعجب بعمله، وهو لا يدري بما يختم له،

فمن أعجب بنفسه وفعله، فقد ضل نهج الرشاد، وادّعى ما ليس له، والمدعي من غير حق كاذب، وإن أخفى دعواه، وطال دهره، وأنَّ أوَّل ما يفعل بالعجب نزع ما أعجب به ليعلم أنه عاجز حقير، ويشهد على نفسه ليكون الحجَّة عليه أوكد، كما فعل إبليس.

والعجب نبات حبها كفر، وأرضها النفاق، وماؤها البغي، وأغصانها الجهل، وورقها الضلال، وثمرها اللعنة والخلود في النَّار، فمن اختار العجب فقد بذر الكفر، وزرع النفاق، ولا بدَّ أن يثمر[1].

وإنَّ سائل سائل: ما تفسير القول: إنَّ الجاهل هو الذي يصاب بالعجب مثلاً؟

فالجواب على ذلك، هو أن نستذكر أولاً حديثاً لرسول الله ﷺ قال فيه: «ما منكم من أحد ينجيه عمله»، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال ﷺ: «ولا أنا، إلاَّ أن يتغمدني الله برحمته»، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ﴾[2].

وقول الإمام جعفر بن محمد الصَّادق عليه السلام: من أعجب بنفسه هلك، ومن أعجب برأيه هلك، وأنَّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله تعالى، وأبرأت الأكمة والأبرص بإذن الله تعالىٰ، وعالجت الموتىٰ فأحييتهم بإذن الله تعالى، وعالجت الأحمق فلم أقدر على إصلاحه.

فقيل يا روح الله: وما الأحمق؟ قال عليه السلام: المعجب برأيه

---

(١) راجع البحار: ج١٥، ص٣، باب العجب.
(٢) سورة النور: الآية: ٢١.

ونفسه، الذي يرى الفضل كله له لا عليه، ويوجب الحق كله لنفسه، ولا يوجب عليها حقاً، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته.

ولو سألنا أنفسنا هنا: أي بني آدم أكثر معرفة لتفسير قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾، هل هو الجاهل من الناس أم العالم؟ فهل يعقل أن يعتقد العالم بكونه قد بلغ من العلم مرحلة ما بلغها أحد قبله، فيعجب بنفسه، فإن حصل ذلك لا قدر الله فقد حكم العالم على نفسه بالجهل قبل أن يحكم غيره عليه بذلك، وإن اعتقد أنَّه قد بلغ نهاية العلم، فقد حكم على نفسه بالجهل أيضاً بناءً على الحقيقة التي لا جدال فيها وهي (وفوق كل ذي علم عليم)، فمن جهل كل ذلك فهو جاهل دون شك في ذلك ولهذا نقول: إنَّ الجاهل وحده هو الذي يصاب بالعجب.

قال بعض الحكماء: من طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهرة، كان حظه منه، ومن طلب العلم لكرم العلم، والتمسه لفضل الاستبانة، كان حظه منه بقدر كرمه، وانقطاعه منه حسب استحقاقه.

ومن قول لرسول الله ﷺ رواه الإمام الصَّادق عليه السلام قال ﷺ: من تعلم علماً ليماري به السفهاء، أو يباهي به العلماء، أو ليقبل بوجوه الناس إليه فهو في النَّار.

ولو استذكر العالم ما كان عليه آل البيت النبوي الأطهار من العلم والمعرفة لصغر علمه في عينه إذا ما قُورن مع علمهم، وذلك لمعرفة الكل أنَّ آل البيت هم خزنة علم الله تعالى الذي ورثوه عن الأنبياء والرُّسل والأوصياء الذين قبلهم، ولو استذكر العالم ما كان عليه آل البيت من مكارم وسجايا وخصال فاقت حد التصور لعرف

أن العجب آفة لا ينقاد إليها إلاَّ الجاهل، وإنها تورده مدارك الهلكة والخسران.

قال رسول الله ﷺ: العلم حياة القلوب من الجهل، وضياء الأبصار من الظلمة، وقوَّة الأبدان من الضعف، يبلغ بالعبد منازل الأخيار، ومجالس الأبرار، والدرجات العلى في الآخرة والأولىٰ[1].

ومن قول لأمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «رأسه التواضع، وعينه البراءة من الحسد، وأذنه الفهم، ولسانه الصدق، وحفظه الفحص، وقلبه حسن النية، وعقله معرفة الأسباب بالأُمور، ويده الرحمة، وهمته السلامة، ورجله زيارة العلماء، وحكمته الورع، ومستقره النجاة، وقائده العافية، وموكبه الوفاء، وسلاحه لين الكلام، وسيفه الرضا، وقوسه المداراة، وجيشه محاورة العلماء، وماله الأدب، وذخيرته اجتناب الذنوب، وزاده المعرفة، ومأواه الوداعة، ودليله الهدىٰ، ورفيقه صحبة الأخيار».

فأين يا ترى مكان العجب عند العلماء؟ وهل من الحكمة التي عرفوا بها يكون للعجب موقعاً في نفوسهم؟ وهل وجد منهم أحد عجباً من الرسول محمَّد ﷺ؟ أو لمس بعضاً منه من آل بيته الأطهار؟ خصوصاً وهم يحملون من العلم ما لم يحمله أحد غير جدهم المصطفىٰ ﷺ، منذ أن خلق الله تعالى الخلق إلى أن يعيدهم إليه، ألم يكونوا عليهم السلام من حملوا علم الكتاب والحكمة؟ ألم يحسدوا على ما آتاهم الله من فضله؟ ألم يكونوا قد أوتوا ملكاً عظيماً؟

---

(١) رواه الصدوق في الآمالي. والطبرسي في مقدمة تفسيره: ج١، ص١٨١.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾[1].

وقال جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾[2].

كان محمد قد دخل داره حينما وصل بحديثه مع نفسه إلى ما وصل إليه، فتلقاه الجميع بالسرور والترحاب، ودخلوا الغرفة جميعاً، وأخذ كل منهم مكانه فيها، وما هي إلاَّ دقائق حتى بدأ الأب حديثه قائلاً: سنتحدث اليوم عن مناقب الإمام الحسن العسكري وكراماته، وخصوصاً الناحية التي امتازوا بها دون غيرهم من الناس، ألا وهي معرفتهم بما سيجري عليهم، والذي أعلمهم إيَّاه جدهم المصطفىٰ محمد ﷺ، إذا علم به وصيه وحبيبه علي بن أبي طالب عليه السلام، وتوارثوه عنه.

فقد روي عن أبي الأديان قال: كنت أخدم الحسن بن علي الرضا عليه السلام، وأحمل كتبه إلى الأمصار، فدخلت إليه في علته التي توفي فيها عليه السلام، فكتب معي كتباً، وقال تمضي بها إلى المدائن، فإنَّك ستغيب خمسة عشر يوماً، فتدخل سر من رأى يوم الخامس عشر، وتسمع الواعية في داري، وتجدني على المغتسل.

قال أبو الأديان: فقلت: فإذا كان ذلك، فمن؟

قال عليه السلام: من طالبك بجوابات كتبي، فهو القائم بعدي.

قال أبو الأديان: فقلت: زدني.

---

(١) سورة النساء: الآية: ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية: ٦٨.

فقال عليه السلام: من يصلي عليَّ فهو القائم بعدي.

قال: فقلت: زدني.

فقال عليه السلام: من أخبر بما في الهميان فهو القائم بعدي.

قال أبو المكارم: فمنعتني هيبته أن أسأله ما في الهميان؟ وخرجت بالكتب إلى المدائن، وأخذت جواباتها، ودخلت سر من رأى يوم الخامس عشر، كما قال لي عليه السلام، فإذا أنا بالواعية في داره وإذا أنا بجعفر بن علي أخيه بباب الدار، والشيعة حوله يعزونه ويهنونه، فقلت في نفسي: إن يكن هذا الإمام فقد حالت الإمامة، لأني كنت أعرفه...

قال أبو الأديان: فتقدمت وعزيت وهنيت، فلم يسألني عن شيء، ثم خرج عقيد، فقال: يا سيدي، قد كفن أخوك، فقم للصلاة عليه، فدخل جعفر بن علي، والشيعة من حوله، يقدمهم السمان. والحسن بن علي عليه السلام المعروف بسلمه قتيل المعتمد. فلما صرنا بالدار، إذا نحن بالحسن بن علي عليه السلام على نعشه مكفناً، فتقدم جعفر بن علي ليصلي على أخيه، فلما همَّ بالتكبير، خرج صبي بوجهه سمرة، بشعره قطط، بأسنانه تفليج، فجذب رداء جعفر بن علي وقال: تأخر يا عم، فأنا أحق بالصلاة على أبي، فتأخر جعفر، وقد أربد وجهه، فتقدم الصبي، فصلى عليه، ودفن إلى جنب قبر أبيه، ثم قال عليه السلام: يا بصري، هات جوابات الكتب التي معك، فدفعتها إليه، وقلت في نفسي: هذه اثنان، وبقى الهميان، ثم خرجت إلى جعفر بن علي، وهو يزفر، فقال له حاجز الوشا: يا سيدي، من الصبي؟ ليقيم عليه الحجَّة، فقال: والله ما رأيته قط، ولا عرفته.

قال أبو الأديان: فنحن جلوس، إذ قدم نفر من قم، فسألوا عن الحسن بن علي عليه السلام، فعرفوا موته، فقالوا: فمن؟ فأشار الناس إلى جعفر بن علي، فسلموا عليه، وعزوه وهنوه، وقالوا: معنا كتب ومال، فتقول ممَّن الكتب؟ وكم المال؟ فقام جعفر بنفض أثوابه، ويقول: يريدون أن نعلم الغيب.

ثم قال أبو الأديان: فخرج الخادم فقال: معكم كتب فلان وفلان، وهميان فيه ألف دينار وعشرة دنانير فيها مطلبيه، فدفعوا الكتب والمال، وقالوا: الذي وجه بك لأجل ذلك هو الإمام عليه السلام.

ثم دخل جعفر بن علي على المعتمد، وكشف له ذلك، فوجه المعتمد خدمه، فقبضوا على صيقل الجارية، وطالبوها بالصبي، فأنكرته، وادعت حملاً بها، لتغطي على حال الصبي، فسلمت إلى ابن أبي الشوارب القاضي، وبغتهم موت عبيد الله بن يحيى بن خاقان فجأة، وخروج صاحب الزنج بالبصرة، فشغلوا بذلك عن الجارية، فخرجت من أيديهم[1].

ومن مناقبه عليه السلام أيضاً وتعريف الناس من مواليه بما يجري له عليه السلام في سنة مائتين وستين ما روي عن أحمد بن إسحاق بن مصقلة قال: دخلت على أبي محمد عليه السلام فقال لي: يا أحمد، ما كان حالكم فيما كان الناس فيه من الشك والارتياب، قلت: لما ورد الكتاب بخبر مولد سيدنا عليه السلام، لم يبق منَّا رجل ولا امرأة ولا غلام بلغ الفهم، إلاَّ قال بالحق، فقال عليه السلام: أما علمتم أنَّ الأرض لا تخلو من حجَّة الله تعالىٰ.

---

(١) روى ذلك الصدوق في الإكمال بأسناد عن أبي الأديان.

ثم قال أحمد بن إسحاق: ثم أمر أبو محمد عليه السلام والدته بالحج في سنة تسع وخمسين ومائتين، وعرفها ما يناله في سنة ستين، ثم سلَّم الاسم الأعظم والمواريث والسلاح إلى القائم الصاحب عليه السلام، وخرجت أم أبي محمد عليه السلام إلى مكَّة، وقبض عليه السلام في شهر ربيع الآخر من سنة ستين ومائتين، ودفن بسر من رأى إلى جانب أبيه عليه السلام، وكان مولده إلى وقت مضيه عليه السلام تسع وعشرون سنة[1].

ومن مناقبه عليه السلام وكراماته وهم جميعاً أهل مناقب وكرامات، ويكفيهم كرامة إنَّ الله جلَّ جلاله اختارهم أن يكونوا حججه في هذه الأرض، والشهود على عباده، وطهرهم بقضاء منه تعالى وخصهم بالشفاعة يوم القيامة، أنه عليه السلام أخبر عمته حكيمة بوقت ولادة القائم عليه السلام، وذلك ما روي عن محمد بن عبد الله المطهري عن حكيمة بنت محمد الجواد عليه السلام، وهي تحدثه عن الحجَّة عليه السلام وولادته، فقالت: بعد مضي أبو الحسن علي الهادي عليه السلام، وجلوس أبو محمد مكانه، كنت أزوره، كما كنت أزور والده، فجائتني نرجس يوماً تخلع خفي وقالت: يا مولاتي، ناوليني خفك، فقلت: بل أنت سيدتي ومولاتي، والله، لا دفعت خفي إليك لتخلعيه، ولا خدمتني، بل أخدمك على بصري، فسمع أبو محمد عليه السلام ذلك، فقال: جزاك الله خيراً يا عمة، فجلست عنده إلى وقت غروب الشمس، فصحت بالجارية وقلت: ناوليني ثيابي لانصرف.

فقال عليه السلام: يا عمتاه، بيتي الليلة عندنا، فإنَّه سيولد الليلة المولود الكريم على الله عزَّ وجلَّ، الذي يحيي به الله عزَّ وجلَّ

---

(١) عيون المعجزات: للسيد المرتضى عن أحمد بن إسحاق بن مصقله.

الأرض بعد موتها، قلت: ممَّن يا سيدي ولست أرى بنرجس شيئاً من أثر الحبل.

فقال عليه السلام: من نرجس، لا من غيرها.

قالت حكيمة: فوثبت إلى نرجس، فقلبتها ظهراً لبطن، فلم أرَ أثراً من حَبَل، فعدت إليه فأخبرته بما فعلت، فتبسم عليه السلام ثم قال: إذا كان وقت الفجر يظهر لك بها الحبل، لأن مثلها مثل أم موسى، لم يظهر بها الحَبَل، ولم يعلم بها أحد، إلى وقت ولادتها، لأن فرعون كان يشق بطون الحبالا في طلب موسى عليه السلام وهذا نظير موسى.

قال الأب: وفي رواية أخرى، أنه عليه السلام قال لها: إنَّا معشر الأوصياء لسنا نحمل في البطون، وإنَّما نحمل في الجنوب، ولا نخرج من الأرحام، وإنما نخرج من الفخذ من أمهاتنا، لأنَّنا نور الله الذي لا تناله الدانسات.

قالت حكيمة: فلما صليت المغرب والعشاء الآخرة، أتيت بالمائدة فأفطرت أنا ونرجس، وبايتّها في بيت، فغفوت غفوة، ثم استيقظت، فلم أزل مفكرة فيما وعدني أبو محمد عليه السلام من أمر ولي الله عليه السلام، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كل ليلة، فصليت صلاة الليل، حتى إذا بلغت الوتر، فوثبت نرجس فزعة، وخرجت، وأسبغت الوضوء، ثم عادت فصلت صلاة الليل وبلغت إلى الوتر، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب، فقمت لأنظر، فإذا أنا بالفجر الأول قد طلع، فتداخل قلبي الشك من وعد أبي محمد عليه السلام، فناداني من حجرته، لاتشكي، وكأنَّك بالأمر الساعة قد رأيته إن شاء الله، قالت حكيمة: فاستحييت من أبي

محمد عليه السلام، ممَّا وقع في قلبي، حتى إذا كان وقت طلوع الفجر وثبت فزعة، وضممتها إلى صدري، وسميت عليها، فصاح أبو محمد عليه السلام: «اقرئي عليها: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾، فأقبلت أقرأ عليها، وقلت لها: ما حالك؟ قالت: ظهر الأمر الذي أخبرك به مولاي.

ثم قالت حكيمة: فأقبلت أقرأ عليها كما أمرني، فأجابني الجنين من بطنها يقرأ كما أقرأ، وسلَّم عليَّ.

قالت حكيمة: ففزعت لما سمعت، فصاح أبو محمد عليه السلام: لا تعجبي من أمر الله عزَّ وجلَّ، إنَّ الله تبارك وتعالىٰ ينطقنا بالحكمة صغاراً، ويجعلنا حجَّة في أرضه كباراً، فلم يستتم الكلام، حتى غُيبت عني نرجس، فلم أرها، كأنه ضرب بيني وبينها حجاب، فعدوت نحو أبي محمد عليه السلام، وأنا صارخة، فقال لي: ارجعي يا عمة، فإنَّك ستجديها في مكانها.

ثم قالت حكيمة: فرجعت، فلم ألبث أن كشف الحجاب بيني وبينها، وإذا أنا بها، وعليها أثر النور ما غشي بصري، وإذا أنا بالصبي ساجداً على وجهه، جاثياً على ركبتيه، رافعاً سبابتيه نحو السماء، وهو يقول: أشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ أبي أمير المؤمنين عليه السلام، ثم عدَّ إماماً إماماً، إلى أن بلغ إلى نفسه فقال عليه السلام: اللهم انجز لي ما وعدتني، وأتمم لي أمري، وثبت لي وطأتي، واملأ الأرض بي عدلاً وقسطاً[1].

---

(١) رواه الصدوق والمرتضى بأسانيد عديدة عن محمد بن عبد الله المطهري عن حكيمة بن محمد الجواد عليه السلام.

فقال الأبناء: آمين اللَّهمَّ ربّ العالمين.

فقال الأب: اللَّهمَّ بحقك يا ربي. أنجزْ لمولانا وإمامنا الحجة المنتظر ما وعدته به. إنّك لا تخلف الميعاد.

اللَّهمَّ بحق محمد عبدك ورسولك وأمينك وصفيك. وفّقنا لنصرته وشرّفنا بالانضمام تحت لوائه. وبيّض وجوهنا بالشهادة بين يديه. إنّك تهدي مَن تشاء إلى صراطك المستقيم. والحمد لله أولاً وآخراً.

ثم صمت الأب قليلاً. ثم قال: وإلى الغد يا أبنائي لنا موعد لاستكمال حديثنا إن شاء الله تعالى.

اليوم الرابع

ما روي عن الإمام الحسن العسكري (ع)

كان الأب وأبناؤه قد أخذ كل منهم موضعه في الغرفة، وكان الأب حينها لا يدري أي حديث يختار ليحدث به أبناءه، وهو في حيرته هذه إذ تبادر إلى ذهنه حديث روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فوجد فيه خير بداية للحديث، فقال:

روي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال: علامات المؤمن خمس: صلاة أحد وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر بـ بسم الله الرَّحمن الرحيم.

ثم قال الأب: هذه يا أبنائي العلامات الَّتي يمكن أن نستدل بها على المؤمن، ولو أردنا التعرف على كل واحدة منها نقول:

المقصود من صلاة إحدى وخمسين: هي الصلاة اليومية الواجبة وهي سبع عشرة ركعة، وما تبقى هي النوافل وعددها أربع وثلاثون ركعة.

أمَّا زيارة الأربعين: فيعني عليه السلام بها زيارة الإمام الحسين بن علي عليه السلام في العشرين من صفر، أي بعد مرور أربعين يوماً على استشهاده عليه السلام يوم الطف بكربلاء.

والتختم باليمين: هو لبس الخاتم باليد اليمنى كما هي عليه السنَّة النبوية الشريفة.

أمَّا تعفير الجبين: فهو السُّجود لله تعالى في كل مناسبة لتأكيد العبودية لله تعالى وحده لا شريك له، سواء كان ذلك في الصلاة أو في قراءة آيات السجدة، أو في السراء شكرا لله تعالى على أفضاله ونعمائه، أم في السراء توسلاً لله تعالى ورجاء في الرحمة والغفران والصبر على البلاء.

أمَّا الجهر بـ بسم الله الرَّحمٰن الرحيم، أي قولها جهراً في صلاة النَّهار.

فقال الابن الأكبر: وهل روي شيء في فضل زيارة الأربعين يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، لقد وردت أحاديث عدَّة في زيارة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، سواء في الأربعين أو في أي يوم مبارك آخر، فقد روي عن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، سئل عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام هل لها وقت أفضل من غيره؟ فقال عليه السلام: زوروه في كل زمان، فإنَّ زيارته خير مقرر، من أكثر منها: كثر نصيبه من الخير، ومن أقلّ منها: قل نصيبه منه، واجتهدوا في زيارته في الأوقات الشريفة ففيها يضاعف أجر الصالحات، وتنزل الملائكة من السماء لزيارته عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: وما الأوقات الشريفة يا أبي؟

هي الأوقات الَّتي كان لها أثراً كبيراً، أو خصها الله تعالى بمناسبة مباركة، خصوصاً إن كانت المناسبة لها ارتباط بالإمام الحسين عليه السلام: كيوم المباهلة، ويوم نزول سورة هل أتى، ويوم

ميلاده الشريف، وشهادته عليه السلام، ويوم الأربعين، ثم ليالي الجمعة وغير ذلك من الأزمان والمناسبات.

وممَّا يروى أنَّ الله جلَّ جلاله ينظر إلى الإمام الحسين عليه السلام في كل ليلة من ليالي الجمعة بعين الكرامة، فيبعث إلى زيارته كل نبي أو وصي نبي.

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: أنَّ من زار قبر الإمام الحسين عليه السلام في جمعة غفر الله له، ولم يخرج من الدنيا حسراً، كان في الجنة مع الإمام الحسين عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: وماذا بشأن من كانوا في بلاد بعيدة يا أبي، أيحرمون من هذا الفضل؟

فقال الأب: لا يا ولدي، وكيف يحرمون، وهل يعقل أن لا ينال الموالين لآل البيت خيراً وفضلاً لمجرد أنَّ بلدانهم بعيدة عن موطن قبر الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك الحال لمن هم في مدن العراق إلاَّ أنَّهم محتاجين وغير قادرين على تكاليف الزيارة، فلهم ثواب أيضاً، الأول هو صبرهم على الحاجة والبعد مع الشوق والرغبة في الزيارة، وثانياً يثاب على زيارته كما يثاب من ذهب قاصداً الزيارة من القادرين والميسورين.

فقال الابن الأكبر: وكيف يا أبي؟

فقال الأب: روي عن ابن أبي عمير عن هشام عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: إذا بعدت بأحدكم الشقة، ونات به الدار، فليعل أعلى منزله، فيصلِّ ركعتين، وليؤم الزيارة بالسَّلام إلى قبورنا فإنَّ ذلك يصير إلينا.

كما وروي أيضاً عن حنان بن سدير عن أبيه قال: قال لي الإمام الصادق عليه السلام: يا سدير، تزور قبر الإمام الحسين عليه السلام في كل يوم؟ قلت: جعلت فداك، لا، قال عليه السلام ما أجفاكم؟ فتزوره في كل جمعة؟ قلت: لا، قال عليه السلام فتزوره في كل شهر؟ قلت: لا، قال عليه السلام: فتزوره في كل سنة؟ قلت: قد يكون ذلك، قال عليه السلام: يا سدير، ما أجفاكم بالإمام الحسين عليه السلام؟ أما علمتم أنَّ لله ألفين من الملائكة (وفي رواية ألف ألف ملك)، شعثاً غبراً، يبكون ويزورون لا يفترون؟ وما عليك يا سدير أن تزور قبر الإمام الحسين عليه السلام في كل جمعة خمس مرَّات؟ وفي كل يوم مرَّة؟

قال سدير: فقلت: جعلت فداك، أن بيننا وبينه فراسخ كثيرة.

فقال عليه السلام: تصعد فوق سطحك، ثمَّ تلتفت يمنة ويسرة، ثم ترفع رأسك إلى السماء، ثم تتحول نحو قبر الإمام الحسين عليه السلام، ثم تقول: السلام عليك يا أبا عبد الله، السلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ثمَّ قال عليه السلام: تكتب لك زورة، والزورة حجَّة وعمرة.

قال سدير: فربَّما فعلته في الشهر أكثر من عشرين مرَّة.

فقال الابن الأكبر: شوقتنا يا أبي لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، عسى الله تعالى يكتبنا من زائريه.

فقال الأب: هناك زيارة للإمام الحسين عليه السلام رويت عن جابر بن عبد الله الأنصاري، مروية عن عطا، قال: كنت مع جابر بن عبد الله الأنصاري يوم العشرين من صفر، فلما وصلنا الغاضرية اغتسل في شريعتها، ولبس قميصاً كان معه طاهراً، ثم قال لي: أمعك شيء من الطيب يا عطا؟ قلت: سعد، فجعل منه على رأسه، وسائر جسده، ثم

مشى حافياً حتى وقف عند رأس الإمام الحسين عليه السلام، وكبَّر ثلاثاً.. ثم خرَّ مغشيّاً عليه، فلما أفاق سمعته يقول:

السلام عليكم يا آل رسول الله، السلام عليكم يا صفوة الله، السلام عليكم يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا وارث إبراهيم خليل الله، السلام عليك يا وارث إسماعيل ذبيح الله، السلام عليك يا وارث موسىٰ كليم الله، السلام عليك يا وارث عيسىٰ روح الله، السلام عليك يا وارث محمَّد حبيب الله.

السلام عليك يابن محمَّد المصطفىٰ، السلام عليك يابن علي المرتضىٰ، السلام عليك يابن فاطمة الزَّهراء، السلام عليك يابن خديجة الكبرىٰ، السلام عليك يا شهيد ابن الشهيد، السلام عليك يا قتيل ابن القتيل، السلام عليك يا ولي الله، السلام عليك يا حجَّة الله، وابن حجته على خلقه، أشهد أنَّك قد أقمت الصلاة، وأتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر، ورزئت بوالديك، وجاهدت عدوك، وأشهد أنَّك تسمع الكلام، وتردّ الجواب، وأنَّك حبيب الله وخليله، ونجيبه وصفيه وابن صفيه، يا مولاي وابن مولاي، زرتك مشتاقاً، فكن لي شفيعاً إلى الله يا سيِّدي، واستشفع إلى الله بجدك سيِّد النَّبيِّين، وبأبيك سيِّد الوصيِّين، وبأمك فاطمة سيِّدة نساء العالمين، ألا لعن الله قاتليك، ولعن الله ظالميك، ولعن الله سالبيك ومبغضيك، من الأولين والآخرين، وصلَّىٰ الله على سيِّدنا محمَّد وآله الطيبين الطاهرين.

ثم قال الأب مخاطباً أبناءه: تقبَّل الله منَّا ومنكم إن شاء الله.

فقال الابن الأكبر: ألم تروى عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام زيارة يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، لقد رويت له زيارة لجده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم الغدير، وهي زيارة طويلة ومشهورة رواها الشيخ المفيد، قال عليه السلام في قسم منها:

السلام عليك يا أمين الله في أرضه، وسفيره في خلقه، وجاهدت وهم محجمون[1]، وأشهد أنَّك للهوىٰ مخالفاً، وللتقىٰ محالفاً[2]، وأشهد أنَّك ما اتقيت ضارعاً[3]، ولا أمسكت عن حقك جازعاً، ولا أحجمت عن مجاهدة عاصيك ناكلاً[4]، لا تحفل بالنوائب[5]، ولا تهن[6] عند الشدائد، ولا تحجم عن محارب، وأولى لمن عَنِّدَ عنك[7]، وأنت أول من آمن بالله وأبدىٰ صفحته[8] في دار المشركين، قلت: لقد نظر إليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله اضرب بالسيف قدماً[9]، وأني لعلى الطريق الواضح[10]، ألفظه لفظاً[11] فوضع على نفسه أوزار المسير[12]، ونهض في رمضاء الهجير[13]، وأنت تزود بُهَم[14] المشركين عن

---

(١) محجمون: أي الكافون، كقولنا: أحجم محمد: أي كفَّ.

(٢) للتقى محالفاً: أي معاضداً ومساعداً.

(٣) ما اتقيت ضارعاً: أي لم تتق لكونك ضعيفاً بل اتقيت امتثالاً لأمر الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله.

(٤) ناكلاً: أي ضعيفاً أو جباناً.

(٥) لا تحفل بالنوائب: أي لا تبالي بها.

(٦) ولا تهن: أي ولا تضعف.

(٧) وأولى لمن عَنَّدَ: أولى كلمة تهديد وقد وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: أولى لك فأولى...

(٨) أبدىٰ صفحته: أي أظهر ناحيته وجنبه في جهاد المشركين.

(٩) اضرب بالسيف قدماً: أي لم يعرج على شيء.

(١٠) الطريق الواضح: هو النهج السليم والطريق المستقيم.

(١١) ألفظه لفظاً: أي أقوله قولاً حقاً ولا التفت إلى لائم.

(١٢) أوزار المسير: أي اثقالها إلى المقام الخطير الّذي كان فيه فطنة إثارة الفتنة بإقامة الحجّة.

(١٣) الرمضاء: الأرض الشديدة الحرارة. والهجير: نصف النهار وشدة الحر.

(١٤) بُهَم المشركين: البهم جمع بهيمة، وهو الذي لا يهتدي من أين يؤتى لشدة حذره.

النبي ﷺ ذات اليمين وذات الشمال، ولقد أوضحت بقولك: قد يرى الحُولُ القُلّبُ[1] وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله فيدعها رأي العين، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين[2]...

فقال الابن الأكبر: وهل كانت للإمام الحسن العسكري وصايا وموعظ يا أبي؟

الأب: لقد روي له عليه السلام أنَّه قال: من مسح يده برأس يتيم رفقاً به، جعل الله له في الجنة بكل شعرة مرَّت تحت يده قصراً أوسع من الدنيا وما فيها، وفيها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون.

وروي عنه عليه السلام أنَّه قال: قال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: من كفل لنا يتيماً قطعته عنَّا غيبتنا واستتارنا فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتى أرشده وهداه، قال الله عزَّ وجل: «يا أيُّها العبد الكريم المواسي، إني أولى بهذا الكرم، اجعلوا له يا ملائكتي في الجنان بعدد كل حرف علمه ألف ألف قصر، وأضيفوا إليها ما يليق بها من سائر النعم.

ثم قال عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله عزَّ وجل أمر جبرئيل ليلة المعراج فعرض عليَّ قصور الجنان، فرأيتها من الذهب والفضة، بلاطها المسك والعنبر، غير أني رأيت لبعضها شرفاً عالية، ولم أرّ لبعضها، فقلت: يا حبيبي يا جبرئيل، ما بال هذه بلا شرف؟

---

(١) الحول: ذو التصرف والاحتيال في الأمور، والقُلّب: الرجل العارف بالأمور، المحتال في أموره، الحسن التقلب.

(٢) أي ليس بذي حرج. والحرج: النائم. والحريجة: التقوى.

كما سائر تلك القصور، فقال: يا محمَّد، هذه قصور المصلين فرائضهم الَّذين يكسلون عن الصلاة عليك وعلى آلك بعدها، فإن بعث مادة لبناء الشرف، من الصلاة على محمد وآله الطيبين بنيت له الشرف، وإلاَّ بقيت هكذا.

فقال الأبناء: اللَّهمَّ صلِّ على نبيك وحبيبك وخيرتك من خلقك محمد المصطفىٰ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وسلِّم تسليماً كثيراً إنَّك يا رب بعبادك بصيراً.

فقال الأب: اللَّهمَّ صلِّ على محمد وآل محمد، وضاعف اللَّهمَّ جزاء محمَّد وآل محمد، فأنت يا رب القائل: والله يضاعف لمن يشاء من عباده، وهم يا إلٰهي خير عبادك، وأحبهم إليك، وأكثرهم وفاء لما عاهدوك به، يا أرحم الراحمين، اللَّهمَّ صلِّ على محمد وآل محمد.

ثم قال الأب: اعلموا يا أبنائي إنَّ الصلاة على محمد وآل محمد فريضة فرضها الله تعالى على المسلمين جميعاً، بقوله جلَّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾.

فقال الأبناء: نعم يا أبي، نعلم ذلك، وقد حدثنا به مراراً، وقلت أنَّ النبي ﷺ قال لا تصلوا عليَّ الصلاة البتراء، فقيل له: وما الصلاة البتراء يا رسول الله ﷺ؟ فقال ﷺ: أن تقولوا اللَّهمَّ صلِّ على محمد، وتصمتوا، بل قولوا: اللَّهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد.

فقال الأب: أحسنتم يا أبنائي.

ثم قال الأب محمد: نكتفي بما تحدثنا به اليوم يا أبنائي، ولنا حديث آخر يوم غد إن شاء الله.

اليوم الخامس

شهادة الإمام العسكري (ع)

حضر الأب كعادته كل يوم بعد المغرب بقليل، وكان الأبناء قد تهيأوا في غرفة الجلوس في انتظاره، فدخل عليهم مسلّماً، فتلقاه الأبناء بفرح وترحاب، وأخذ مكانه بينهم، وما هي إلاَّ دقائق حتَّى بدأ حديثه قائلاً، حديثنا اليوم عن شاب لم يتجاوز التاسعة والعشرين من عمره، قتل مسموماً ظلماً وعدواناً كما قتل من قبل آبائه وأجداده، لا لذنب أذنبه، ولا بجريرة كانت منه، وإنَّما لإخلاصه في الإيمان، ورغبته في أن يتوجه النَّاس، كل النَّاس لعبادة الله تعالىٰ، رغبة في عبادته جلَّ جلاله أكثر من كونها رهبة من عذابه.

لم يردعهم في قتله إسلامه الصادق وإيمانه الحق، ولا علمه الواسع الَّذي ورثه عن آبائه وأجداده، ولا للقرابة القريبة الَّتي له من رسول الله محمَّد ﷺ، لقد كان بغضهم له أقوى من كل هذه الأعذار الَّتي كان من المفترض أن تردعهم عن فعلتهم الأثيمة، فتآمر عليه عبيد الدُّنيا وطلاَّب زينتها ومتاعها، فسموه بالسم الزعاف، ولو كانوا أَمنوا غضبة النَّاس لقتلوه بالسيوف، كان خوفهم من غضب

المسلمين أكبر من خوفهم من غضب الله تعالىٰ، وكأنَّهم لم يؤمنوا باليوم الذي تشخص فيه الأبصار.

كان ذلك قد حدث في شهر ربيع الأول لأيام قلائل قد مضت منه، في سنة ستين ومائتين للهجرة النبوية الشريفة، حيث ضجَّت سر من رأى ضجَّة واحدة... مات ابن الرِّضا... مات الحسن بن علي الهادي... مات ابن فاطمة الزَّهراء... مات الرضي.. مات التقي.. مات أبو محمد الحسن العسكري.

ولكي يبرىء الفاعل نفسه أمام النَّاس بعث بأبي عيسى بن المتوكل العباسي ليكشف وجه الإمام العسكري عليه السلام ويعرضه على بني هاشم من العلويين والعباسيين، والقواد والكتَّاب والقضاة والفقهاء والمعدلين، ويقول: هذا الحسن بن علي بن محمد بن الرِّضا، مات حتف أنفه على فراشه، وقد حضره من خدم أمير المؤمنين وثقاته فلان وفلان، ومن المتطببين فلان وفلان، ثم غطى وجهه الكريم. وما كفاهم قتل الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وإنَّما اضطربوا في طلب ولده، وكثر التفتيش في المنازل والدور، وكانت حجتهم في ذلك تقسيم الميراث، فذكر البعض أنَّ هناك جارية بها حمل، فأمر بها، فجعلت في حجرة، ووكل تحرير الخادم وأصحابه ونسوة معهم بحراستها ومراقبتها، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية ومراقبتها ملازمين لها سنتين أو أكثر، حتى تبين لهم بطلان الحمل، ولم يمنعهم ذلك من الاستمرار في البحث عن ولد الإمام العسكري، الذي شاء الله تعالى أن يحفظه منهم بستره عنهم وتغييبه، إلى ما شاء الله من الزمان، ليظهره جلَّ جلاله بعد ذلك ليملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً، وليجعل حينها الدِّين كله لله تعالى، وينشر الإسلام في ربوع هذه الأرض.

ومن الأُمور الَّتي تحزّ في النفس أنَّ جعفر بن علي الهادي عليه السلام أخا الإمام الحسن بن علي عليه السلام سوَّلت له نفسه أن يتعاون مع السلطان، ويطلب الإمامة منه لنفسه، وكأنَّ الإمامة منحة يمنحها السلطان لمن يرى أن يمنحها إيَّاه.

فقال الابن الأكبر مستغرباً قول أبيه: وكيف يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، فهو غير معصوم، وغير المعصوم يكون للشيطان سلطان عليه، إلاَّ من رحم ربِّي، وملك عقله وفكره، واستطاع بواسطتهما أن يختار لنفسه الطريق القويم الَّذي يرضىٰ الله سبحانه وتعالىٰ عنه.

فقال الابن الأكبر: حدثنا يا أبي كيف طلب الإمامة؟

فقال الأب: لقد روي عن أحمد بن عبيد الله بن خاقان قال: جاء جعفر بن على إلى أبي، وقال له: اجعل لي مرتبة أبي وأخي، وأوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره أبي، وأسمعه وقال له: يا أحمق، إنَّ السلطان جرد سيفه وسوطه في الذين زعموا أنَّ أباك وأخاك أئمة، ليردهم عن ذلك فلم يقدر عليه، ولم يتهيأ له صرفهم عن هذا القول، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً فلا حاجة بك إلى سلطان يرتبك مراتبهم، ولا غير سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة، لم تنلها بها، ثمَّ قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان: فاستقله عند ذلك واستضعفه، وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له بالدخول عليه حتى مات أبي، والأمر على تلك الحال، والسلطان يطلب أثر ولد الحسن بن علي حتى اليوم[1].

---

(١) راجع إكمال الدِّين، للصدوق.

وروى الصدوق أيضاً في الإكمال قال: وجدت مثبتاً في بعض الكتب المصنفة في التواريخ ولم أسمعه عن محمد بن الحسين بن عباد قال: مات أبو محمد عليه السلام، يوم الجمعة مع صلاة الغداة، وكان في تلك الليلة قد كتب بيده كتباً كثيرة إلى المدينة، وذلك في شهر ربيع الأول، لثمان خلون سنة ستين ومائتين للهجرة، ولم يحضره في ذلك الوقت إلاَّ صيقل الجارية، وعقيد الخادم، ومن علم الله غيرهما.

قال عقيد: فدعى عليه السلام بماء قد أعلي بالمصطكي، فجئنا به إليه، فقال: ابدء بالصلاة، هيئوني، فجئنا به وبسطنا في حجره المنديل، وأخذ من صيقل الماء، فغسل به وجهه وذراعيه، مرَّة مرَّة، ومسح على رأسه وقدميه مسحاً، وصلَّىٰ صلاة الصبح على فراشه، وأخذ القدح ليشرب، فأقبل القدح يضرب ثناياه، ويده ترتعد، فأخذت صيقل القدح من يده، ومضى عليه السلام من ساعته، ودفن في داره بسر من رأى، إلى جنب أبيه عليه السلام، وصار إلى كرامة الله جلَّ جلاله، وقد كمل عمره تسعاً وعشرين سنة، وأعلم أنَّ وفاته عليه السلام باتفاق أكثر المحدثين والمؤرخين في ثامن شهر ربيع الأول سنة مائتين وستين من الهجرة.

وقال الشيخ في المصباح: أنَّه في أول الشهر المذكور، والأكثر أنَّه كان يوم الجمعة، وقيل يوم الأربعاء، وقيل يوم الأحد، وكان عمره الشريف حينئذٍ تسعة وعشرين سنة، وقيل ثمانية وعشرين سنة، ومدة إمامته عليه السلام ما يقرب من ستة سنين.

وقال ابن بابويه وغيره: أنَّ المعتمد أحد خلفاء بني العباس هو الذي سمه[1].

---

(١) راجع جلاء العيون: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١٣٦.

فقال الابن الأكبر: يعني أنَّه عليه السلام كان شاباً حينما قاموا بقتله، كما كان حال جده الإمام محمد بن علي الرِّضا عليه السلام.

فقال الأب: نعم يا ولدي، فالإمام محمَّد الجواد عليه السلام كان له من العمر خمساً وعشرين سنة حين توفي مسموماً، والإمام الحسن العسكري له من العمر تسعاً وعشرين سنة.

فقال الابن الأكبر: أي قلوب فظة غليظة كانت قلوبهم، ماذا سيكون عذرهم حينما يقفون للسؤال يوم القيامة.

فقال الأب: لقد اشتروا متاع الدنيا بالآخرة، وناداهم الشيطان فاستجابوا له، وما فُرض عليهم فعل ذلك كما تقول الجبرية، وإنَّما كان ذلك من اختيارهم وما سوَّلت لهم به أنفسهم، وكل نفسٍ بما فعلت رهينة، وكل يجني ما زرعت يداه، وسيعلم الَّذين ظلموا أي منقلب ينقلبونچ

وقال جلَّ جلاله في كتابه العزيز: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾[1].

ثم قال الأب: ونختم حديثنا عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام بحمد الله تعالىٰ بمثل ما يحب أن يحمد، والصلاة والسَّلام على محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلَّم تسليماً كثيراً.

---

(١) سورة الإنسان: الآيات: ١ ـ ٧.

الإمام الحجة المنتظر

ابن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام

التمهيد

أرى أن من أكثر الأُمور تأثيراً على بقاء المسلمين جسداً واحداً وقوَّة لا تقهر هو الاختلاف الذي حصل وما زال بين المسلمين، وأن من المؤسف حقاً أن تجد الأغلبية منهم لا يحاولون بصدق إنهاء هذا الاختلاف، ليس من أجل القوَّة والوحدة فحسب، وإنَّما هو من أجل أنفسهم أولاً وقبل كل شيء.

ولو سأل سائل كيف تفسران إنهاء الاختلاف بين طوائف المسلمين هو من أجل أنفسهم قبل كل شيء، فأقول:

قبل كل شيء أن مفهوم الاختلاف يعني عدم الاتفاق، وعدم الاتفاق إمَّا أن يكون على مسائل جوهرية أو على مسائل جانبية، ولكي نعطي أمثلة على ذلك نقول: إنَّ من المسائل الجوهرية التي اختلف فيها هي الإمامة مثلاً، وإنَّ من المسائل الجانبية التي اختلف فيها أيضاً تكتيف اليدين أو سبلهما أثناء الصلاة، فالأولى جوهرية لأنَّها ترتبط بإحياء ودوام حدود الله وشرائعه وسنن نبيه.

ولو أردنا معرفة ما تعني الإمامة من خلال ما بحث به علماء المسلمين، والذي هو لا خلاف عليه: أنَّ الإمامة ترادف الخلافة، أي أنَّ اللفظان يعبران عن معنى واحد، وهو الرياسة العامَّة في أُمور

الدِّين والدنيا نيابة عن رسول الله ﷺ، وانتهاجاً للنهج الذي ارتضاه الله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ للمسلمين، ولذلك يكون من اللازم إطاعة الإمام ظاهراً وباطناً، لأنَّ طاعة الأئمة من طاعة الله تعالى، وعصيانه من عصيانه جلَّ جلاله[1]، والذي يدعم ذلك قول الله جلَّ جلاله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾.

ورب سائل يسأل: إذا كان المسلمون متنقون على ذلك فأين الاختلاف إذن، نقول: إنَّ الاختلاف بينهم انصب على من هو المؤهل لهذا المنصب، ومن ذا الذي تكون من مسؤوليته نصب الإمام.

وهنا بالتحديد صار للعقل دور في الحكم على هذه المسألة، فمنهم من قال أنَّ ذلك من مسؤولية أهل الحل والعقد من المسلمين، فهم الذين عليهم أن يختاروا للمسلمين إماماً وخليفة، فرد الآخرون عليهم بحجج عقلية أيضاً، منها أنَّ الإمام لا يتم تنصيبه إلاَّ من قبل العالم بما في صدور عباده، وهو الله جلَّ جلاله إمَّا عن طريق الرَّسول ﷺ حيث يوحى إليه، أو عن طريق الإمام الَّذي سبق، وقالوا إنَّ من غير الحكمة أن ينصب إمام غير معصوم، لأنَّ غير المعصوم جائز الخطأ والسهو، وبذلك قد يأمر بمعصية ظناً منه أنَّها غير ذلك، وحاشا لله تعالى أن يبتلي عباده بمثل ذلك، أي أن يأمرهم أن يطيعوا الإمام الجاهل أو الفاسق، ثمَّ يأمرهم بالوقت ذاته في أن لا يرتكبوا معصية سواء في قول أو فعل.

---

(١) راجع العقد الفريد: لابن عبد ربه، ج١، ص٥ مطبعة الشيخ عثمان، بمصر، سنة ١٣٠٢هـ.

ولو حكم القائلون باختيار الإمام من قبل أهل الحل والعقد عقولهم دون أن يكون للهوى تأثير على الكيفية التي يناقشون فيها مثل هذا الأمر مع أنفسهم لاختلف استنتاجهم وحكمهم، وهذا واضح من خلال ما دونته كتبهم فمثلاً وليس تحديداً، قال الشيخ أبو زهرة في كتاب المذاهب الإسلامية: الاختيار أن يكون الإمام فاضلاً عادلاً محسناً، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائر أولى من الخروج عليه.

وقال أبو يعلى الفراء مثلاً: إنَّ الفسق لا يمنع استدامة الإمامة، سواء أكان متعلقاً بأفعال الجوارح، وهو ارتكاب المحظورات، وإقدامه على المنكرات اتباعاً للشهوات، أو كان متعلقاً بالاعتقاد، وهو المتأول لشبهة تعرض، يذهب معها إلى خلاف الحق[1].

ولو ناقش أي عاقل لبيب هذين القولين لوجد أنَّ من غير المعقول أن نسمي الإمام الجائر أو الفاسق خليفة أو إماماً، وسبب ذلك يدركه الكل، وهو أنَّ الخليفة ما سمي بذلك إلاَّ لكونه مستخلفاً من قبل رسول الله ﷺ أو من قبل من استخلفه خليفة رسول الله ﷺ، ومن غير المعقول أن يستخلف النبي ﷺ جائراً أو فاسقاً، وكذلك من غير المعقول أن يكون ذلك من خليفة رسول الله ﷺ، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى فالعقل يؤكد أنَّ كل من يستخلف أحداً لا بدَّ أن يكون خليفته على مثل هواه وسجيته، وهوى وسجية رسول الله ﷺ معلومة للجميع فكيف والحال هذه أن يستخلف جائراً فاسقاً، إضافة إلى أنَّ تنصيب الإمام الجائر والفاسق يعد خروجاً على ما جاء في كتاب الله العزيز في

---

(١) الأحكام السلطانية: للفراء، ص٤، طبعة ١٩٣٨.

قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾، وقد دلّت الآية الكريمة هذه دلالة واضحة أنَّ الإمام لا يكون ظالماً، وأنَّ الفاسق والجائر هو ظالم إمَّا لنفسه أو للنَّاس أو لنفسه والنَّاس.

ومن خلال كل ما تقدم يستنتج بالعقل إلى أنَّ الأئمة الحق هم علي والحسن والحسين والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليهم السلام، وذلك لأسباب منها إنَّ الله تعالى قد أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، بناءً على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، والتي أكد علماء الحديث والتفسير أنها نزلت في رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام.

والسبب الآخر لما روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنَّه قال للحسين عليه السلام: ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم.

وإنَّ كتب السير والتاريخ أكدت أن علمهم كان فوق علم أهل زمانهم، وإنَّ النَّاس احتاجت إليهم، وأنَّهم ما احتاجوا لأحد، وذلك لسبب معلوم ألا وهو أنَّهم الوارثين لعلم جدهم المصطفى محمد صلى الله عليه وآله، وأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله حينما أمرنا بالتمسك بهم وبكتاب الله تعالى لم يكن ذلك لهوى له صلى الله عليه وآله ناحيتهم، وإنَّما لعلمه صلى الله عليه وآله بمدى علمهم عليهم السلام وأصل ومنبع ذلك العلم، ومدى السلامة والأمان الذي يلقاه من يتمسك بهم، والحديث كما هو ليس بالغريب على أحد من المسلمين على اختلاف مذاهبهم قوله صلى الله عليه وآله: أني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا.

هناك اختلاف بين المسلمين في موضوع من هم الأئمة الذين عناهم رسول الله ﷺ في حديثه أو أحاديثه الشريفة التي تناقلتها كتب الحديث المعتمدة عند كل طرف أو مذهب من مذاهبهم، فمنهم من جعل الأئمة من قريش عامة مستدلاً بذلك بما رواه مسلم من أنَّ النبي ﷺ قال: إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة، كلهم من قريش[1].

أمَّا الشيعة فقد حصرت الاثنا عشر خليفة في بني هاشم خاصة وبالتحديد بعلي عليه السلام وبنيه، مستدلين بذلك بأحاديث مروية عن النبي ﷺ ومنها قوله وهو ﷺ يشير إلى الإمام الحسين عليه السلام ويقول: ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم.

وبناءً على الحديث الشريف هذا فالأئمة هم علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن بن علي عليه السلام والحسين بن علي عليه السلام والتسعة المعصومين من ذرية الحسين عليه السلام وهم:

علي بن الحسين عليه السلام.

محمد بن علي عليه السلام.

جعفر بن محمد عليه السلام.

موسىٰ بن جعفر عليه السلام.

علي بن موسىٰ عليه السلام.

محمد بن علي عليه السلام.

علي بن محمد عليه السلام.

---

(١) راجع صحيح مسلم: ج٢، ص١٩١، طبعة ١٣٤٨هـ. ومثله في صحيح البخاري: ج٩، كتاب الأحكام وقد ذكر كلمة أمير بدل خليفة.

الحسن بن علي عليه السلام.

وتاسعهم قائمهم الحجَّة المنتظر بن الحسن عليه السلام.

وروى أن النبي صلى الله عليه وآله قال أيضاً: «لو لم يبق من الدُّنيا إلاَّ يوماً واحداً، لطوَّل الله ذلك اليوم حتَّى يبعث رجلاً من ولدي، اسمه كاسمي».

فقال سلمان الفارسي: من أي ولدك يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال صلى الله عليه وآله: من ولدي هذا، وضرب بيد على الحسين عليه السلام[1].

ولو أردنا معرفة من هم الاثنا عشر إماماً الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله بحديثه في رأي وفكر غير الشيعة، فذلك فيه اختلاف بينهم، فمنهم من قال أنَّهم لم يخلقوا بعد، وسيخلقون ويملكون بعد ظهور المهدي ووفاته، ومنهم من قال: أنَّ المراد بالاثنى عشر إماماً غير أصحاب الرَّسول صلى الله عليه وآله، لأنَّ حكم أصحابه يرتبط بحكمه صلى الله عليه وآله.

وهذا يعني أنَّهم من بني أمية عدا عثمان ومعاوية ومروان لأنَّهم كما يقولون أنَّهم من الصحابة، أي أنَّ الاثنا عشر خليفة الذين عناهم النبي صلى الله عليه وآله في حديثه هم:

يزيد بن معاوية بن أبي سفيان.

ومعاوية بن يزيد بن معاوية.

وعبد الملك بن مروان بن الحكم.

والوليد بن عبد الملك.

وسليمان بن عبد الملك.

ويزيد بن عبد الملك.

---

(١) ذخائر العقبى: للطبري، ص١٣٦، طبعة ١٣٤٧هـ.

وهشام بن عبد الملك.

وعمر بن عبد العزيز.

والوليد بن يزيد.

ويزيد بن الوليد.

وإبراهيم بن الوليد.

ومروان الحمار.

وحسب قولهم يصبح مروان الحمار هو...!!!

وآخرون قالوا أنَّ الأئمة الذين عناهم رسول الله ﷺ بحديثه هم:

أبو بكر.

وعمر.

وعثمان.

وعلي عليه السلام.

ومعاوية.

ويزيد بن معاوية.

وعبد الملك.

والوليد.

وسليمان.

ويزيد.

وهشام.

وعمر بن عبد العزيز.

وغيرهم جعل من الوليد بن يزيد هو الثاني عشر، وهو الذي قال عنه السيوطي في تاريخه: وكان فاسقاً شريباً للخمر، منتهكاً

حرمات الله، أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة الخمر، فمقته الناس لفسقه، وخرجوا عليه، وقالوا له: ننقم عليك انتهاك ما حرَّم الله، وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك. . .الخ[1].

وآخرين وجدوا أن بعض هؤلاء لا يمكن أن يكونوا هم الأئمة بأيِّ حال من الأحوال حيث لا تنفع الأعذار ولا المحاولات في إخفاء السيىء من أفعالهم، فقالوا: المراد وجود اثنا عشر إماماً مدَّة الإسلام حتَّى يوم القيامة، وإن لم تتوال أيامهم[2].

ومثال آخر ما كان من السلفيين الذين رُبوا منذ بداية وعيهم أن بني أمية وخاصة من اعتلى منصب الخلافة أناس مؤمنون نصروا الإسلام بألسنتهم وأموالهم وجاهدوا الخارجين عن الإسلام، وأن الشيعة كذابون فيما يتحدثون به عن بغي معاوية لعلي عليه السلام ومساهمته في سم الإمام الحسن عليه السلام، وأنَّ يزيد لم تكن له يد في قتل الحسين بن علي عليه السلام، وراحو مذكبين كل رواية تقول بذلك، وكذلك تكذيب كل ما يحط من شأن معاوية أو يزيد أو أي من بني أمية.

وفوق ذلك فقد احتكروا لأنفسهم لقب أهل السنَّة والعاملين بها وأن غيرهم من المخالفين لهم سواء من الأشاعرة أو غيرهم لم يكونوا عاملين وفق السنَّة النبوية الشريفة، كما ونسبوا أنفسهم لأحمد بن حنبل غير أنهم خالفوه في موضوع يزيد بن معاوية، حتى أن متأخريهم قد عابوا على ابن الجوزية حديثه بلعن يزيد بن معاوية[3].

---

(١) تاريخ السيوطي: ص٢٥٠.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري: للعسقلاني، ج١٣، ص١٨٣.

(٣) راجع حوار مع الشيعة: لعبد المتعال الجبري، ص٢٥٤.

ومن سيىء ما أفتى به ابن العربي دفاعاً عنه عن يزيد وما كان منه من فعل سيىء اتجاه الإمام الحسين: ما خرج عليه أحد إلاَّ بتأويل، وما قتلوه إلاَّ بما سمعوه من جده المهيمن على الرُّسل، المخبر بفساد الحال، والمحذر من الدخول في الفتن، وأقواله في ذلك كثيرة، منها قوله: أنه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان[1].

ولو بحث المسلم بكل هذه الآراء، ودون أن يكلف العقل السوي عناء، لوجد أن لا قياس، بين من اعتلى الخلافة، وبين آل البيت النبوي الأطهار بقضاء الله تعالى وإرادته، وما طرحت أسماء هؤلاء إلاَّ والهدف من ذلك نكران فضل آل البيت، وعدم الاعتراف بإمامتهم، فعلي والحسن والحسين عليهم السلام قد ثبت النص على إمامتهم وعصمتهم، وثبت عن الإمام الحسين عليه السلام أنَّه نص على إمامة ولده علي زين العابدين، كما وثبت أيضاً أنَّ الإمام السابق نص على الإمام اللاحق حتَّى الإمام الثاني عشر قائم آل محمَّد عليهم السلام، وعليه ينتهي نص حديث رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال: ابني هذا إمام ابن إمام أخو إمام أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم.

ومن الغريب الذي ليس من الحكمة السكوت عنه أن الكثير من المسلمين وخاصة من كانوا على درجة من العلم بالقرآن والسنَّة النبوية الشريفة أن يثقوا بأناس مبغضين لعلي بن أبي طالب عليه السلام ويأخذوا بما يروون من أحاديث كان معظمها محرفاً أو موضوعاً، مع اعتراف كل طوائف المسلمين بصحة الحديث النبوي الذي خاطب النبي صلى الله عليه وآله به علياً وهو يقول له: يا علي، لا يبغضك إلاَّ منافق.

---

(١) العواصم من القواصم: ص٢٤٤ ـ ٢٤٥.

ترى ألم يكن من الحكمة والسلامة أن يضع المسلمون جانباً كل ما كان يرويه مثل هؤلاء المنافقين الذين يبغضوا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وإن من المستغرب أيضاً أن ابن خلدون قد كذَّب الأحاديث الواردة في الإمام المهدي عليه السلام مع كونها بلغت حدّ التواتر، وكذلك فعل أحمد أمين حيث أنكر المهدي عليه السلام ورد على الشيعة كونها تقول بذلك[1]، إلاَّ أنَّ قلمه قد صرَّح بالحقيقة رغماً عنه وخلسة، فقال في نفس كتابه الذي كذَّب الشيعة فيه فقال: أمَّا أهل السنَّة فقد آمنوا بها أيضاً، (أي بفكرة المهدي عليه السلام)[2].

ولو سألنا أنفسنا وقلنا: من المسؤول عن هذا الاختلاف الذي حصل بين المسلمين؟ ومن المسؤول عن حصول هذا الانقسام؟ أهم الشيعة أم السنَّة أم الحاكم الجائر الذي دعمه بعض من لا رادع له عن اختلاق الأحاديث التي شوه بها كثيراً من الحقائق؟

حبذا لو حكم المسلم عقله وتجرد عن كل الأهواء التي ساهمت في تصديق ما وضع من أحاديث محاولاً البحث عن صلاحها وعدم تعارضها مع الكتاب والسنَّة النبوية الشريفة، وليكن ذلك من أجل بلوغ الحقيقة التي سترها أصحاب المصلحة في سترها، وانتهاجاً لسبيل الخير والصلاح والأمان يوم القيامة، بانتهاج صراط الله المستقيم، علماً أنَّ لا مصلحة لمسلم أن يكون زيدٌ خليفة أو عمرٌ إماماً، وإنَّما المصلحة الحقيقية في أن ينتهج المسلم عين النهج الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وبلّغ به رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) راجع كتابه المهدي والمهدوية: ص١٠٣، نشر دار المعارف المصرية.
(٢) كتاب المهدي والمهدوية: ص٤١.

المسلمين منذ أن بعث نبياً إلى أن وافاه الأجل ورحل إلى خالقه ومسويه حيث الجزاء الأوفىٰ الذي وعده، إنَّ الله جلَّ جلاله لا يخلف الميعاد.

لقد اعتاد محمد أن يسرح بفكره بين فترة وأخرى محللاً وباحثاً في كثير من الأُمور التي تمر بخلده، وما كان يمر عليها مرور الكرام يوماً، وأظن ذلك كان سبباً في تقويم نفسه وتربية روحه وتشكيل جوهره بالشكل الذي هو الآن عليه، سائلاً الله تعالى دوام التفيق لما يحب ويرضىٰ، إنَّ الله سميع مجيب.

وبينما هو كذلك اليوم إذ حضر حوله أبناؤه بعد أن فرغوا من أداء واجباتهم، قائلين: ماذا ينوي أبونا أن يحدثنا اليوم.

فقال الأب: سنتحدث اليوم عن من نسأل الله تعالى أن يجمعنا تحت لوائه مجاهدين الظلم والجور، ونساهم في رفع كلمة الحق وإظهارها، إنَّ الله سميع مجيب.

فقال الابن الأكبر: من تعني يا أبي؟

قال الأب: هو من نسأل الله تعالى أن يفرج له، ويسهل مخرجه، ويحفظه من كل سوء، إنَّ الله بعباده رؤوف رحيم.

فقال الابن الأكبر في شيء من الحيرة: من هو يا أبي؟

الأب: هو الإمام الغائب عن الأنظار، والحاضر في قلوب عباد الله الأخيار، أبو القاسم الحجَّة المنتظر، ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، والملقب بصاحب العصر والزمان.

وهنا انفرجت أسارير الابن الأكبر، وعلت وجهه ابتسامة جميلة عبرت عن فرحه، وكذلك كان حال أمه وأخوته، وقد اقترب الجميع من الأب وعيونهم لا تفارق فاه...

اليوم الأول

المسلمون والمهدي (ع)

أطرق الأب محمد إلى الأرض، وكان ذلك قد اعتاده كلما أراد البدء بأيِّ حديث، وسببه أنه كان يحاول في ذلك ترتيب معلوماته وتسلسلها لكي يكون حديثه أكثر استفادة من قبل سامعيه، إلاَّ أنَّ إطراقته هذه قد طالت على غير المعتاد، وذلك لكون الحديث عن المهدي المنتظر عليه السلام يحتاج لكثير من الحذاقة في اختيار الموضوع المراد الحديث عنه بحيث يجعل من عقل السامع في أن يأخذ دوره في الفهم وتقبل الفكرة عن قناعة وإيمان.

ثم رفع الأب رأسه وقال: كانت لرسول الله صلى الله عليه وآله أحاديث عدَّة في المهدي المنتظر عليه السلام يؤكد لهم فيها بأنَّه عليه السلام سيظهر في آخر الزمان، وأنَّه عليه السلام منهم آل البيت، وتحديداً من ولد فاطمة، وإنَّ الله جلَّ جلاله بحكمة منه تعالى غيبه عن الأنظار ليظهره حينما تمتلىء الأرض ظلماً وجوراً وابتعاداً عن نهج الحق ليملأها قسطاً وعدلاً ويعمُّ الإسلام الأرض كل الأرض.

شكك البعض في ذلك كما كان دأبهم في التشكيك بغيرها من الأُمور التي هي أقل منها إشكالاً على غير العقلاء ناهيك عن

العقلاء، ولو ارتبط أمر هذه وغيرها من الأُمور التي شككوا بها بغير آل البيت لقبلوها ودعوا إليها.

فقال الابن الأكبر لأبيه: كيف ذلك يا أبي؟

فقال الأب: كما سبق وأن أعلمتكم كيف أنَّ البعض قد كذبوا بإمامة آل البيت النبي محمد ﷺ وقالوا أن الإمام أو الخليفة هو من يختاره المسلمون بإجماع أهل الحل والعقد، وأن على المسلمين الطاعة في ذلك وعدم المخالفة، وأن الخارج عليهم أي على من يدعون أن أهل الحل والعقد قد اختاروه، يجب قتله كائناً من كان، ودعموا ذلك بأحاديث أولوها لصالح هؤلاء، كل ذلك كان لإظهار الحق للذين أزاحوا آل البيت عن المكان الذي هم أحق به من غيرهم في إمامة الأمة واستخلاف النبي ﷺ، وحينما وجدوا أن بعض من اعتلى الخلافة فاسقاً جائراً بشكل لا يمكنهم ستر عيوبه وإخفائها، قالوا: الاختيار أن يكون الإمام فاضلاً عادلاً محسناً، فإن لم يكن فالصبر على طاعة الجائر أولى من الخروج عليه[1]، وقالوا أيضاً: قال النبي محمد ﷺ: من كره من أميره شيئاً فليصبر.

إذا كان قولهم في مسألة الإمام بهذا الشكل، فما بالك بموضوع الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، وهي مسألة تحتاج إلى كثير من الروية والتعقل، وذلك لعدم توفر ما يدعمها إلاَّ الأحاديث النبوية الشريفة والتي شكك في صحتها البعض على الرغم من تدوينها في صحاحهم، وعلى سبيل المثال لا الحصر فقد ورد في صحيح الترمذي مثلاً: قال رسول الله ﷺ: لا تذهب الدُّنيا حتى يملك

(١) راجع كتاب المذاهب الإسلامية: للشيخ أبي زهرة.

العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي[1]، وهناك غيره من الأحاديث أوردها الترمذي في صحيحه.

وورد في صحيح ابن ماجه: قال رسول الله ﷺ: انا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدُّنيا، وأنَّ أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً شديداً، وتطريداً، حتَّى يأتي قوم من قبل المشرق، مهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه، فيقاتلون فينتصرون، فيعطون ما سألوا، فلا يقبلونه حتَّى يدفعونه إلى رجل من أهل بيتي، فيملأها قسطاً، كما ملئت جوراً[2].

كما وأورد أحاديث أخرى لرسول الله ﷺ، كقوله ﷺ: يكون في أمتي المهدي، ان قصر فسبع، وإلاَّ فتسع، تنعم فيه أمتي نعمة لم تنعم مثلها قط، تأتي أكلها، ولا تدخر منه شيئاً، والمال يومئذٍ كدوس، فيقوم الرجل يقول: يا مهدي، اعطني، فيقول: خذ[3].

وهناك غير ما ذكرنا من أحاديث، قد أوردها ابن ماجه، وكذلك المناوي قد أورد أحاديث في المهدي المنتظر عليه السلام منها قال رسول الله ﷺ مخاطباً ابنته الزَّهراء فاطمة عليها السلام ويقول: ابشري يا فاطمة، المهدي منك[4].

وكذلك السجستاني فقد أورد أحاديث للمصطفى محمد ﷺ في الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، منها، قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدُّنيا إلاَّ يوم، لطول الله ذلك اليوم، حتى يبعث رجلاً من أهل بيتي، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً

---

(١) صحيح الترمذي: ج٩، ص٧٤، طبعة ١٩٣٤.

(٢) راجع صحيح ابن ماجه: ج٢، الحديث رقم ٤٠٨٢، طبعة سنة ١٩٥٣.

(٣) نفس المصدر السابق: رقم الحديث ٤٠٨٣.

(٤) كنوز الحقائق: للمناوي، والمطبوع مع كتاب الفتح المبين، سنة ١٣١٧هـ، ص٣.

وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً[1]، وغير ذلك من الأحاديث، وكذلك أورد غيرهم من الأعلام أحاديث عن النبي الطاهر محمد ﷺ كلها تؤكد أنَّ المهدي من آل البيت وأنَّه سيظهر آخر الزمان، وأنَّه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ومع كل ذلك فقد شكك من شكك بهذه الأحاديث، وقال بعضهم: اخترع الشيعة فكرة المهدي لكثرة ما لاقوه وعانوه من العسف والجور، فسلوا أنفسهم، ومنوها بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً، وينصفهم من الظالمين، علماً أنَّ هناك من هم رفضوا الفكرة بقساوة أشد على الشيعة، فقال عن قول الشيعة بالإمام المهدي عليه السلام: أنَّه لهوس في الرؤوس ووسوسة في النُّفوس!! وإن دلَّ قوله هذا على شيء فإنَّه لا يدلُّ إلاَّ على البغض لآل البيت النبوي الأطهار، ولو لم يكن كذلك لما تطاول واعتبر فكرة الإمام المهدي عليه السلام والتي صرح بها النبي محمد ﷺ وذكر أحاديثه علماء السنَّة معتمدين على كتبهم حتى أسموها بالصحاح، إنَّها هوس في الرؤوس ووسوسة في النُّفوس.

ووجد آخرون من أحاديث النبي ﷺ عن الإمام المهدي صحيحه فآمن أن هناك مهدي منتظر سيظهر آخر الزمان ليقيم الحق والعدل، إلاَّ أنَّه لم يولد بعد، وإنما سيولد في زمان ظهوره، وما قالوا ذلك إلاَّ لكونهم قد جزموا على عدم إمكانية بقائه حياً كما تقول الشيعة منذ ولادته عليه السلام سنة مائتين وخمسين للهجرة أو قبلها بسنة حتى آخر الزمان، وعدوا هذا الأمر غير ممكن الحصول، ونسوا أو تناسوا أنَّ هناك أُموراً غير ممكنة الوقوع مثلها وبدرجتها، حصلت فعلاً في الزمن الماضي.

---

(١) سنن أبي داود السجستاني: ج٢، ص٤٢٢، طبعة سنة ١٩٥٢.

فقال الابن الأكبر: وهل بالإمكان ذكر أمثلة على ذلك يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، وقبل أن نذكر هذه الأمثلة علينا أن نوضح ولو بإيجاز أنَّ هناك نوعين من الأُمور الممتنع وقوعها وحصولها، منها ما هو ممتنع في نفسه بحيث لا يمكن حصوله بأيِّ حال من الأحوال، كأن يكون الواحد أكثر من اثنين، والقصير أطول من الطويل، وهذا ما نطلق عليه بالمحال العقلي.

وأخرى ممكنة الوقوع إلاَّ أنَّ العادة غير جارية بوقوعه، وهذا يسمى بالمحال العادي، والمثال عليه: أنَّ العادة جرت أن المولود لا يكلم الناس، وأن الميت لا يعود إلى هذه الدنيا، وأن الحديد غير لين كما هو حال الشمع وأن البحر لا ينشطر بحيث تظهر الأرض ويمر الإنسان من خلاله ماشياً، وأن النار لا تكون برداً وسلاماً، وغيرها من الأُمور التي هي على شاكلة ما ذكرت، في حين أن كل هذه الأُمور وغيرها التي لم يعتد العقل على وقوعها كانت قد حصلت فعلاً كما أخبرنا القرآن الكريم، فعيسىٰ عليه السلام كلَّم النَّاس في المهد وأحيى الميت، وأنَّ الحديد لان لداود عليه السلام، وأنَّ البحر انشطر لموسىٰ عليه السلام، ولذلك فهي جائزة الحصول في نظر العقل، وأنَّ من يقول عكسِ ذلك فقد كذَّب كل ما ورد في هذا وغيره في كتاب الله العزيز.

ومسألة بقاء الإمام الحجَّة المنتظر حياً زمناً طويلاً، مثل ما ذكرناه جائزة الوقوع عقلاً، وفوق هذا فقد حصل مثلها بالنسبة للنبي عيسىٰ عليه السلام أنَّهم ما قتلوه ولكن شبِّه لهم وأنَّه حي وسيبقى إلى أن تقوم الساعة وهذا ما صرَّح به القرآن الكريم وورد في الأحاديث

النبوية الشريفة، ومثله ما كان من أمر الخضر عليه السلام فإنَّه حي يرزق إلى أن يظهر مع الإمام الحجَّة وعيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان.

وهذا تفنيد لمنكري وجود الإمام المنتظر حياً طيلة ألف ومائتي سنة، بل إلى أن يأمره الله تعالى بالظهور قائماً بالعدل والقسط ليظهر دينه على ربوع هذه الأرض.

الابن الأكبر: وهل من المسلمين من قال بولادة الإمام المهدي المنتظر عليه السلام غير الشيعة، وأنَّه ما زال حياً؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، هناك الكثير ممَّن قالوا ذلك.

الابن الأكبر: وهل هم من رجال العلم المعتمدين والمأخوذ بقولهم يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، هم رجال علم معتمدين، ولهم في ذلك باع كبير، وشأن ثابت، وقد ذكرهم بالخير جمع من رجال الشيعة وعلمائها، وهم:

محمد بن يوسف الكنجي صاحب كتاب البيان في أخبار صاحب الزمان.

وعبد الله بن أحمد، والمعروف بابن الخشاب، صاحب كتاب تواريخ مواليد الأئمة ووفياتهم.

ومحي الدين ابن العربي، صاحب كتاب الفتوحات المكية.

وسبط ابن الجوزي، صاحب كتاب تذكرة الخواص.

والبلاذري، صاحب كتاب الحديث المتسلسل.

وكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي، صاحب كتاب مطالب السؤول في مناقب آل الرَّسول.

وعبد الوهاب الشعراني، صاحب كتاب عقائد الأكابر.

وغيرهم الكثير من الذين لا تحضرني أسماؤهم وكتبهم التي ذكروا فيها ذلك.

الابن الأكبر: هل بالإمكان يا أبي أن نعرف أين هو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام؟

فقال الأب: إنَّ مكان تواجده عليه السلام لا يعلمه يا ولدي إلاَّ الله تعالى وحده، والذي نعلمه نحن وعلى يقين منه أنَّه عليه السلام حي في هذه الدُّنيا، وإنَّ الله جلَّت قدرته قد غيبه عن الأنظار لحكمة منه جلَّ جلاله، وأنَّه سيخرج يوم يأذن له الله جلَّ جلاله، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

الابن الأكبر: أتعني أن امتلاء الأرض بالظلم والجور علامة من علامات ظهوره عليه السلام؟

فقال الأب: نعم يا ولدي هي علامة من علامات ظهوره.

الابن الأكبر: وهل هناك علامات غيرها يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، هناك علامات تنبىء بقرب زمان ظهوره عليه السلام، وقد وردت هذه العلامات على لسان النبي صلى الله عليه وآله، وبعضها الآخر ورد على لسان الأئمة الأطهار من آل البيت.

فقال الابن الأكبر: حدثنا عن هذه العلامات يا أبي.

الأب: سنتحدث عن ذلك في حينه يا ولدي، إلاَّ أنَّ قبل ذلك سنتحدث عن نسب الإمام المهدي المنتظر عليه السلام وتاريخ ولادته ونشأته وما ورد فيه من أحاديث نبوية شريفة، وما ذكره آل البيت النبوي الأطهار في أحاديثهم، وهكذا لكي يكون حديثنا عنه عليه السلام متسلسلاً ومتكاملاً.

الابن الأكبر: آراك يا أبي تعتزم تأجيل الحديث إلى الغد.

فقال الأب: هو كذلك يا ولدي.

فقام الأبناء من مجلسهم وكل منهم يتمنى للجميع ليلة سعيدة هانئة، وكذلك تمنى الأب لأبنائه.

اليوم الثاني

هل يعد طول العمر
عقبة لصحة فكرة المهدي (ع)

كان الأبناء قد التفوا حول أبيهم لسماع حديثه لهذا اليوم، وكانوا ملقين بنظراتهم نحو أبيهم. إلاَّ الأكبر منهم فقد كانت نظراته متوجهة إلى الأرض وتقاطيع وجهه توحي أنَّ هناك شيء في داخله مقلقه، فلاحظ الأب ذلك في ولده البكر، ممَّا حدا به أن يقلق بعض الشيء، فوجه لابنه هذا سؤالاً قال له فيه: هل من شيء يشغلك يا ولدي.

رفع الابن رأسه ووجه بنظره ناحية أبيه ولم ينطق بشيء، فزاد ذلك من قلق أبيه، وراحت أفكار الأب تجول في البحث عن ماهية المشكلة التي انتابت ابنه الأكبر، وقبل أن يستفسر من ولده عن ذلك، قال الابن الأكبر:

هناك أُموراً فوق مقدرة العقل إدراكها، إلاَّ أنَّ المسلم قد آمن بها بضرورة الدِّين أو الفطرة التي فطرنا الله تعالى بها، وليس للعقل في ذلك دور في الإيمان بها، أليس كذلك يا أبي؟

وهنا اعتدل الأب في مجلسه، وصبَّ كل اهتمامه لحديث ابنه هذا، ثم قال: مثل ماذا يا ولدي؟

قال الابن: مثل شهادة الأيدي والأرجل على أصحابها يوم القيامة، وسؤال منكر ونكير لنا في القبر، وما شابه ذلك.

فقال الأب: اعلم يا ولدي ان الدين لا يقتصر على ما يدركه العقل، وان العقل غير قادر على أن يدرك صحة كل ما يجب أن يؤمن به المسلم، فهناك أُموراً غيبية يجب أن يؤمن بها كل من آمن بالله تعالى خالقاً ومدبراً لكلِّ شيء، وبرسوله المصطفى محمد ﷺ الذي بعثه الله تعالى نبياً يدعو النَّاس لدين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى أن يكون خاتماً لكل الأديان، هذا من جانب، وأمَّا من الجانب الآخر، فلو كان من الممكن للعقل أن يدرك كل شيء في هذا الوجود، ويعلم كل ما سيؤول إليه الأمر يوم القيامة، لكانت السيادة له وليس للأنبياء والمرسلين، ولأخذ الدِّين من العلماء والفلاسفة والعقلاء بدل من أن يؤخذ من غيرهم، ولما بعث الله تعالى بكل ذلك الكم من الأنبياء.

فقال الابن الأكبر: هذا صحيح يا أبي، وهو يدعم قولي الذي قلته.

فقال الأب: وما كان السبب الذي دعاك إلى قوله يا ولدي؟

قال الابن: نحن نؤمن بالإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام بكونه ولد وأنه ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وأنَّه غاب بأمر الله تعالى وسيظهر في آخر الزمان، حيث الظلم والجور والابتعاد عن تعاليم الإسلام قد سادت الأرض، وأصبحت سنة للطغاة بل ولكثير من سكان هذه الأرض، ويعمل على إحقاق الحق والعدل ويثبت تعاليم الإسلام من جديد كما فعل جده المصطفى محمد ﷺ.

فقال الأب: نعم يا بني هو كذلك.

فقال الابن الأكبر: ذكرت لنا يا أبي أن بعض المسلمين قد أنكر إمكانية بقاء الإمام الحجَّة عليه السلام حياً طيلة أكثر من ألف عام، ناهيك عن بقائه إلى آخر الزمان، كما وذكرت لنا أن ذلك ممكن لكونه قد حصل للخضر عليه السلام والنبي عيسىٰ بن مريم عليهما السلام.

فقال الأب: نعم يا ولدي، ان المسلمين وغيرهم يؤمنون بكون الخضر عليه السلام وكذلك النبي عيسىٰ عليه السلام لم يزالا أحياء، وسيبقيان كذلك حتى آخر الزمان، علماً أنَّ الخضر عليه السلام كان حياً في نبوة موسىٰ عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: وهل بالإمكان يا أبي أن تحدثنا عن إمكانية بقاء الإمام الحجَّة عليه السلام حياً إلى آخر الزمان، مع ذكر الأدلَّة التي تدعم ذلك البقاء وفكرته؟

الأب: لو سألنا أنفسنا: هل يعد طول العمر عقبة لصحة فكرة بقاء الإمام المهدي عليه السلام حياً إلى آخر الزمان؟

والجواب على ذلك هو أن فكرة البقاء وطول العمر، ما عادت مع تقدم العلم في أيامنا هذه أن تكون عقبة يمكن أن يحتج بها، كما كان حاصلاً في السابق.

الابن الأكبر: وهل كان الماضون محقين حينما كانوا يحتجون بها يا أبي؟

الأب: لا يا ولدي، لم يكونوا محقين أبداً، وذلك لكونهم محسوبين على العلماء والمفكرين في الإسلام، والسبب في ذلك بسيط إذ يجب أن يكونوا مؤمنين به قبل غيرهم من العامَّة، وهو كما

سبق وأن ذكرت لكم مسألة بقاء الخضر عليه السلام والنبي عيسىٰ بن مريم عليه السلام أحياء وسيبقون إلى آخر الزمان، أفتراهم يؤمنوا ببقائهم أحياء ويرفضوا ذلك بالنسبة للإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، أفتراهم غاب عنهم قول تعالى حينما ذكر النبي يونس عليه السلام: ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾[1]، ألم يؤكد الله تعالى بهذه الآية أنَّ يونس عاش في بطن الحوت، وهو حي يرزق، مع عدم توافر الظروف الطبيعية والمعروفة للعيش، وأنَّه عليه السلام لو لم يكن من المسبِّحين المستغفرين لبقي في بطنها إلى يوم يبعثون، فأين الغرابة في إمكانية بقاء الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام حياً.

وقد يقول قائل، أنَّ يونس نبي، وأنَّ الله تعالى أراد له ذلك لحكمة منه جلَّ جلاله، كما هو الحال بالنسبة ليعسىٰ بن مريم عليه السلام.

والرد على ذلك هو أنَّ الخضر عليه السلام كما تقول الرِّوايات، ويؤكده الكثير من العلماء الأعلام، أنَّه ليس نبياً وإنَّما هو من الصالحين، وها قد أطال الله تعالى عمره لحكمة لله تعالىٰ في ذلك، وهذا هو الحال بالنسبة للإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، وحكمة الله تعالى فيه قد صرَّح بها من لم ينطق عن الهوى رسول الله وحبيبه محمد صلى الله عليه وآله في قوله: «المهدي منِّي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويملك سبع سنين[2]»، ولهذه الحكمة شاء الله تعالى وقدر في أن يطيل عمر الإمام الحجَّة عليه السلام ليمسخ الظلم والجور عن عباد الله تعالى ويقيم الحق والعدل الذي شاء الله تعالى أن يسود الأرض على يدي حجته على عباده.

---

(١) سورة الصافات: الآية: ١٤٤.

(٢) راجع سنن أبي داود السجستاني: ج٢، ص٤٢٢، وما بعدها.

فقال الابن الأكبر: وما قول العلم في إمكانية البقاء وطول العمر يا أبي؟

فقال الأب: قبل أن نتحدث عن ما قاله العلم بناءً على ما قطع من مراحل في ذلك، علينا كمسلمين أن نضع نصب أعيننا أن أي أمر عجز العلم عن تحقيقه وشل العقل البشري عن تفسيره هو هين على الله تعالى الصانع والمدبر لكل شيء، وأن من حكمته تعالى ورحمته أن هيىء أسباباً لذوي العلم أن يثبتوا كثيراً من الأُمور التي استعصى إدراكها وقبولها بما توصلوا إليه من اكتشافات علمية، ومنها ما نحن بصدد الحديث عنه.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ولو أردنا البحث في الكيفية التي يمكن من خلالها يكون بالإمكان إطالة عمر الإنسان أو أي كائن حي لوجدنا ذلك ممكناً إذا ما توفرت إمكانية إبعاد شبح الشيخوخة والهرم عن الخلايا المكونة لذلك الكائن الحي، وذلك لكون الهرم واحداً من الأسباب التي تستدعي حصول الموت الذي يضع حداً للحياة، وبناءً على ذلك فإبعاده يعني إمكانية حصول البقاء واستمرار الحياة في ذلك الكائن الحي.

وفي نظر العلم والعلماء في وقتنا الحاضر هذا، وإن كان بشكل نظري، أن لا شيء يدعو لعدم حصول البقاء واستمرار الحياة إن توافرت الدواعي والأسباب التي تساعد على تحقيق ذلك، والذي أكد مقولة العلماء هذه ما توصلوا إليه في بحوثهم وتجاربهم حينما استطاعوا بها من تأجيل فاعلية قانون الشيخوخة.

الابن الأكبر: حدثنا يا أبي عن بعض ما توصل إليه العلماء في هذا الخصوص.

الأب: من محاولة للدكتور (الكسيس كارل) ان وفق لإبقاء دجاجة لمدة ثلاثين عاماً، وذلك ضمن توفر ظروف طبيعية معينة، وغذاء ومحفزات لاستمرار الخلايا بالتوليد والتجدد.

كما وأعلن باحثون أمريكيون عن استنساخ عجول صغيرة بخلايا شابة، حيث تمكنوا من إعادة عملية الشيخوخة إلى الوراء في الخلايا المستنسخة من خلايا مسنة، وقد نجح باحثي شركة (ادفانسرسيل تكنولوجيز)، أي التكنولوجيا المتقدِّمة للخلايا، في استنساخ ست بقرات باستخدام خلايا مسنة.

ويؤكد الباحثون أن العجول الإناث المستنسخة ليست في صحة جيدة فحسب، وإنما لا تبدوا عليها أي علامة من علامات الشيخوخة التي لوحظت في النعجة (دولي) التي استنسخها البريطاني (إيان ولموت) عام ١٩٩٧.

وأكد (روبرت لانزا)، رئيس فريق البحث، في دراسة نشرتها مجلة (ساينس) بتاريخ ٢٨/نيسان عام/ ٢٠٠٠ ان التقنية المستخدمة أعادت عمر الخلايا على ما يبدو إلى الوراء، حيث ظهرت أكثر شباباً حتى من خلايا البقرات العادية التي تقاربها سناً، وكانت عميلة الاستنساخ السابقة تنتهي إلى ولادة حيوانات خلاياها أقصر عمراً[١].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال هو: إن كان ذلك الإنجاز العلمي ممكناً لمخلوق ضعيف قاصر إذا ما قورن مع خالقه ومسوّيه ومدبره، فكيف الحال بالنسبة لمقدرة الخلاَّق

---

(١) راجع مجلة المنهاج: العدد ٢٣، سنة ٢٠٠١، الصادرة عن مركز الغدير للدراسات الإسلامية بيروت، لبنان، موضوع قراءات: ص٣٢١.

العظيم، وهو سبحانه وتعالى القائل في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وما دام الأمر كذلك، فما دواعي القول والتشكيك في دوام الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام حياً، وهل مسألة طول عمره وامتداده عقبة لخالقه، علماً أن الجميع يؤمنون أن الله إذا أراد شيئاً يقل له كن فيكون، فإن استطاع العلماء من أن يبرمجوا الخلايا لتنقسم عدداً محدداً من المرَّات، وهي تموت عندما لا تعود قادرة على الانقسام والتجدد، فهل يكون ذلك بالمستعصي على من علم الإنسان ما لم يعلم؟

ثم قال الأب: يكفينا دليلاً لنحكم من خلاله على كون الله جلَّ جلاله شاء أن يجعل من الحجَّة المنتظر عليه السلام وإمامته ظاهرة واقعية لم تكن مثيلة لها في آبائه وأجداده ألا وهي استخلافه عليه السلام لأبيه الحسن العسكري عليه السلام وهو لم يتجاوز من العمر سوى خمس سنين، وإن كانت الرِّوايات قد أكدت على استخلاف الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام وهو له من العمر ثماني سنين، وأنَّ الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام ابن تسع سنين، وهذا يعني أنَّ المنتظر عليه السلام كان أصغرهم سناً حين استخلافه لأبيه، وأنه بقدرة الله تعالى وحكمته حمل من العلم في القرآن والسنَّة والفقه ما حمله أي إمام سبقه، وأنَّ إمامته حملت ما حملوا من محتوى فكري وروحي في وقت مبكر جداً، وأنَّه عليه السلام ما تتلمذ على يد أحد، وأن الخمس سنين التي قضاها مع أبيه بحكم الواقع والعقل ليست كافية لأن يحمل ما حمل من العلم، ناهيك عن كون تلك الفترة من السنوات الخمس لم يكن فيها مع أبيه وقريباً منه في كل أيامها وأشهرها، ولم يكن ذلك بالغريب على من اصطفاهم الله تعالى في أن يقودوا هذه

الأمة، كما لم يكن صغر السن بعائق في كمالهم وعلمهم، فقد سبقهم في ذلك يحيى بن زكريا عليه السلام الذي آتاه الله تعالى العلم صبياً، كما هو واضح من قوله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾[1].

الابن الأكبر: إن قول القائل بعدم إمكانية طول العمر حجَّة واهية يا أبي، ويكفي المعترض تفنيداً لمقولته إنَّ مسألة الإمام الحجَّة المنتظر لم تكن اختياراً أو إرادة للمسلمين، بل ولا هي إرادة إمام أو حتى نبي، وإنَّما مشيئة لله تعالى، وما دامت كذلك يجوز فيها أي إعجاز وأي أمر لا يجد العقل البشري له تفسير أو دعم.

فقال الأب: هو كذلك يا ولدي، وأن كل ما تحدثنا به هو لكي نسهل على الرافضين لهذه الفكرة أو المشككين فيها كي يتوصلوا إلى قناعة هي أقرب لقبول العقل، ناهيك عن وجوب قبولها كونها وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

الابن الأكبر: وهل هناك تشكيك آخر للمعترضين غير ما ذكرت يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، فهناك اعتراض من قبل الرازي والأيجي وابن تيمية على سبيل المثال لا الحصر، قالوا فيه: ما الفائدة من إمام غائب لا يرى له أثر ولا خبر؟

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: أنَّ من المؤلم يا ولدي أن ترى مسلماً يطرح فكرة أو رأياً دون أن يضع نصب عينيه ما ورد في الكتاب السنَّة النبوية الشريفة في ذلك الخصوص، والأكثر حسرة وألماً أن يكون ذلك المسلم من رجال العلم والدِّين.

---

(١) سورة مريم: الآية: ١٢.

الابن الأكبر: وهل ورد شيء يخص ما قالوه في الكتاب والسنَّة يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، هم يقولون ما الفائدة من إمام غائب لا يرى له أثر ولا خبر، وقال الله تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، والآية هذه تدلل على أن الله تعالى قد قضى على نفسه أن يؤجل العذاب عن قريش ومن عصى من غيرهم ما دام رسول الله ﷺ بينهم، وإنَّما أمهلهم إلى الآخرة، وهذا دون شك رحمة منه تعالى إن لم يسارع لهم بالعذاب على كفرهم وعصيانهم وخروجهم عن تعاليم الإسلام.

وبما أن آل البيت النبوي الأطهار من الرَّسول ﷺ، وهو ﷺ منهم فوجود أي منهم يكون سبباً في تأجيل العذاب عن العاصين والمارقين والباغين، والذي يدعم هذا القول ما جاء في حديث رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب، اختلفوا فصاروا حزب إبليس[1].

ثم قال الأب: هذه واحدة من الفوائد الجمة التي ننالها من وجود الإمام سواء كان حاضراً بيننا نراه ويرانا، ونسمع منه ونطيع، أم كان غائباً مستوراً عنَّا لحكمة لله تعالى في ستره لا نعلمها على حقيقتها والله تعالى يعلمها، فهم عدلاء القرآن الكريم والموجودين كوجوده، وأنهم والقرآن لن يفترقا حتى يردا على الحوض، وهذا ما صرح به المصطفى محمد ﷺ بقوله الشريف: «إني أوشك أن أدعى

(١) صححه الحاكم على شرط الشيخين، وذكره ابن حجر في كتابه الصواعق: ص١٥٢.

فأجيب، وأني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من الأرض إلى السماء، وعترتي أهل بيتي، وان اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض يوم القيامة، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»[1].

قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ صدق الله العظيم.

ثم تابع الأب حديثه: مثلما النجوم جعلها الله تعالى لنهتدي بواسطتها في ظلمات البر والبحر فكذلك آل البيت النبوي الأطهار أمان لأمة محمد ﷺ، أمان من العذاب في هذه الدُّنيا على ما يكون منهم من العصيان والخروج عن الصراط. وما من زمان يخلو من واحد من أئمة آل البيت النبوي الأطهار وذلك فرصة وسبباً ورحمة من الله تعالى في تأخير العذاب، فمن قول نبي الهدى والرحمة المصطفى ﷺ قال فيه: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن أهل هذا الدِّين تحريف الضالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، إلاَّ وأنَّ أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى، فانظروا من توفدون[2].

قال الابن الأكبر: قلت يا أبي أن وجود أي من آل البيت الأطهار سبباً في تأجيل العذاب عن العاصين، فهل تأجيل العذاب عنهم رحمة من الله تعالى؟ وكيف؟

---

(١) مسند أحمد: ج٣، ص١٧. ومثله باختلاف قليل في تاريخ ابن عساكر. والبداية والنهاية: لابن الأثير، ج٥، ص٢٠٩. والسيرة الحلبية: ج٣، ص٣٠١. وصحيح مسلم: ج٢، ص٢٣٨. والفضائل المخطوط: لابن حنبل، ص٨٥ ـ ٨٦. وص٦٠ ـ ٦١.

(٢) أخرجه الملا في سيرته وذكره ابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة: ص٩٠.

الأب: نعم يا ولدي، ان في تأجيل العذاب عن العاصين رحمة كبيرة لهم، والسبب هو أنَّ تأجيل العذاب على العصيان ما هو إلاَّ إعطاء فرصة للعاصي كي يراجع نفسه ويحاسبها عله يتوب ويستغفر، فإن فعل ذلك بصدق وإخلاص فإنَّ الله تعالى يعفو عنه ويغفر له فيسلم من العذاب، ولو لم يكن هناك تأجيل فسيرى العذاب جزاء فعله قبل حصول توبته واستغفاره.

فقال الابن: الآن فهمت مدى هذه الرحمة يا أبي.

فقال الأب: والآن نكتفي بما تحدثنا به هذا اليوم، وسيكون لنا حديثاً في غد إن شاء الله تعالى.

ونهض الأب، ونهض معه أبناؤه وكل منهم يتمنى للآخرين ليلة سعيدة هانئة.

اليوم الثالث

من هو الإمام الحجة المنتظر (ع)

حينما جعل الله تعالى العقل ميزة لبني آدم مُيزوا من خلاله وفُضلوا على خلق الله تعالى، أوجب على بني آدم استخدامه في هذه الحياة، وطبيعي يجب أن يكون هذا الاستخدام لصالح حامله أولاً وقبل كل شيء، وهذه وإن كانت فيها مسحة من الأنانية إلاَّ أنَّها حالة طبيعية جُبل الإنسان عليها.

وهناك اختلاف بين الناس في تفسير وتحديد ما هو الصالح، إلاَّ أنَّ شريعة الإسلام قد عرفت منتسبيه المعنى الأشمل لهذا الصالح، ولخصه في كسب رضا الله تعالى وقبوله.

والناظر للتاريخ يجد أنَّ هناك خروجاً عن هذه القاعدة سواء من قبل العامة أو الرِّجال الذين حسبوا على الدِّين والتدين، أم الحكَّام الذين يفترض أن يكونوا هم الأئمة وذلك بإشغالهم المنصب الذي كان يفترض أن يكون الإمام شاغله.

ولو أردنا استذكار الأُمور والحالات والأفعال التي خُرج من خلال ارتكابها عن المنهج السليم الذي حدده الإسلام بالشرائع

والأحكام التي جاء بها من عند خالق الخق جلَّ جلاله، لوجدنا أن من بينها كثيراً من الأساليب التي غيرت مجرى التاريخ وما يفترض أن يكون، وكمثال على ذلك: ما وضع من أحاديث نبوية كان الهدف منها تقوية جانب الحاكم، والتقليل من مكانة من هم أولى منه بهذا المنصب، أو تقوية فئة على حساب فئة أخرى هي أحق منها وأفضل في أن تتقدم.

وحينما نقلب بطون الكتب وصحائفها لوجدنا أن ذلك كان موجهاً ضد آل بيت النبي الأطهار، وهنا يتوجب علينا أن نطرح سؤالاً على أنفسنا وهو: هل كان ذلك الفعل موجهاً ضد آل البيت النبوي دون غيرهم؟ أم أنَّه كان موجهاً إلى الإسلام من خلال الطعن فيهم.

وكيفما يكون الرد فهو لا يغير شيئاً من عظم هذه الخطيئة، كون آل البيت النبوي الأطهار قد وردت فيهم الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة ما جعلهم بالنتيجة عدلاء القرآن الكريم وأنهم لن يفترقوا عنه إلى يوم القيامة، وهذا ما أقره كل المسلمين وحكموا على صحته وتواتره دون استثناء منهم، وهو قول النبي ﷺ: أني تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي آل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

كان محمد يتحدث إلى نفسه في ذلك وهو جالس في الغرفة التي تعودوا الجلوس فيها، وكان أبناؤه معه في تلك الغرفة إلاَّ أنَّ كلاً منهم كان مشغولاً في شيء كان يهمه، وما انشغالهم هذا إلاَّ لكونهم قد رغبوا في إعطاء فرصة لأبيهم في أن ينال قسطاً من

الهدوء والراحة، وحينما وجدوا أن عقارب الساعة كانت قد قطعت شوطاً في دورانها حول مركزها، تركوا ما بأيديهم واقتربوا من أبيهم آخذاً كل واحد منهم مكانه الذي اعتاد الجلوس فيه، وقبل أن يبدأ أي منهم الحديث، قال الأب:

سنتعرف اليوم على حقيقة حاول البعض إخفائها أو التشويش عليها لأمر ما في أنفسهم، وما خشوا بذلك الله تعالى ورسوله الكريم محمد ﷺ.

فقال الابن الأوسط: وما هي هذه الحقيقة يا أبي؟

الأب: حقيقة الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، وبالتحديد: من هو المنتظر عليه السلام الذي أشار إليه النبي محمد ﷺ؟

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: سبق وأن ذكرت لكم أن البعض قد قالوا أنَّ المنتظر عليه السلام هو النبي عيسى بن مريم عليه السلام، والذين روجوا هذه الفكرة كانوا بنو أمية، وبالتحديد كان معاوية بن أبي سفيان، وغرضه في ذلك معروف ومشهور، وهو الإقلال من شأن ومكانة آل البيت النبوي الأطهار، بجعله فكرة الحجَّة المنتظر من خصائص الفكر المسيحي والديانة المسيحية، وأن آل بني هاشم قد ادعوا ذلك طمعاً منهم في القيادة وحكم المسلمين، حيث روي أنه قال يوماً لجماعة من بني هاشم: «زعمتم أن لكم ملكاً هاشمياً، ومهدياً قائماً، والمهدي عيسى بن مريم، وهذا الأمر في أيدينا حتى نسلمه إليه».

فما كان من عبد الله بن العباس بن عبد المطلب إلا رد على معاوية بقوله:

«اسمع يا معاوية، أما قولك إنا زعمنا أن لنا ملكاً مهدياً،

فالزعم في كتاب الله شك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾[1].

أمَّا قولك أن لنا ملكاً هاشمياً، ومهدياً قائماً، فكل يشهد أن لنا ملكاً ومهدياً قائماً، ولو لم يبق من الدُّنيا إلاَّ يوم واحد، لملكه الله فيه، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت ظلماً وجوراً.

أمَّا قولك أن المهدي عيسى بن مريم، فإنما ينزل عيسى لقتال الدجال، والمهدي رجل منَّا أهل البيت، يصلي عيسى خلفه[2].

وحينما وجد معاوية أن فكرة الإمام المهدي من الصعب تحويلها عن المسلمين إلى غيرهم، عمل كما هو العهد فيه والمعروف عنه في تشويه الحقائق الإسلامية ومن مصلحته ومصلحة حكمه أوعز إلى من كانت الدُّنيا تهمه أكثر ممَّا تهمه الآخرة، فوضعت أحاديث نسبت لنبي الرحمة محمد ﷺ، أو لغيره من الصحابة ونشروها بين النَّاس.

كالقول: لا مهدي إلاَّ عيسى بن مريم[3]، وكالرواية التي رويت من أن ابن عباس قال: مهديان من بني عبد شمس أحدهما عمر الأشج[4]، وكذلك كالرواية التي رويت من أن محمد بن الحنفية قال: أنه إذا كان، فإنه من ولد عبد شمس[5].

---

(١) سورة التغابن: الآية: ٧.

(٢) راجع الملاحم. والفتن: لابن طاووس، ١٦٦، نقلاً عن تاريخ الطبري. ورواه نعيم بن حماد في الفتن: ص١٠٢. وفيه بعض الاختلاف.

(٣) سنن ابن ماجه: ج٢، ص١٣٤٠، الحديث ٤٠٣٩.

(٤) الفتن: لابن حماد، ص٢٦٦.

(٥) نفس المصدر السابق: ص٢٦٣.

وانتهت الدولة الأموية، وحكم العباسيون بلاد المسلمين، وكخطوة اتخذوها لتثبيت حكمهم، هي ترهيب آل البيت وقتلهم أو تشريدهم إن لزم الأمر وحصل شك في كون أن منهم كان خطراً على السلطان، وكان من بين من اعترض على هذا السلوك من قبل العباسيين هم الحسنيون، وذلك لكونهم كانوا ممَّن تحالفوا مع العباسيين للإطاحة بالأمويين، وكانوا قد اتفقوا معهم على تنصيب محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى زعيماً لهم ولثورتهم، ولكي يكسبوا نصرة وتعاطف النَّاس ادعوا بكونه هو المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، والذي بشَّر به رسول الله ﷺ هذه الأمة.

فقال الابن الأكبر: حسبما أعلم أن ذلك كان قد حصل في زمن إمامة الإمام جعفر بن محمد الصَّادق عليه السلام، أليس كذلك يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، وقد حضر الإمام الصَّادق عليه السلام اجتماعهم بعد أن علم به، وأبدى لهم (أي لبني الحسن عليه السلام) النصيحة قائلاً: لا تفعلوا ذلك، فإنَّ هذا الأمر لم يأت بعد، ثم التفت ناحية عبد الله بن الحسن وقال عليه السلام: إن كنت ترى أن ابنك هذا هو المهدي؟ فليس به، ولا هذا أوانه، وإن كنت إنما تريد أن تخرجه غضباً لله، وليأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، فإنا والله، لا ندعك وأنت شيخنا، ونبايع ابنك.

غضب عبد الله من قول الإمام الصَّادق عليه السلام، لأنَّه كذب ادعائه بأنَّ ابنه محمد هو المنتظر، إضافة إلى أنَّه عليه السلام قد هدَّ أحلامهم وأمانيهم في الحكم، فقال عبد الله بن الحسن مخاطباً

الإمام عليه السلام بقوله: علمت خلاف ما تقول، ووالله ما اطلعك الله على غيبه، ولكن يحملك على هذا الحسد لابني[1].

وكما قال الإمام الصادق عليه السلام، فلم تكن لبني الحسن عليهم السلام وإنَّما كانت لبني العباس، وقد روي عن العابدي قال: كان جعفر بن محمد عليهما السلام إذا رأى محمد بن عبد الله بن الحسن اغرورقت عيناه بالدموع، ثم يقول: بنفسي هو، إنَّ الناس يقولون فيه أنَّه المهدي، وأنَّه لمقتول، ليس هذا في كتاب أبيه علي من خلفاء هذه الأمة[2].

وحينما استلم الحكم أبو جعفر المنصور العباسي واسمه عبد الله، وجد أنَّ فكرة المهدي تخدمه وتديم له ولأسرته الملك، فسمى ابنه محمد، وحينما كبر نصبه خليفة من بعده، وأطلق عليه لقب المهدي مدعياً أنَّه المنتظر الَّذي بشَّر به النبي صلى الله عليه وآله المسلمين، تاركاً بذلك تنصيب ابنه جعفر الذي يكبر محمد، وكما فعلت بنو أمية فعلت بنو العباس أكثر من ذلك وأمروا بوضع الأحاديث، وكان من بينها حديثاً رووه عن عثمان بن عفان قال فيه: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: المهدي من ولد عمي العباس[3].

فقال الابن الأكبر: شوقتنا كثيراً لمعرفة تفصيلاً عن الإمام المهدي عجَّل الله فرجه يا أبي؟

الأب: لا أقول إنني سأحدثكم بالتفصيل عن الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، وإنَّما سأبذل جهدي لأجعل من حديثي المختصر ملبياً لحاجتكم في معرفته عليه السلام.

---

(١) راجع مناقب ابن شهرآشوب: ج٤، ص٢٢٧. والبحار: ج٤٧، الحديث ١٨. ومقاتل الطالبين.
(٢) المقاتل: لأبي الفرج، ص١٤٢.
(٣) راجع كنز العمال: ج١٤، ص٢٦٤. وتاريخ ابن عساكر.

ثم تابع الأب حديثه بالقول: الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام هو الثاني عشر من أئمة أهل البيت الأطهار، أبو القاسم قائم آل محمد بن الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرِّضا بن الإمام موسىٰ الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السَّجاد بن الإمام الحسين الشهيد بكربلاء بن الإمام أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين ووصي رسول الله ربّ العالمين علي المرتضىٰ بن أبي طالب عليه السلام.

وأم الحجَّة القائم المنتظر عليه السلام هي نرجس، وقيل مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمها من ولد الحواريين، تنسب إلى وصي عيسى بن مريم عليه السلام شمعون، وقيل أنها أسمت نفسها نرجس[1].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: هو حليف الإيمان ومفسر القرآن وخليفة الرَّحمٰن والحجَّة على الإنس والجان، الغائب عن الأنظار قائم آل محمَّد المختار، الَّذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن يملأها الجبَّارون ظلماً وجوراً، رحمنا الله تعالى وخصَّنا بالقيام معه ونصرته والمجاهدين تحت رايته والصلاة والسَّلام عليه وعلى آبائه وأجداده الَّذين اصطفاهم الله تعالىٰ للدعوة إليه، ورحمة الله وبركاته.

الابن الأكبر: وأين ولد الإمام القائم عليه السلام ومتىٰ يا أبي؟

الأب: كانت ولادته المباركة في سر من رأى ليلة النصف من

---

(١) راجع كتاب الغيبة: للشيخ الطوسي. وإلزام الناصب: للحائري، ج١، ص٣١٣. والصدوق في إكمال الدِّين وإتمام النعمة.

شعبان سنة مائتين وخمسين للهجرة النبوية الشريفة أو قبلها بسنة[1]، وقيل سنة خمس وخمسين ومائتين، وقيل ثمانية وخمسين ومائتين[2].

ثم قال الأب: ومن ألقابه عليه السلام: الحجَّة والمهدي والمنتظر والقائم وصاحب الأمر والزَّمان.

الابن الأكبر: وهل جاء في وصفه شيء يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، لقد جاء وصفه على لسان جده المصطفى صلى الله عليه وآله قال فيه: المهدي منِّي، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، يملك سبع سنين[3].

وعن حذيفة قال صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، وجهه يتلألأ كالقمر الدري، اللون لون عربي...[4].

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله: المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدري، اللون عربي...[5].

وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله قال فيه جواباً على تساؤل رجل من عبد القيس يُقال له المستورد بن غيلان قال في سؤاله: يا رسول الله، من إمام النَّاس يومئذٍ؟ فقال صلى الله عليه وآله: المهدي من ولدي، ابن أربعين سنة، كان وجهه كوكب دري، في خده الأيمن خال

---

(١) تاريخ ابن خلكان: ج٣. ونور الأنصار: للشبلنجي: ص١٤١، عن اليواقيت للشعراني.
(٢) جلاء العيود: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١٣٨.
(٣) سنن أبي داود: ج٤، ص١٠٧. والمستدرك: ج٤، ص٥٥٧.
(٤) كنز العمال: ج٤، ص٢٦٤، عن الروياني وتفرد الكنجي بلفظ (يتلألأ كالقمر).
(٥) الفردوس: الديلمي، ج٤، ص٢٢١. والحاوي للفتاوي: ج٢، ص٦٦، عن الروياني وفيه اختلاف يسير.

أسود، عليه عباءتان قطرانيتان، كأنَّه من رجال بني إسرائيل، ، يملك عشرين سنة. . .[1].

وقال ﷺ في حديث آخر: ليبعثن الله تعالىٰ من عترتي رجلاً أفرق الثنايا، أجلى الجبهة، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، ويفيض المال فيضاً[2].

وقال في وصفه جده أمير المؤمنين عليه السلام: المهدي مولده بالمدينة[3]، من أهل بيت النبي ﷺ، واسمه اسم النبي، ومهاجره بيت المقدس، كث اللحية، أكحل العينين، براق الثنايا، في وجهه خال، أقنى أجلى في كتفه علامة النبي. . .[4].

وفي رواية أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام وصفه لأصحابه يوماً فقال: هو صاحب الوجه الأقمر، والجبين الأزهر، وصاحب العلامة والشامة، العالم غير معلم، والمخبر بالكائنات قبل أن تُعلم.

أمَّا حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام فقالت في وصفه: لما ولد رأيت نواراً ساطعاً ظهر منه، وبلغ أفق السماء، ورأيت طيوراً بيضاء تهبط من السماء وتمسح أجنحتها على رأسه ووجهه وسائر جسده، ثم تطير، فناداني أبو محمد عليه السلام: يا عمتي، هاتي ابني إليَّ، فناولته، وإذا هو نظيف مفروغ منه، وعلى ذراعه الأيمن مكتوب: جاء الحق وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً، فأتيته به

---

(١) الطبراني في معجمه: ج٨، ص١٢٠. وكنز العمال: ج١٤، ص٢٦٨. ومجمع الزوائد: ج٧، ص٣١٩.

(٢) الحاوي: ج٢، ص٦٣. والصواعق: لابن حجر، ص١٦٤.

(٣) هكذا وجدت: (مولده بالمدينة).

(٤) كنز العمال: ج١٤، ص٥٨٩. والحاوي للفتاوي: ج٢، ص٧٣.

فتناوله، وأخرج لسانه فمسحه على عينيه ففتحهما، ثم أدخله في فيه فحنَّكه، ثم أدخله في أذنيه، وأجلسه على راحته، فاستوى ولي الله جالساً، فمسح يده على رأسه وقال: يا بني، أنطق بقدرة الله، فاستعاذ ولي الله من الشَّيطان الرجيم، واستفتح بسم الله الرَّحمٰن الرحيم: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾.

ثمَّ صلَّىٰ على رسول الله ﷺ، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام، والأئمة واحداً واحداً، حتَّى انتهىٰ إلي أبيه عليه السلام، ثمَّ أتت الطيور ترفرف على رأسه عليه السلام.

ثمَّ قالت حكيمة: فصاح أبو محمد بطير منها وقال: احمله واحفظه ورده إلينا كل أربعين يوماً.

فتناوله الطائر، وطار به في جو السماء، واتبعه سائر الطير، فسمعت أبا محمد عليه السلام يقول: استودعك الذي استودعته أم موسىٰ عليه السلام.

بكت نرجس حينما رأت الطير قد أخذت ابنها وابتعدت طائرة في جو السماء، ولكي يطمئنها الإمام عليه السلام على وليدها قال لها: اسكتي، فإنَّ الرِّضاع محرَّم عليه إلاَّ من ثديك، وسيعاد إليك، كما ردَّ موسىٰ إلى أمه، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾.

قالت حكيمة: فلما إن كان بعد أربعين يوماً، ردَّ الغلام، ووجه إليَّ ابن أخي، فدعاني فدخلت عليه، فإذا أنا بصبي متحرك بين يديه.

فقلت: سيِّدي، هذا ابن سنتين؟ فتبسم عليه السلام وقال: إنَّ أولاد الأنبياء والأوصياء إذا كانوا أئمة ينشأون بخلاف ما ينشأ غيرهم، وأنَّ الصبي منَّا إذا أتى عليه شهر كان كمن يأتي عليه سنة، وأنَّ الصبي منَّا ليتكلَّم في بطن أمه، ويقرأ القرآن، ويعبد ربه عزَّ وجل، وعند الرِّضاع تطيعه الملائكة، وتنزل عليه صباحاً ومساءً.

ثم قالت حكيمة: فلم أزل أرّ ذلك الصبي كل أربعين يوماً، إلى أن رأيته رجلاً، قبل أن يمضي أبو محمد عليه السلام بأيام قلائل، فلم أعرفه، فقلت لأبي محمد عليه السلام: من هذا الذي تأمرني أن أجلس بين يديه، فقال أبو محمد عليه السلام: ابن نرجس، وهو خليفتي من بعدي، وعن قليل تفقدوني، فاسمعوا له وأطيعوا.

قال الابن الأكبر: قوله عليه السلام هو خليفتي، هو وصية وأعلام بإمامة الحجَّة المنتظر عليه السلام.

فقال الأب: إنَّ إمامة الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام لا تحتاج لإثبات بعد كل ما تحدث به المصطفىٰ محمد صلى الله عليه وآله عنه، بكونه يظهر آخر الزَّمان ليقيم القسط والعدل في الأرض بعد أن يعمها الظلم والجور.

ثم قال الأب: ومن يفعل ذلك غير الإمام يا ولدي.

فقال الابن الأكبر: هو كما تقول يا أبي، يكفيه دليلاً على إمامته عليه السلام أحاديث من لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحى.

ثم قال الأب: واعلم يا ولدي، أنَّ حكيمة بنت الإمام محمد الجواد عليه السلام قالت لمحمد بن عبد الله التي كانت تحدثه بهذا الحديث: فمضى أبو محمد عليه السلام بأيام قلائل، وافترق النَّاس كما

ترى، ووالله، إني لأراه صباحاً ومساءاً، وأنه لينبئني عمَّا تسألوني عنه، فأخبركم، ووالله، لا أريد أن أسأله عن شيء، فيبدأني به، وأنه ليرد عليَّ الأمر، فيخرج إليَّ من جوابه من ساعته من غير مسألتي، وقد أخبرني البارحة بمجيئك إليَّ أيُّها الرجل السائل، وأمرني أن أخبرك بالحق.

فقال محمد بن عبد الله: فوالله، لقد أخبرتني حكيمة بأشياء، لم يطلع عليها أحد، إلاَّ الله عزَّ وجلَّ، فعلمت أنَّ ذلك صدق وعدل من الله عزَّ وجلَّ، وإنَّ الله قد أطلعه على ما لم يطلع عليه أحداً من خلقه[1].

ثم قال الأب محدثاً أبناءه: ومن وصف آخر لأمير المؤمنين عليه السلام وصف به القائم عليه السلام قال فيه كما روي عن الإمام أبو جعفر عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر: يخرج رجل من ولدي آخر الزَّمان، أبيض مشرب حمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاس المنكبين، بظهره شامتان، شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله، له اسمان، اسم يخفىٰ، واسم يعلن، فأمَّا الذي يخفىٰ فأحمد، وأمَّا الذي يعلن فمحمد، فإذا هزَّ رايته أضاء ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد، فلا يبق مؤمن إلاَّ صار قلبه أشد من زبر الحديد، وأعطاه الله قوَّة أربعين رجلاً، لا يبقى ميت إلاَّ دخلت عليه الفرحة في قبره، وهم يتزاورون في قبورهم، ويتباشرون بقيام القائم عليه السلام[2].

---

(١) ذكر الرّواية هذه كاملة السيد عبد الله شبر في كتابه جلاء العيون: ج٣، ص١٤٥ ـ ١٤٦.
(٢) جلاء العيون للسيد عبد الله شبر: ص١٥١.

وحينما سأل عمر بن الخطاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أخبرني عن صفته (أي عن صفة الإمام المنتظر عليه السلام) قال أمير المؤمنين عليه السلام: هو شاب مربوع. حسن الوجه. حسن الشعر يسيل شعره على منكبيه، ونور وجهه يعلو سواد لحيته ورأسه، بأبي ابن خيرة الإماء[1].

فقال الابن الأكبر: ما الحكمة التي أرادها الله تعالىٰ في جعل ظهور الإمام الحجَّة عليه السلام في آخر الزَّمان يا أبي؟

الأب: اعلم يا ولدي، أنَّ من غير الممكن للعبد في أن يدرك الحكمة الَّتي يريدها الله تعالىٰ في أي شيء، إلاَّ أنَّنا نستطيع أن نتحدث عن ذلك من خلال ما جاء في السنَّة النبوية الشريفة وفي أحاديث آل البيت النبوي الأطهار، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم بحكمته من عبيده.

فقال الابن الأكبر: هذا هو ما أقصده يا أبي.

فقال الأب: سيكون حديثنا عن ذلك يوم غد إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) المفيد في الإرشاد. والطوسي في الغيبة عن عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام.

اليوم الرابع

وشهد شاهد من أهلها

جلس الأب وأبناؤه كما اعتادوا كل يوم، وكل منهم يحمل من الشوق قدراً كبيراً لسماع الحديث وفهمه، وبجلوسهم واستقرارهم بدأ الأب حديثه قائلاً:

قال الله تعالىٰ في محكم كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾.

ثم قال الأب: هناك أُموراً متعارف عليها، ومن بين تلك الأُمور هو نكران الإنسان وعدم اعترافه بخطيئته التي ارتكبها، فكل خارج على الدِّين أو العرف أو القانون تجده منكراً لخرجه ذاك، وفي كثير من الأحياء يشدد من إنكاره، أمَّا إذا قوبل إنكاره هذا بدليل قاطع وملموس، تجده يعترف بفعلته ويأخذ بالمسكنة والتوسل لكي يبعد عنه العقوبة أو يخففها، وهذا الأمر نلمسه كثيراً في حياتنا.

والأدلَّة على إثبات الفعل على التهم عديدة الوجوه ومختلفة، إلاَّ أنَّ أقواها وأشدها دلالة هي اعتراف المذنب نفسه بما أذنب أو شهادة مقرب إليه لا يمكن رد شهادته.

ولكي لا تكون للمذنب حجَّة أمام الله تعالىٰ يوم القيامة، يسخر الله تعالىٰ بقدرته أن تشهد الأعضاء على الذنب، كما ورد في الآية الكريمة: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾... وحينها لا مجال لنكران أو جدال.

ومن فضل الله تعالى ورحمته على عباده أن جعل التوبة النصوح والاستغفار ممحاة للذنوب التي كانت بين العبد وخالقه، أما إن كانت بين العبد والآخر، فرضاه وتسوية الأمر معه إلى جانب التوبة تذهب تلك الذُّنوب.

وما تأخير ظهور الإمام الحجَّة القائم (عج) إلاَّ رحمة هي الأخرى للناس، لأنَّ بظهوره ستكون هناك نهاية للتوبة، حيث لا تنفع العبد توبته بعد ذلك.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: هذا من جانب، أما من الجانب الآخر فتأخير ظهور الإمام القائم (عج) ابتلاء لبني آدم وامتحان لهم، إضافة إلى كونها فرصة للتوبة أتاحها الله تعالى لعبيده، فمن استفاد من هذه الفرصة فقد أمن وسلَّم، ومن بقي على عصيانه ومنهجه الذي يرفضه الإسلام فقد عرض نفسه للعذاب يوم القيامة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

قال الابن الأكبر: أرى يا أبي أنَّ الحياة التي يحياها أي فرد منَّا هي عبارة عن فترة اختبار يختبرنا الله تعالىٰ بها.

فقال الأب: نعم يا ولدي، إنَّ الله جلَّت عظمته يختبر الإنسان، وليس معنى هذا لكي يكون جلَّ جلاله على بيِّنة من أمرنا، فهو جلَّ جلاله يعلم بما في النُّفوس، بل هو تعالىٰ يعلم بما سنكون عليه منذ ولادتنا، بل منذ أن قدَّر الله تعالىٰ أن نكون، وإنَّما المراد

بهذا الاختبار أن نكون نحن على بيِّنة من أمرنا وما نستحق من عذاب أو جزاء طيب، وقد يكون الإنسان معترضاً يوم القيامة على ما ينال جزاء عمله لذا جعل الله تعالى من الكتبة الأمناء مسجلين لكل صغيرة وكبيرة، إضافة إلى شهادة الأعضاء، وحينها لا تكون لأحد من حجَّة يحتجّ بها.

فقال الابن: هذا ممكن حصوله لكل الناس في هذه الدُّنيا، ولكن الذي أريد أن استوضحه: ما العلَّة في أن يخرج الإمام القائم عليه السلام في آخر الزَّمان؟ ولماذا لا يكون ظهوره عليه السلام في زماننا الحاضر هذا مثلاً؟

قال الأب: لو حاولنا استذكار واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله والتي أشار فيها إلى يوم ظهور الإمام الغائب عليه السلام كما في قوله صلى الله عليه وآله: بلاء يصيب هذه الأمة، حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي (أو من أهل بيتي)، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلاَّ صبته مدراراً، ولا تدع الأرض من نباتها شيئاً إلاَّ أخرجته، حتى يتمنى الأحياء الأموات، يعيش في ذلك سبع سنين، أو ثمان سنين، أو تسع سنين[1].

ثم قال الأب: وحتى الأحاديث الأخرى لرسول الله صلى الله عليه وآله فالنبي صلى الله عليه وآله يحدد بها زمن ظهوره عليه السلام، وهو الزمن الذي تُملأ الأرض بالجور والظلم، وهذا يعني أنَّ ذلك الزَّمان تنعدم فيه كل

---

(١) قال الكنجي الشافعي: هكذا أخرجه الطبراني في معجمه. وأخرجه أبو نعيم عنه في مناقب المهدي. ورواه صاحب الحاوي للفتاوي: تج٢، ص٦٥.

تعاليم السماء سواء في سيادة العدل والقيم السامية أو احترام حرية الإنسان في المعتقد الذي يرى فيه الأمان والاطمئنان والتقدم والصلاح، وهذا ما تعمل عليه الصهيونية والاستعمار في وقتنا الحاضر، وهو إشارة واضحة إلى أنَّ زمن ظهوره عليه السلام قد بانت بوادره ودواعيه.

الابن الأكبر: من خلال حديثك هذا يا أبي أنستطيع أن نحدد أهداف ظهور الإمام المهدي يهدفين هما وضع الإنسان في المحك واختباره، وثانياً لإزالة الجور والظلم الذي سيسود الأرض وإقامة القسط والعدل فيها، وفي ذلك إسعاد للبشرية وتفرغ لعبادة الله تعالى بما هو أهل له سبحانه.

فقال الأب: هذه هي حقيقة الأهداف التي يمكن استقراءها من خلال ما جاء في الكتاب والسنَّة النبوية الشريفة وفي أحاديث آل البيت النبوي الأطهار، والتي هي دائرة في مدينة السنَّة النبوية الشريفة ولا تحيد عنها أو تخرج منها ولا حتى قيد أنملة.

فقال الابن: هذا ملخص يبحث في أسباب ظهور الإمام الحجَّة عليه السلام، فهل لك يا أبي أن تطلعنا على مخلص يوضح لنا العلَّة من ظهوره عليه السلام في آخر الزَّمان.

قال الأب: أوضحت لكم كيف إنَّ الله جلَّ جلاله جعلها ابتلاء للناس واختبار لهم، هذا من ناحية، أمَّا من الناحية الأخرى، فنحن نعلم من خلال الأحاديث النبوية الشريفة وأحاديث آل البيت النبوي الأطهار، كيف أنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام حينما يظهر للعيان ويعمل على إزهاق الباطل وإقامة الحق يلتف حوله أنصار مخلصين ثم يتبعهم آخرين يقاتلون بين يدي الإمام عليه السلام، وهذا

يعني أنَّ هناك أناساً أخياراً سيولدون على مرِّ العصور حتى ظهوره عليه السلام، فإن قضى الله تعالى بظهوره الآن فقد ضاعت الفرصة بولادتهم، إذاً من حكمة هذا التأخير هو استخراج هذه الودائع المخلصة من أصلاب آبائها.

ثم قال الأب: وحتى بالنسبة لانتظار الفرج فهو لا يخلو من الثواب والأجر للمؤمنين.

فقال الابن الأكبر: وهل وردت في كل ما ذكرت من أسباب أحاديث للنبي وآل البيت عليهم السلام.

فقال الأب: نعم يا ولدي، وما ذكرت لكم ما ذكرت، إلاَّ استنتاجاً ممَّا روي من أحاديث.

فقال الابن الأكبر: اذكر لنا بعضها يا أبي.

قال الأب: نعم يا ولدي، فبالنسبة لموضوع الاختبار فقد ورد عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «... وليغيبن عنهم تمييزاً لأهل الضلالة، حتى يقول الجاهل: ماالله في آل محمَّد من حاجة»[1].

وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «هيهات، هيهات، لا يكون فرجاً حتى تغربلوا، ثم تغربلوا، ثم تغربلوا، حتى يذهب الكدر ويبقى الصفو»[2].

كما وروي عن الإمام جعفر بن محمَّد الصادق عليه السلام قال: «والله لتكسرن كسر الزجاج، وأن الزجاج يعاد فيعود كما كان. والله

---

(١) البحار: ج٥١، ص١١٢، عن غيبة النعماني.
(٢) البحار: ج٥٢، ص١١٣، عن غيبة الطوسي.

لتكسرن كسر الفخار، وأنَّ الفخار لا يعود كما كان، والله لتمحصن، والله لتغربلن، كما يغربل الزؤان من القمح»[1].

فقال الابن الأكبر: وما يعني الإمام الصادق عليه السلام بقوله كما يغربل الزؤان من القمح يا أبي؟

فقال اب: الزؤان يا ولدي هي الحبوب التي تخالط القمح.

ثم قال الأب متابعاً حديثه قائلاً: «ايهات، ايهات، لا والله، لا يكون ماتمدون إليه أعينكم حتى تغربلوا، لا والله، لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى تميزوا، لا والله، لا يكون ما تمدون إليه أعينكم حتى يشقى من شقي، ويسعد من سعد[2].

وروي عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام قال: «إنه لا بدَّ لصاحب هذا الأمر من غيبة، حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به، إنَّما هي محنة من الله، امتحن بها خلقه»[3].

ثم قال الأب: أما بالنسبة لولادة من علم الله تعالى بكونهم مؤمنين صادقين فقد ورد في خصوصهم حديثاً روي عن الإمام الصادق عليه السلام كان جواباً على سؤال تقدم به واحد من المسلمين قال له فيه: ما بال أمير المؤمنين عليه السلام لم يقاتل مخالفيه الأول؟

فأجاب الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام: لآية في كتاب الله عزَّ وجل: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[4].

---

(١) البحار: ج٥٢، ص١٠١، عن غيبة الطوسي.
(٢) البحار: ج٥٢، ص١١٢، عن غيبة الطوسي.
(٣) البحار: ج٥٢، ص١١٣، عن غيبة الطوسي.
(٤) سورة الفتح: الآية: ٢٥.

فقيل للإمام عليه السلام: وما يعني بتزايلهم؟

فقال عليه السلام: ودائع مؤمنون في أصلاب قوم كافرين، فكذلك القائم لن يظهر أبداً حتى تخرج ودائع الله عز وجل، فإذا خرجت ظهر على من ظهر من أعداء الله عز وجل فقتلهم[1].

ثم تابع الأب حديثه بالقول: وكما ذكرت لكم إن في انتظار المؤمنين للفرج في ظهور الإمام القائم الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويحيي ما أمات الطغاة والمتجبرين من سنَّة الله تعالى ورسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله، وهم بذلك مع طول المدة وحصول اليأس لدى الكثيرين من الناس إلاَّ أنَّهم صابرين محتسبين راجين حصول الفرج، وقد أثنى النبي صلى الله عليه وآله على مثل هؤلاء وكذلك فعل آل البيت النبوي الأطهار.

فمن قول رسول الله صلى الله عليه وآله: أفضل أعمال أمتي انتظار فرج الله عز وجل[2].

ومن قول للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام لأبي خالد الكابلي: تمتد الغيبة بولي الله الثاني عشر من أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده.

ثم قال الإمام عليه السلام: يا أبا خالد، إن أهل زمان غيبته القائلون بإمامته، المنتظرون لظهوره، أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكره أعطاهم من العقول والإفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٩٧، عن إكمال الدّين. وعلل الشرائع: ج١، ص١٤١.
(٢) البحار: ج٥٢، ص١٢٢، عن عيون أخبار الرّضا.

بين يدي رسول الله ﷺ بالسيف، أولئك المصلحون حقاً، وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله سراً وجهراً[1].

ثم قال الأب: هذه هي الحكمة التي تمكنا من استنباطها من أحاديث المصطفىٰ محمد ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام في خصوص قضاء الله تعالى في جعل زمن الغيبة طويلاً.

فقال الابن الأوسط: وهل هناك حديث للنبي ﷺ أو آل بيته الأطهار يحدد وقت ظهور الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام يا أبي.

قال الأب: لا أحد يا ولدي يعلم متى يحصل ذلك، فهو من الغيب الذي لا يعلمه إلاَّ علاَّم الغيوب جلَّ جلاله، وأحاديث آل البيت عليهم السلام تؤكد ذلك، فمن قول للإمام الباقر بن علي بن الحسين عليه السلام جواباً على سؤال وجه إليه: هل لهذا الأمر وقت؟

فقال عليه السلام: كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون[2].

ثم قال الأب: وهذا أيضاً لله فيه حكمة، منها لو علم كثير من الناس زمانها وطوله لحصل اليأس لدى الكثيرين منهم بذلك، وبغيابه عنهم وعدم معرفتهم بوقت ظهوره يبقى الأمل حياً ويبقى الرجاء بحصوله يوماً بعد آخر.

فقال الابن الأكبر: وما أسباب هذه الغيبة ساعة حصولها يا أبي؟

الأب: سنتحدث عن ذلك يوم غد إن شاء الله يا ولدي.

---

(١) البحار: ج٥٢، ص١٢٢، عن الاحتجاج.
(٢) البحار: ج٥٢، ص١٠٣، عن غيبة الطوسي.

اليوم الخامس

العلة في قضاء الله تعالى بغيبة المنتظر (ع)

حضر الأب محمد كعادته كل يوم بعد المغرب بقليل، وهو الوقت الذي طالما توقع الأبناء حضور أبيهم فيه، فأخذ الأب مكانه في الغرفة وأحاط به أبناؤه، ولم يمض عليهم وقت طويل استرجع به الأب أنفاسه من تعب الطريق، وبدأ حديثه بالقول:

اعلموا يا أبنائي إنَّ لله تعالى في كل شيء حكمة، حتى في خلقه لكل كائن حي سواء من الإنس أو الجن أو الملائكة أو الحيوانات أو الحشرات أو البكتريا أو الجراثيم أو أيِّ شيء، حتى ذرَّات الرمل والحصىٰ والصخور وغير ذلك ممَّا هو منتشر في هذا الوجود الواسع.

وما غيبة الإمام الثاني عشر إلاَّ لحكمة له تعالى فيها، منها ما يمكن استقراءها من خلال الزَّمان الذي عاشه الإمام عليه السلام وفترة الحكم التي رافقت تلك الفترة، ومنها ما نستقرؤه من خلال ما روي من حديث معتمد وموثوق تحدث به النبي صلى الله عليه وآله أو أي من أئمة أهل البيت النبوي عليهم السلام.

ثم قال الأب: إنَّ فترة الحكم التي كانت في ذلك الزمان كانت الفترة العباسية، وكلنا نعلم من خلال ما كتب التاريخ، أنَّ الفترة العباسية كانت أشد خطراً على آل البيت من الفترة الأموية، وذكرت لكم مرَّة وصف أحد الشعراء لظلم بني العباس لبني هاشم مقارنة بظلم بني أمية لهم بكونه معشار ما فعلت بني العباس، وكما لا يخفى أنَّ العباسيين أعلم من غيرهم أنَّ الإمام الثاني عشر هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تملأ ظلماً وجوراً، وأنَّهم أعرف بفعالهم وظلمهم، ولكي يدوم لهم الحال والحكم والسيادة وجدوا الخلاص من آل البيت وخاصة الإمام الذي سيغير ويبدل حكم الجور بحكم إسلامي ينتهج الإسلام قولاً وفعلاً، وجدوا الخلاص منه دواماً لهم، ولذلك راحوا يتحينون ولادته لقتله والخلاص منه تماماً كما فعل فرعون عند قرب ولادة النبي موسى عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: وهل بمقدورهم ذلك وقد سبقت إرادة الله تعالى بأن يقيم الحق والعدل على يدي الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام.

فقال الأب: لا يا ولدي، ليس بمقدور الإنس والجن جميعاً ذلك، إذ لا مبدل لكلمات الله، إلاَّ أنَّ أمثالهم لا يخطر بباله ذلك، وأنَّ الشيطان يزين له عمله ويجعله يراه حسناً، ولذلك فهم حاولوا الإمساك به والعثور عليه لقتله، إلاَّ أنَّ الله تعالى قد سلَّمه وحفظه منهم ومن كيدهم بأن غيبه عنهم غيبته الأولى والتي يطلق عليها بالغيبة الصغرى.

ثم تابع الأب قوله: هذا ما نستقرءه من خلال أحداث ذلك الزمان، والله أعلم.

فقال الابن الأكبر: ولماذا تقول يا أبي: هذا ما نستقرءه من خلال أحداث ذلك الزمان، ثم تؤكد بقولك والله أعلم، فهل ليس هناك ما يؤكد الحكمة الإلٰهيَّة في حدوث الغيبة بشكل قاطع يا أبي؟

فقال الأب: ليس هنا ما يجعلنا نقول بشكل قاطع وإنما هو استقراء من الأحداث التي رافقت زمانه عليه السلام، وأيضاً من خلال الأحاديث المروية، وكمثال على ذلك ما روي عن عبد الله بن الفضل الهاشمي قال: سمعت الإمام الصَّادق عليه السلام يقول: إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبة لا بدَّ منها، يرتاب فيها كل مبطل.

قال عبد الله الهاشمي: فقلت له: ولِمَ جُعلت فداك؟

قال عليه السلام: لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم.

قال عبد الله: فقلت: فما وجه الحكمة في غيبته؟

قال عليه السلام: وجه الحكمة في غيبته: وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى ذكره، إنَّ وجه الحكمة في ذلك لا تنكشف إلاَّ بعد ظهوره، كما لم ينكشف وجه الحكمة لما آتاه الخضر عليه السلام من خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار، لموسى عليه السلام إلاَّ وقت افتراقهما.

ثم قال عليه السلام يابن الفضل، إنَّ هذا الأمر من أمر الله، وسر من سر الله، وغيب من غيب الله، ومتى علمنا أنَّه عزَّ وجل حكيم صدقنا بأنَّ أفعاله كلّها حكمة، وإن كان وجهها غير منكشف لنا[1].

ثم قال الأب: وروي عن إسحاق بن يعقوب أنه ورد عليه من الناحية المقدَّسة على يد محمد بن عثمان:

---

(١) جلاء العيون: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١٥٧.

وأمَّا علَّة ما وقع من الغيبة فإنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾، أنَّه لم يكن أحد من آبائي إلاَّ وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه، وأني أخرج حين أخرج ولا بيعة لأحد من الطواغيت في عنقي، وأمَّا وجه الانتفاع بيَّ في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب، وأني لأمان لأهل الأرض كما أنَّ النجوم أمان لأهل السماء، فاغلقوا أبواب السؤال عمَّا لا يعنيكم، ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم، واكثروا الدُّعاء بتعجيل الفرج، فإنَّ ذلك فرجكم، والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب، وعلى من اتبع الهدى[1].

ثم تابع الأب حديثه: واعلموا يا أبنائي أننا حينما نتحدث عن أي أمر يجب أن نضع أمام أعيننا ما جاء في خصوصه في الكتاب والسنَّة الشريفة، وأن ما وردنا من أحاديث سواء للنبي محمد ﷺ، أو آل البيت الأطهار، يظهر لنا أن من أسباب غيبته عليه السلام هو لحماية نفسه من كيد الطغاة الحاكمين في زمانه.

فقال الابن الأكبر: اذكر لنا بعض هذه الأحاديث يا أبي.

فقال الأب: ممَّا يرى عن النبي ﷺ أنَّه قال: لا بدَّ للغلام (يعني الإمام الحجَّة عليه السلام) من غيبة.

فقيل له: ولمَ يا رسول الله ﷺ؟

فقال ﷺ: يخاف القتل[2].

ثم قال الأب: وروي عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام قال: للغلام غيبة قبل قيامه.

---

(١) جلاء العيون: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١٥٨، عن احتجاج الطبرسي.

(٢) البحار: ج٥٢، ص٩٠.

فقيل له: لمَ؟

فقال عليه السلام: يخاف على نفسه الذبح[1].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ما ذكرناه من أحاديث أوضحت لنا السبب في غيبته عليه السلام، أما العلَّة من الغيبة فهذا ما لم نستطع الحديث عنه وإنَّما يمكننا أن نستقرؤه من الأحداث أو الأحاديث التي وردتنا عنهم عليهم السلام، وهو ليس بالحكم القاطع.

الابن الأكبر: هل غياب الإمام المنتظر عليه السلام عن الأنظار سببه رفعه إلى السماء كما هو الحال بالنسبة لعيسى بن مريم عليه السلام، أم غير ذلك يا أبي؟

فقال الأب: لم تذكر الأحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله أو أي من آل البيت الأطهار أنَّه عليه السلام رفع إلى السماء، وإنَّما ذكرت كونه معنا في هذه الأرض وعليها، ويتجول في الأسواق كما نفعل ويحضر المواسم من حج وزيارة للعتبات المقدَّسة، أي أنَّه عليه السلام يعيش بين النَّاس يعرفهم وقد يتحدث إلى أحدهم إلاَّ أنَّهم لا يعرفونه، وقد روي عن الإمام جعفر الصَّادق عليه السلام وغيره ما يؤكد ذلك.

فقال الابن الأكبر: وما روي يا أبي؟

الأب: روي عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: إنَّ في صاحب هذا الأمر لشبه من يوسف.. فما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحجته ما فعل بيوسف، أن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقه صاحب هذا الأمر يتردد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٩٧، عن إكمال الدِّين.

يعرفونه حتى يأذن الله له أن يُعرِّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حتى قال له أخوته: إنَّك أنت ليوسف؟ قال: أنا يوسف[1].

وروي عن محمد بن عثمان أحد سفراء الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام قال: والله، إنَّ صاحب هذا الأمر يحضر الموسم (أي الحج) كل سنة، فيرى الناس، ويعرفهم، ويرونه ولا يعرفونه[2].

الابن الأكبر: قول سفير الإمام رضي الله عنه يؤكد أنَّ النَّاس قادرين على رؤيته، أليس كذلك يا أبي؟

الأب: إنَّ عدم إمكانية رؤيته عليه السلام وهو بشر مثلنا تحتاج إلى قدرة إلٰهية، وكونه حجَّة الله تعالى في أرضه لا تستبعد إمضاء هذه القدرة، فإنَّ الله فعَّال لما يريد، وإن دعت الضرورة في أن يُرى من قبل النَّاس فهذا غير مستبعد أيضاً ولا يُعجز الله تعالىٰ، والمهم في الأمر أنَّ النَّاس لا تعرفه بصفته كإمام، وهو عليه السلام يراعي ذلك ويعمل على أساسه، وكل ما روي من أنَّ الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام قد ظهر على أحد من النَّاس، فظهوره عليه السلام عليهم ساعتها يكون بهيئة واحدة من النَّاس، وهكذا يكون إدراكهم له حينها، وبعد غيابه عنهم يدركون من خلال إعجاز معين أنَّه هو الإمام عليه السلام.

الابن الأكبر: هل يا ترى، أنَّ الإمام المنتظر عليه السلام يعيش وحيداً دون صاحب وأنيس، ألم يكن في ذلك وحشة عليه يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي هناك من يؤنسه ويحادثه وهو يعرفه

---

(١) البحار: ج٥٢، ص١٥٤، عن غبة النعماني.
(٢) البحار: ج٥٢، ص١٥٢، عن إكمال الدِّين.

معرفة تامة، وهناك من يخدمه ويعمل على راحته وقضاء بعض حوائجه.

فابتسم الابن الأكبر وقال: من هؤلاء الذين فازوا بمعرفته ومؤانسته وخدمته يا أبي؟

فقال الأب: ممَّا يروى عن الإمام الرِّضا عليه السلام قال: إنَّ الخضر عليه السلام شرب من ماء الحياة، فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور.. وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته، ويصل به وحدته[1].

ثم قال الأب: ومن قول للإمام الباقر عليه السلام: لابدَّ لصاحب هذا الأمر من عزلة، ولا بدَّ في عزلته من قوَّة، وما بثلاثين من وحشة[2].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: والذي نفهمه من حديث الباقر عليه السلام هذا، أنَّ مع الإمام المنتظر عليه السلام ثلاثين رجلاً من الأصحاب المؤمنين الصادقين الذين يعيشون معه، يأنس بهم ويعملون على خدمته وقضاء حوائجه.

الابن الأكبر: وهل هؤلاء الثلاثين يسكنون معه عليه السلام في مسكن واحد يا أبي؟

الأب: ليس بالضرورة أن يسكن الصاحب مع صاحبه في مسكن واحد وإنَّما لكل منهم مسكنه الخاص به وللإمام مكانه الذي خصَّ به، فمن حديث للإمام الصَّادق جعفر بن محمد عليه السلام يقول فيه:

---

(١) البحار: ج٥٢، ص١٥٢.

(٢) البحار: ج٥٢، ص١٥٣، عن غيبة الطوسي.

إنَّ لصاحب هذا الأمر غيبتين، إحداهما تطول حتى يقول بعضهم: مات، ويقول بعضهم: ذهب، حتى لا يبقى على أمره من أصحابه إلاَّ نفر يسير، لا يطلع على موضعه أحد من ولده ولا غيره، إلاَّ المولى الذي يلي أمره[1].

فقال الابن الأكبر: وهل لَه عليه السلام غيبتين يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي الأولى بدأت منذ وفاة أبيه عليه السلام، وكان الاتصال بينه وبين شيعته بواسطة سفرائه، ثم تلتها الغيبة الثانية والتي امتازت بالانقطاع عن النَّاس حتَّى من السفراء، وصار الناس من حينها تعتمد في أُمور حياتهم وآخرتهم على العلماء الأعلام الذين أفنوا جلَّ أعمارهم في الدراسة وطلب العلم حتى تهيىء لهم إمكان استنباط الأحكام من الكتاب والسنَّة النبوية الشريفة والاجتهاد بما يتماشى وكتاب الله وسنَّة نبيه المصطفىٰ محمَّد صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام.

الابن الأكبر: ومن هم سفراء الإمام الحجَّة المنتظر يا أبي؟

الأب: سفراؤه عليه السلام هم:

١ ـ أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري: كان من أصحاب الإمام علي الهادي عليه السلام المقربين، وكان رجلاً موالياً وفياً صادقاً عالماً، وبقي من المقربين للإمام الحسن العسكري عليه السلام بعد وفاة أبيه الهادي عليه السلام، وبوفاة العسكري عليه السلام احتل نفس المكانة الَّتي كان يحتلها في حياة الإمامين الهادي ثم العسكري عليهما السلام، فقام بأمر الإمام الحجَّة عليه السلام، وكانت توقيعاته وجواب المسائل التي يسأل بها

(١) البحار: ج٥٢، ص١٥٣، عن غيبة الطوسي.

النَّاس تخرج على يديه، فلما شاء الله تعالى أن يمضي إلى سبيله أمره الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام أن يوصي إلى ابنه أبي جعفر.

٢ ـ أبو جعفر بن عثمان بن سعيد العمري: كان كأبيه مؤمناً صادقاً، ومواليا وفياً، وناب مناب أبيه في جميع ما كان أبوه قائماً به، فلما مضى أمره الإمام عليه السلام أن يوصي بالأمر المكلَّف به إلى أبي القاسم الحسين بن روح.

٣ ـ أبو القاسم الحسين بن روح: من بني نوبخت، وكان كمن سبقوه بالإيمان والوفاء والصدق والعلم، فلما حان أجله أمره الإمام الحجَّة عليه السلام في أن يوصي بالأمر إلى أبي الحسن علي السمري.

٤ ـ أبو الحسن علي بن محمد السمري: فقام بعمله الذي كلّف به كمن سبقوه.

وهنا قال الابن الأكبر: وهل كانت النَّاس تعلم صدق ادعائهم بالسفارة يا أبي؟

الأب: كان الكثيرون يعلمون صدق إيمان كل من كلف بالسفارة وتقواه وعلمه، ومع ذلك فإنَّ كل من ينصب كان الذي سبقه قد أعلم النَّاس بهذا التنصيب، إضافة إلى إظهار ما يثبت ذلك من قبل الإمام صاحب الأمر والزَّمان عليه السلام.

ثم تابع الأب حديثه: فمثلاً لما حان رحيل أبي الحسن السمري عن الدُّنيا، وقرب أجله، قيل له: إلى من توصي؟

فأخرج رضي الله عنه توقيعاً إليهم نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا علي بن محمد السمري، اعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنَّك

ميت ما بينك وبين ستة أيَّام، فاجمع أمرك، ولا توصي إلى أحد بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور بعد إذن الله تعالىٰ ذكره، وذلك بعد طول الأمد، وقسوة القلوب، وامتلاء الأرض جوراً[1].

فقال الابن الأكبر: وما علامات ظهور الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام يا أبي؟

الأب: سيكون حديثنا عن ذلك في غد إن شاء الله تعالىٰ.

(١) راجع جلاء العيون: للسيد عبد الله شبر، ج٣، ص١٥٥، عن الطبري في الاحتجاج.

اليوم السادس

أوان امتلاء الأرض قسطاً وعدلاً

كانت رغبة شديدة ليست في الأبناء فحسب وإنَّما في أبيهم. حتَّى رغبته بالخلاص ورغبته بالفرج، ورغبته في أن يأتي اليوم الموعود الَّذي يملأ الأرض أسمى القيم، وأرفع الأعراف، وأنقى النُّفوس، وأصدق الإيمان.

رغبة في أن تخلع البشرية عنها لباس المهانة ودليل التخلف والوحشية، وتزيل عن جسدها أدران النفعية والأنا وظلم النَّاس.

ولهذا فقد تمت الجلسة مبكرة بعض الشيء عن الأيَّام السابقة، وبتمامها قال الأب محمد محدثاً أبناءه: سيكون حديثنا اليوم عن العلامات التي من خلالها نستدل على ظهور الإمام عليه السلام، أو أوان ظهوره الذي طالما اشتقنا له، وذلك لإيماننا بكونه حكم الله جلَّ جلاله وقضاءه، وما دام كذلك فلا بدَّ من حدوثه.

ولكي يحدث فقد قضى الله تعالىٰ أن تسبقه علامات ودلائل.

فقال الابن الأكبر: ذكرت لنا يا أبي إنَّ وقت ظهور الإمام الحجَّة عليه السلام قد اختصَّ الله تعالىٰ نفسه به، ولم يعلم أحداً عنه.

فقال الأب: بالضبط يا بني.

قال الابن الأكبر: فإن حدثت العلائم التي قضى الله أن تسبق ظهور الإمام عليه السلام فهل يكون حينها معرفة ساعة ظهوره عليه السلام؟

فقال الأب: لا يا ولدي، إنَّ ساعة ظهور الإمام عليه السلام كيوم الساعة لا تكون إلاَّ بغتة، وهذا ما صرَّح به المصطفىٰ الحبيب محمَّد صلى الله عليه وآله حينما سئل: متى يخرج القائم من ذريتك؟

فقال صلى الله عليه وآله: مثله مثل الساعة، لا يجليها لوقتها إلاَّ هو، ثقلت في السَّموٰات والأرض، لا يأيتكم إلاَّ بغتة[1].

وقال صلى الله عليه وآله في حديث آخر: المهدي من ولدي، اسمه اسمي، وكنيته كنيتي، أشبه النَّاس بي خَلقاً وخُلقاً، تكون له غيبة وحيرة، تضل فيها الأُمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب، ويملأها عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً[2].

ثم قال الأب: أمَّا علائم ظهوره عليه السلام فهي الَّتي نستدل من خلالها على قرب ظهوره عليه السلام، وأوان وقته، وحصول الفرج من خلاله.

فقال الابن الأكبر: وهل علامات ظهور الإمام عليه السلام ثابتة لا تتغير يا أبي؟

فقال الأب: من علامات ظهوره عليه السلام ما هو حتمي واجب الوقوع، قضاه الله تعالىٰ، ومنها ما هو غير حتمي يشمله الإثبات والمحو الإلٰهي، ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾.

---

(١) البحار: ج٥٤، ص١٥٤، عن إكمال الدِّين. وعيون أخبار الرِّضا.
(٢) البحار: ج٥١، ص٧٢.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: وإلى ذلك أشارت أحاديث آل البيت النبوي الأطهار، كما في حديث الإمام أبي جعفر عليه السلام حيث قال: إنَّ من الأُمور أُموراً موقوفة، وأُموراً محتومة، وأنَّ السفياني من المحتوم الذي لا بدَّ منه[1].

وفي حديث آخر قال أبو عبد الله عليه السلام كما روي عن معلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من الأمر محتوم، ومنه ما ليس محتوم، ومن المحتوم خروج السفياني[2].

الابن الأكبر: أوضح لي يا أبي ماذا يعني بالمحتوم وغير المحتوم؟

الأب: سبق أن أوضحت لكم يا بني أنَّ الأمر المحتوم هو الأمر الَّذي لله تعالىٰ فيه مشيئة وقد قضاه الله تعالىٰ، فهو بذلك واجب الوقوع حتماً.

أمَّا الأمر غير المحتوم وقد يسمى الموقوف فهو الأمر الَّذي لا يجب حدوثه وقد يمحوه الله تعالىٰ لحكمة منه جلَّ جلاله وقد يثبته ويجريه، وباختصار فهو الأمر الَّذي لم يقضه الله تعالىٰ، وإلى ذلك تسير الآية الكريمة: ﴿ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾، فالأجل الَّذي قضاه الله تعالىٰ يعد أجلاً محتوماً، أمَّا الأجل المسمى فهو الأجل الغير محتوم.

ثم قال الأب: وممَّا يروى أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عشر قبل قيام الساعة لابدَّ

---

(١) غيبة النعماني: ص٢٨٢، و٣٠١، عن الفضيل بن يسار.
(٢) نفس المصدر السابق: ص٣٠٠.

منها: السفياني والدجال والدخان والدابة وخروج القائم وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسىٰ عليه السلام، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من مقر عدن تسوق النَّاس إلى المحشر[1].

الابن الأكبر: وهل وردت هذه العلامات المحتومة في أحاديث أئمة أهل البيت الأطهار يا أبي؟

الأب: يروى عن أسباط قال: قال أبو الحسن عليه السلام: أنَّ أمر القائم حتم من الله، وأمر السفياني حتم من الله، ولا يكون قائم إلاَّ بسفياني[2].

وعن حمران بن أعين قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من المحتوم الذي لابدَّ أن يكون قبل قيام القائم: خروج السفياني، وخسف بالبيداء، وقتل النفس الزكية، والمنادي من السَّماء[3].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: ومن حديث للإمام الصَّادق جعفر بن محمد عليه السلام قال فيه:

«قبل قيام القائم خمس علامات محتومات: اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء»[4].

فقال الابن الأكبر: هل بالإمكان يا أبي أن تحدثنا عن كل واحدة من هذه العلائم ولو باختصار.

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٢٠٩. وغيبة الطوسي: ص٢٦٧.
(٢) البحار: ج٥٢، ص١٨٢.
(٣) غيبة النعماني: ص٢٦٤. ومنتخب الأثر: ص٤٥٥.
(٤) البحار: ج٥٢، ص٢٠٤، عن إكمال الدِّين.

فقال الأب: نعم يا ولدي، سأحاول الحديث عن أغلب الأسماء التي ذكرت سواء في حديث النبي ﷺ أو آل بيته الأطهار.

اليماني:

يخرج بجيش من اليمن، متجهاً به نحو العراق، قاصداً بذلك رد السفياني عن غزو العراق، وقد ذكره الإمام الصَّادق عليه السلام بحديثه الذي قال فيه: خروج الثلاثة: الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، وليس فيها راية بأهدى من راية اليماني، يهدي إلى الحق[1].

السفياني:

رجل من نسل بني أمية، ويُقال أنَّه يخرج من بلاد الشام بجيش يريد به غزو العراق، فيقف بوجهه قائدين هما الأصهب والأبقع، يرفضان خروجه، وقد ذكر ذلك الإمام الباقر عليه السلام في حديث له قال عليه السلام فيه: فأول أرض تخرب أرض الشام، يختلفون عند ذلك على ثلاث رايات، راية الأصهب، وراية الأبقع، وراية السفياني، فيلتقي السفياني بالأبقع فيقتتلون، ويقتله السفياني ومن معه، ويقتل الأصهب[2].

وتدوم الحرب خمسة أشهر، ويدوم حكمه على الشام تسعة أشهر، ويظهر بعدها الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، وقد وردت مدَّة حكمه هذه في حديث للإمام الصَّادق عليه السلام حيث قال فيه:

إنَّ السفياني يملك بعد ظهوره على الكور الخمس حمل امرأة[3].

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٢١٠، عن غيبة الطوسي.
(٢) البحار: ج٥٢، ص٢٣٧، عن غيبة النعماني.
(٣) البحار: ج٥٢، ص٢١٥، عن غيبة الطوسي.

فقال الابن الأكبر: وهل ورد للسفياني اسم صريح يا أبي؟

الأب: نعم يا ولدي، اسمه الصريح كما روي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام، هو عثمان بن عنبسه، ويحمل وجهاً قبيحاً وفيه أثر الجدري.

فقال الابن الأكبر: وما قال الإمام علي عليه السلام فيه يا أبي؟

الأب: قال عليه السلام عن السفياني: هو رجل ربعة، وحش الوجه، ضخم الهامة، بوجهه أثر الجدري، إذا رأيته حسبته أعور، اسمه عثمان، وأبوه عنبسه، وهو من ولد أبي سفيان[1].

الدجال: وهو صايد بن الصيد، يخرج من بلدة أصفهان، وهو الَّذي يُقال له السفياني، خروجه يكون من قرية تعرف باليهودية، تحدث عنه أمير المؤمنين عليه السلام حينما سئل عنه.

فقال الابن الأكبر: وماذا قال أمير المؤمنين عليه السلام عنه يا أبي؟

فقال الأب: يروى أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب خطبة يوماً، فحمد الله تعالىٰ وأثنىٰ عليه، ثم قال: سلوني أيُّها النَّاس قبل أن تفقدوني (قالها ثلاثاً).

فسأله النَّاس عن بعض ما يهمهم معرفته، وكان من بين من سأله: الأصبغ بننباته فقال: يا أمير المؤمنين، من الدجال؟

فقال عليه السلام: إلاَّ أنَّ الدجال: صايد بن الصيد، فالشقي من صدقه، والسعيد من كذبه، يخرج من بلدة يُقال لها أصفهان (أصبهان)، من قرية تعرف باليهودية، عينه اليمنى ممسوحة،

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٢٠٥، عن إكمال الدِّين.

والأخرى في جبهته، تضيىء كأنها كوكب الصبح، فيها علقة، كأنَّها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب كافر، يقرأه كل كاتب وأمي، يخوض البحار، وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض، يرى النَّاس أنَّه طعام، يخرج في قحط شديد، تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوى له الأرض منهلاً منهلاً، لا يمر بماء إلاَّ غار إلى يوم القيامة، ينادي بأعلى صوته، يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين، يقول: إليَّ أوليائي، أنا الذي خلق فسوى، وقدر فهدىٰ، أنا ربكم الأعلى.

كذب عدو الله، إنَّه الأعور، يطعم الطعام، ويمشي في الأسواق، وأن ربكم ليس بأعور، ولا يطعم، ولا يمشي، ولا يزول.

ألا وإنَّ أكثر أشياعه يومئذٍ أولاد الزنا، وأصحاب الطيالسة الخضر، يقتله الله بالشام، على عقبة تعرف بعقبة افيق، لثلاث ساعات من يوم الجمعة، على يد من يصلي المسيح عيسى بن مريم خلفه.

الدابة:

ثم قال عليه السلام في خطبته: إلاَّ أنَّ بعد ذلك الطامة الكبرى.

قالوا: وما ذلك يا أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال عليه السلام: خروج الدابة: من عند الصفا، معها خاتم سليمان، وعصىٰ موسىٰ، تضع الخاتم على وجه كل مؤمن، فيطبع فيه هذا مؤمن حقاً، وتضعه على وجه كل كافر، فتكتب فيه هذا كافر حقاً، حتَّى أنَّ المؤمن لينادي: الويل لك يا كافر، وأنَّ الكافر ينادي: طوبىٰ لك يا مؤمن، وددت اليوم أني مثلك، فأفوز فوزاً عظيماً.

ثم ترفع الدابة رأسها، فيراها من بين الخافقين، بإذن الله عزَّ وجلَّ، بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل، ولا عمل يرفع، ولا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً.

ذو النفس الزكية:

يروى أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال في وصف مقتل ذي النفس الزكية:

«قتل نفس حرام، في يوم حرام، في بلد حرام، عن قوم من قريش، والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما لهم ملك بعده غير خمسة عشر ليلة»[1].

وممَّا يروى أنَّ النفس الزكية رجل هاشمي من أتباع الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، عندما يأتي أمر الله تعالى في الفرج بظهور الإمام الحجَّة القائم عليه السلام، يظهر ظهوراً أولياً يجمع به أنصاره ومواليه، فيبعث السفياني بجيش منه إلى المدينة المنورة، وقبل وصول جيشه للمدينة يبعث الإمام المهدي عليه السلام بالنفس الزكية إلى مكة المكرمة لدعوة النَّاس في نصرة الإمام المنتظر عليه السلام، إلاَّ أنَّهم لم يكتفوا بالرفض بل يقدموا على قتل النفس الزكية داخل الحرم المكي، فيذبحونه صبراً بين الركن والمقام، وبعد مقتله بخمسة عشر يوماً يكون الظهور الحقيقي والكامل للإمام عليه السلام، وبذلك تكون مكة والمدينة في حكمه.

فقال الابن الأكبر: وهل كان بين جيش السفياني وأنصار الإمام المنتظر عليه السلام قتال يا أبي؟

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٢٣٤، عن غيبة النعماني.

فقال الأب:

الخسف بالبيداء:

من مشيئة الله تعالىٰ وحكمته وقضاءه أن ينتصر الإمام المهدي عليه السلام كي يزهق الباطل ويقيم الحق في أرض الله الواسعة، ولكون ظهوره عليه السلام في بدايته، لم يكن ليتحقق النصر إلاَّ بعون من الله تعالىٰ، ولذلك حينما يقدم جيش السفياني على المدينة المنورة، يرتحل الإمام عليه السلام منها قاصداً مكة المكرمة، فيعلم بذلك قائد جيش السفياني فيبعث جيشاً وراءه كي يدركه، وبينما الجيش بالبيداء، فإذا بمنادٍ من السَّماء: يا بيداء أبيدي القوم، فيخسف بهم[1].

فقال الابن الأكبر: وهل هذا النداء هو الَّذي يسمى بالصيحة في السَّماء يا أبي؟

قال الأب: لا يا ولدي.

الصيحة في السَّماء:

هي صوت عظيم يحدث في السَّماء فجر ليلة القدر الثالث والعشرين من شهر رمضان، ويكون والغيبة للإمام المنتظر عليه السلام لم يزل، يسمع هذا الصوت كل أهل لغة بلغتهم، ينادي باسم القائم واسم أبيه عليه السلام، ويعقبه ظهور الإمام الحجَّة المنتظر بن الحسن العسكري عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: وهل جاء في ذلك أحاديث يا أبي؟

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٢٣٨، عن غيبة النعماني.

الأب: نعم يا ولدي، فقد روي عن الإمام الصَّادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: الصيحة التي في شهر رمضان تكون ليلة الجمعة، لثلاث وعشرين مضين من شهر رمضان[1].

وفي حديث آخر للإمام الصَّادق عليه السلام قال: ينادي منادٍ باسم القائم.

فقيل للإمام عليه السلام: خاص أم عام؟

قال عليه السلام: عام، يسمعه كل قوم بلسانهم.

فقيل: فمن يخالف القائم وقد نودي باسمه؟

فقال الإمام الصَّادق عليه السلام: لا يدعهم إبليس حتَّى ينادي في آخر اللَّيل، فيشكك النَّاس[2].

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: وممَّا يروى يا أبنائي أنَّ الإمام السَّجاد علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: إذا قام قائمنا أذهب الله عزَّوجلَّ عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد، وجعل قوَّة الرجل منهم قوَّة أربعين رجلاً، ويكونون حكَّام الأرض وسنامها[3].

وعن أبي حمزة الثمالي قال: قال أبو جعفر عليه السلام: كأني أنظر إلى القائم، وقد ظهر على نجف الكوفة، فإذا ظهر على النجف نشر راية رسول الله صلى الله عليه وآله، عمودها من عمد عرش الله تعالىٰ، وسائرها من نصر الله جلَّ جلاله، لا يهوى بها على أحد إلاَّ أهلكه الله عزَّ وجلَّ.

---

(١) البحار: ج٥٢، ص٢٠٤، عن إكمال الدِّين.
(٢) البحار: ج٥٢، ص٢٠٥، عن إكمال الدِّين.
(٣) جلاء العيون: ج٣، ص١٩١.

قال أبو حمزة: قلت: تكون معه أو يؤتى بها؟ قال عليه السلام: بل يؤتى بها، يأتيه جبرئيل عليه السلام[1].

قال الابن الأكبر: وهل هناك علامات غير ما ذكرت يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي وهي كما أوضحت منها ما هو محتوم ومنها ما هو غير محتوم،وكان أمير المؤمنين علي عليه السلام قد تحدث عن كثير منها جواباً على سؤال تقدم به صعصعة بن صوحان العبدي حيث قال في سؤاله: يا أمير المؤمنين، متى يخرج الدجال؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: اقعد، لقد سمع الله كلامك، وعلم ما أردت، والله، ما المسؤول عنه بأعلم من السائل، ولكن.. لذلك علامات وهنات يتبع بعضها بعضاً، كحذو النعل بالنعل، وإن شئت أنبأتك بها.

فقال صعصعة: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال الإمام عليه السلام: إذا أمات النَّاس الصلاة، وأضاعوا الأمانة، واستحلوا الكذب، وأكلوا الربا، وأخذوا الرشا، وشيدوا البنيان، وباعوا الدِّين بالدُّنيا، واستعملوا السفهاء، وشاوروا النِّساء، وقطعوا الأرحام، واتبعوا الأهواء، واستخفوا بالدِّماء، وكان الحلم ضعفاً، والظلم فخراً، وكانت الأمراء فجرة، والوزراء ظلمة، والعرفاء خونة، والقراء فسقة، وظهرت شهادات الزور، واستعمل الفجور، وقول البهتان، والإثم والطغيان، وحليت المصاحف، وزخرفت المساجد، وطولت المنابر، وأكرم الأشرار، وازدحمت الصفوف، واختلفت الأهواء، ونقضت العقود، واقترب الموعود، وشارك النِّساء

---

(١) جلاء العيون: ج٣، ص١٩٣.

أزواجهنَّ في التجارة حرصاً على الدُّنيا، وعلت أصوات الفساق واستمع منهم، وكان زعيم القوم أرذلهم، واتقي الفاجر مخافة شره، وصدق الكاذب وأتمن، واتخذ القيان والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، وركب ذات الفروج السروج، وتشبه النِّساء بالرِّجال، والرِّجال بالنِّساء، وشهد الشاهد من غير أن يشهد، وشهد الآخر قضاء الذمام بغير حق عرفه، وتفقه لغير الدِّين، وآثر عمل الدُّنيا على الآخرة، ولبسوا جلود الظأن على قلوب الذئاب وقلوبهم أنتن من الجيف، وأمر من الصبر، فعند ذلك الوحا الوحا، العجل العجل، خير المساكن يومئذٍ بيت المقدس، ليأتين على النَّاس زمان يتمنى أحدهم أنَّه من سكانه.

فقال الابن الأكبر لأبيه: أرى يا أبي أنَّ أكثر هذه الخصال موجودة فعلاً في الكثيرين من النَّاس في وقتنا الحاضر هذا، أترى أنَّ الإمام الحجَّة عليه السلام قريب عهد ظهوره.

فقال الأب: نعم يا ولدي، أنَّ كثيراً من هذه العلامات قد وقعت فعلاً في زماننا هذا، وهي إن استمرت وتحقق غيرها من العلامات فهذا يعني أنَّ الفرج قريب إن شاء الله تعالىٰ.

فقال الابن الأكبر بألم واضح: كم ابتعد المسلمون عن النهج القويم الذي رسمه لهم دينهم الحنيف، وكم من قيم سامية حثهم الإسلام على التزامها والتحلي بها وضعوها وراء ظهورهم دون أسف عليها أو حسرة، وكم... وكم... وكم...

فقال الأب والألم والحسرة بادية على نبرات صوته: وكم يا أبنائي سيبتعد النَّاس عن النهج القويم من الآن حتى يحين الفرج بظهور الإمام المنتظر عليه السلام، وكم ستمحى من قيم ارتضاها الله تعالىٰ لعباده.. وكم... وكم... وكم يا ولدي.

وهنا أطرق الأبناء إلى الأرض وكأنَّهم حولوا تلك الكلمات إلى واقع تخلق النَّاس به، فراعهم ذلك المنظر.. وأتعبهم، وكأنَّ سحابة من الظلام قد شملت كل زوايا نفوسهم، وخوف أخذ بأطرافها، فتراءت لهم أشخاصهم كالورقة تتلاعب بها رياح صفراء تهب من سلوكيات من حولهم... لهم الحق في أن يسيطر عليهم خوف شديد، وذلك لكونهم جزء من مجتمع كبير، وحرصهم على صلاحه واستقامته أمنية كل خير يرى في نفسه مسؤولاً مسؤولية تضامنية مع غيره من أفراد ذلك المجتمع...

لم يترك الأب أبناءه فترة طويلة مع أفكارهم، فهو يخاف أن يكون تأثير ذلك عكسياً مع رغبته في تربيتهم وتقويمهم، ولذلك خاطبهم بقوله: اعلموا يا أبنائي، إنَّ حرص الفرد على تثبيت تعاليم الإسلام في نفسه ونفوس من حوله من النَّاس يعد جهاداً في سبيل الله تعالىٰ، وفي سبيل القيم التي جاء بها هذا الدِّين الَّذي ما عرف النَّاس أقوم ولا أصلح منه من بين ما عرف في هذه الأرض من أديان سماوية، وفكر جاء بها من دفعته معتقداته في تطوير وتقدم مجتمعه.

ثم قال الأب متابعاً حديثه: لقد وصف أمير المؤمنين عليه السلام الجهاد بكونه باب من أبواب الجنَّة فتحه الله لخاصة أوليائه...

ولا نهاية للمسلم تعدل النهاية الَّتي يكون فيها مجاهداً في سبيل الله، وما بقاء المسلم محافظاً على تعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه إلاَّ جهاداً في سبيل الله، وعلينا أن نكون كذلك مهما كان الطريق صعباً وشائكاً، ونسأل الله تعالىٰ أن يعيننا على أنفسنا، ويعيذنا من الشَّيطان الرجيم، إنَّ الله نعم المولىٰ، ونعم المعين.

ثم نهض الأب مودعاً أبناءه، ومتمنياً لهم ليلة سعيدة هانئة.

اليوم السابع

المسلم والإيمان

اجتمع الأب محمد بأبنائه كما هو الحال في الأيام السابقة، ولم يكن الأب قد وعدهم يوم أمس بالحديث عن شيء معين أو موضوع محدد، ولا الأبناء كانوا قد طلبوا ذلك من أبيهم، ولهذا نرى الأب لم يبدأ الحديث معهم حينما تمَّ اجتماعهم، وإنَّما أطرق برأسه إلى الأرض يبحث عن موضوع محدد ليتحدث به أو عنه، وبينما هو كذلك إذ قال الابن الأكبر لأبيه: هناك شيئاً أود أخذ رأيك فيه يا أبي وقد شغلني.

فقال الأب: وما هو يا ولدي؟

قال الابن الأكبر: أنَّ من الأُمور التي يقرها العقل هي أنَّ أي جماعة تعتنق فكراً معيناً يكونوا في بدايتهم أقلية ضعفاء، وكلَّما يمضي زمان على فكرهم يتزايد عددهم ممَّا يجعلهم أكثر قوَّة وصلابة وهكذا حتى يكونوا أكثر منعة على مرِّ الزَّمان، وكلَّما كان الفكر سليماً كلَّما ازداد معتنقيه قوَّة على مرِّ السنين، في حين أرى ذلك غير حاصل بالنسبة للإسلام على الرغم من كونه ديناً سماوياً يحمل فكراً لم يكن ليحمله أي دين سماوي غيره، ناهيك عن غيرها من

الأفكار، والذي أرغب في استعلامه منك يا أبي هو: ما سبب ذلك؟ هل هو الفكر الإسلامي؟ أم الذين حملوا هذا الفكر؟

وهنا استوى الأب في جلسته، وركز اهتمامه كله في حديث ابنه الكبير، وحينما فعل ذلك لم يبدأ الحديث، وإنَّما بدأ بصمت هو في حقيقة أمره استسلام للفكر وهو يجول في الرأس يبحث عن جواب يكون أكثر دقة من غيره، وبالتالي ليكون أكثر نفعاً لأبنائه، ولم يدم ذلك طويلاف وإنَّما هي بضع دقائق لا يتجاوز الثلاثة، قال الأب:

قبل كل شيء يا ولدي يجب أن نعلم علم اليقين، أنَّ المشكلة في كل هذا الضعف الذي نحن به ليس الإسلام كفكر أو دين سماوي، وإنَّما هي في المسلمين الذين يفترض أن يتخلقوا بخلق الإسلام، ويعملوا بصدق على سيادة أحكامه وشرائعه كما سنَّها الله تعالى ورسوله الكريم محمَّد ﷺ.

أمَّا قولك أنَّ الإسلام يحمل فكراً لم يكن يحمله أي دين سماوي غيره، فهذا يحتاج منَّا إلى وقفة نناقش فيها الأمر مع أنفسنا، فالإسلام يا ولدي ديناً سماوياً، وكذلك الحال بالنسبة لغيره من الأديان السماوية، وما دام كذلك فالفكر واحد دون شك لأنَّ مصدرها الله جلَّ جلاله، ومن غير المعقول أن يكون تناقضاً فيما بينها، والمشكلة في الأمر أنَّ الأديان الَّتي سبقت الإسلام قد عمل رجال الدِّين فيها على تبديل وتغيير الكثير من الأحكام التي كان الله تعالى قد شرَّعها لهم، في حين ذلك لم يحصل بالنسبة لدين الإسلام لأنَّ الله جلَّت عظمته قد قضى على نفسه جلَّ جلاله أن يحفظ كتابه من أيِّ تغيير أو زيادة أو نقصان.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: وأمَّا بالنسبة لما نحن عليه من الضعف على الرغم من أنَّ المسلمين أكثر عدداً من غيرهم، وما داموا كذلك يفترض أن يكونوا أكثر قوَّة ومنعة، فهذا يعود لما عليه المسلمين من التفرقة والاختلاف، ولو كانوا غير ذلك لما كان بمقدور أي قوَّة في العالم في أن تسبب أذى لهم.

ثم قال الأب بعد قليل من الصمت: أنَّ من الأُمور التي هيأت الأسباب للاستعمار والصهيونية في أن تلحق الأذى بالمسلمين عامَّة، ما هم عليه من الفرقة والتشتت اللذان ساهما في ضعفهم، ولو بحثنا الأسباب التي جعلت منهم متفرقين كما هم عليه الآن، لوجدنا أنَّ منذ الأيام الأولى للإسلام، وبالتحديد منذ أن كان رسول الله ﷺ موجوداً بين المسلمين بالصفة التي شاء الله تعالى أن يصفه بها بقوله الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾، كان هناك من المسلمين من اتصف بالنفاق، وهذا ما لم يمكن نكرانه بأيِّ حال من الأحوال، لأنَّ الله جلَّت عظمته قد أعلن ذلك في كتابه الكريم، وكذلك أعلنه رسول الله ﷺ.

ومنذ تلك الأيام برزت شخصيات إسلامية التفت حولهم مجموعات من المسلمين كانوا معجبين بأدائهم، ومستأنسين لفكرهم الذي داعب بأيِّ شكل من الأشكال ما تسعى نفوسهم لتحقيقه، وهذا كما لا يخفى ليس بالغريب أن يحدث، لأنَّ من طبيعة الإنسان الميل إلى شبيهه أكثر من ميله إلى طرف يختلف عنه، وإن كان ممتازاً بفضائل تفوق ما يحمل غيره، إلاَّ إذا كان التزامه بقواعد الإسلام وأحكامه وشرائعه يفوق ميل نفسه وهواها، وهنا يتحتم جهاد النفس وكسر أهوائها، وهي كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ

ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، علماً أنَّ تحقيق النجاح في ذلك يتحدد بمقدار الإيمان الذي يحمله ذلك المجاهد.

ومنذ تلك الأيام، ولكون رسول الله ﷺ مكلفاً من قبل خالقه جلَّ جلاله في السعي بالأخذ بأيدي المسلمين إلى سلوك الطريق القويم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، فقد أولى ﷺ هذا الجانب اهتمامه، وعمل على إنهائه، معلناً للمسلمين أي طريق هو أولى لهم بالتزامه ونهجه، لكي يبلغوا جانب السلامة والأمان.

ولكون مبادىء الإسلام يرضاها العقل السليم، فقد دعت من بين ما دعت إليه أن لا جبر ولا تفويض وإنَّما هو أمر بين أمرين، ولأنَّ الإنسان هو مادة الإسلام، فقد توجب أن يُرشد إلى ما يرضاه الله تعالى، وما لا يرضاه، وما يجب على الإنسان فعله وانتهاجه وما لا يجب، ولذلك صار التكتل معلوم المعالم، وواضح الغايات، ومحسوب النتائج.

الابن الأكبر: وما دواعي تلك التكتلات يا أبي؟

الأب: منذ الجاهلية الأولى كان التعنصر للقبيلة أمراً امتاز به الكثير من النَّاس، وما أن جاء الإسلام حتى عمل على نبذ هذه الخصلة، وجعل من المسلمين إخوة لا تفرق بينهم الانتماءات القومية ولا القبلية، فمنهم من نزع من قلبه كل رواسب الجاهلية، ومنهم من بقي في داخله شيء منها، إضافة إلى أنَّ هناك غير ذلك من العقد النفسية التي أولدتها حياة الجاهلية كحب الذات والجاه والرفعة والمال وغيرها من الأُمور التي حكم الإسلام ببطلانها وأمر بعدم التخلق بها، ولأنَّ هوى النفس لدى البعض أشد تأثيراً، وأبلغ أثراً في اختيار السلوك، مال كل فرد إلى الجانب الذي يراه محققاً

لهواه، وحتى الذين هوت أنفسهم تعاليم الإسلام وشرائعه فقد مالوا إلى الجانب الذي يرون فيه إرضاء لما تهوى نفوسهم...

فقال الابن الأكبر: إذن من هنا بدأ الاختلاف يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي، من هنا وضعت البذرة الأولى للاختلاف، فمن اختار منهم الجانب الذي كان بعيداً عن تعاليم الإسلام فهو الذي يتحمل جانب المسؤولية في شق وحدة الأمة، وضعف ساعدها، وتشتت غاياتها، وخلق جيل شابه إلى حد ما جهال الأمة قبل الإسلام.

فقال الابن الأكبر: الاختلاف هذا بالتأكيد كان النبي ﷺ يتألم لحصوله بين المسلمين.

فقال الأب: ليس النبي ﷺ وحده من كان ذلك لا يرضيه، فمن قول الله جلَّ جلاله في كتابه العزيز: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾، وتكذيب الرَّسول ﷺ يا ولدي ليس بالضرورة إنكار نبوَّته، وإنَّما حتى تكذيب ما كان ﷺ يتحدث به أو بعضه، لأنَّ إنكار الجزء يعد إنكاراً للكلّ، كما هو الحال بالنسبة لكتاب الله تعالى فالكفر ببعضه كالكفر به جميعاً.

ترى أي نتيجة سيصلها كل رافض للحق والعدل والهداية...

هي بالتأكيد نتيجة مؤلمة ورهيبة، ولا أظن أنَّ أحداً من المسلمين لا يرى ذلك، ولهذا فالعقل يحار ويشل في معرفة دواعي هذا السلوك، أهي من أجل دنياً لم تدم لأحد، أم من أجل نعيم زائل لا محال، ومهما تكن الأسباب والدواعي، فهي غير معقولة إذا ما قورنت بالنتائج، ولا يرضاها العقل إذا ما قوبلت برضا الله سبحانه وتعالى...

ترى أي اختيار اختاره العبد لنفسه حين سلك الاختلاف والفرقة، أتراه قد غاب عن باله أنَّ كل نفس بما فعلت رهينة، وأنَّ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، وأنَّ الناس ستعرض يوماً على حاكم عادل.

فإن قلنا إنَّ اللائمة في ذلك تقع على الشيطان الرجيم، فهذا وارد كمسبب لفعل المنكر، أمَّا الانقياد وعمل المنكر فهو من مسؤولية العبد، لأنَّ الله تعالى ورسوله الكريم حذرهم بقوله: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، فأين الحذر من الشيطان، وأين موقف العقل من الخروج عن النهج السليم، أما من خلوة يختلي الإنسان بها مع نفسه محاسباً ومراجعاً لكل ما بدر منه ليتعرف من خلالها على صفو ذلك من كدره، فإن كان الادعاء أنَّ انشغاله بهوى نفسه قد منعه من أن يميز بين الصالح والطالح، فإنَّ هذا غير مقبول أصلاً، اللَّهمَّ إلاَّ أن يكون على غير نهج الإسلام، لأنَّ هذا وحده من لا يمر بخلده محاسبة نفسه على ما بدر منه وما سبب من أذى للإسلام والمسلمين، بل بالعكس تراه مستأنساً بما فعل، أمَّا إن كان مسلماً فلابدَّ من أن يكون راجياً رحمة ربه ورضاه، وما دام كذلك فهو قلق بعد كل عمل يشك في نتائجه وملائمته لتعاليم الإسلام، ولذلك تراه لا يفتر عن محاسبة نفسه مقلباً هذا الفعل، ومحللاً لتلك النتائج، ومن يفعل ذلك وهو صادق لابدَّ وأن يهديه الله سواء السبيل، لأنَّ الله جلَّت عظمته ودامت رحمته قد قضى على نفسه ذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

ثم قال الأب: أمَّا إن قلنا إنَّ المسلمين ليسوا على درجة واحدة من العلم والمعرفة والعقل، وإنَّ كثيراً منهم من لم يكونوا على بيِّنة ممَّا ورد عن رسول الله ﷺ من أحاديث، وحتى إن كانوا

على بيِّنة من الأحاديث، فإنَّ الكثير منها ما كان موضوعاً أو متقى على رسول الله ﷺ، وبذلك تكون قد شوهت كثيراً من الحقائق، وغيرت العديد من الأحكام.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: من خلال هذا القول يمكن تحديد المسؤولية، وإن كانت تتفاوت من شخصٍ لآخر، فالمسلم قد أوجب عليه الإسلام أن يتعلم ويبحث لكي يتسنى له اختيار الطريق الأسلم بمعونة العقل الذي وهبه الله تعالى إيَّاه، لأنَّه بغير ذلك لا يتجرد عن المسؤولية، إضافة إلى أنَّ هناك مسؤولية تقع على عاتق حملة العلم، إذ يتوجب عليهم إصلاح النَّاس ودعوتهم إلى سلوك الطريق الأمثل، وإلاَّ فما فائدة العلم إذا لم ينتفع منه، والانتفاع هنا لا يعني انتفاع العالم بعلمه وحده، وإنَّما انتفاع المسلمون بذلك العلم.

أمَّا بالنسبة للأحاديث المفتراة والموضوعة، وهي ما اتفق علماء المسلمين على وجودها، فذلك يحتاج منَّا إلى وقفة، نتعرف من خلالها على من هو المسؤول عن تمييز مثل هذه الأحاديث وإفرازها لكي نقي المسلمين من تناولها والعمل بموجبها.

فقال الابن الأكبر: أرى يا أبي إنَّ مثل هذه الأحاديث إن فرزت، سيكون ذلك سبباً في إنهاء الاختلاف الحاصل بين المسلمين.

فقال الأب: نعم يا ولدي، فهي التي روجت الاختلاف، وهي التي دعمته.

قال الابن الأكبر: فمن تراه يا أبي مسؤولاً مسؤولية شرعية في إفرازها؟

الأب: علماء المسلمين يا ولدي هم من يقودوا النَّاس ويرشدوهم للعمل وفق تعاليم الإسلام، وعليهم تقع المسؤولية في

فرز الأحاديث الموضوعة والمفتراة، علماً أنَّهم إن فعلوا ذلك ينالوا جزاءً كبيراً وثواباً عظيماً.

فقال الابن الأكبر: وكيف يتسنى لهم ذلك وهم مختلفين يرى بعضهم أنَّ حديثاً صحيحاً ويراه الآخرون أنَّه غير صحيح أو ضعيف أو حتَّى فمترىٰ.

فقال الأب: هناك أحاديث عديدة متفق على صحتها عند كل المسلمين، ولدينا كتاب الله جلَّ جلاله، ثم لدينا ما دون التاريخ من السنَّة ما هو متفق عليه، فكل حديث لا يتلائم مع ما ذكرنا ولا ينسجم فهو موضوع بالتأكيد.

فقال الابن الأكبر: هل بإمكانك ذكر مثال على ذلك يا أبي؟

الأب: هناك أمثلة عديدة يمكن أن نذكرها كدليل، إلاَّ أنني سأختار ما هو واقع فعلاً وان كان قد كُذب من قبل البعض من أساسه، ألا وهو أحاديث المصطفىٰ محمَّد ﷺ بخصوص المهدي من آل محمَّد عليهم السلام، وهي متفق على صحتها بدليل ذكرها في كثير من كتب التاريخ والأحاديث المعتمدة لدى المسلمين، كقوله ﷺ:

المهدي منَّا أهل البيت[1].

وقوله ﷺ أيضاً: المهدي من ولد فاطمة عليها السلام[2].

وقوله ﷺ: لا تذهب الدُّنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي[3]، وغيرها الكثير من الأحاديث.

---

(١) سنن ابن ماجه: ج٢، الحديث رقم ٤٠٨٥.
(٢) سنن ابن ماجه: ج٢، الحديث رقم ٤٠٨٦.
(٣) صحيح الترمذي: ج٩، ص٧٤.

وفي حين نرى البعض لا يأخذ بها، ولا يقول بصحتها، بل وأنَّ البعض ينفيها من أساسها ويكذبها، بناءً على ذلك قالوا: اخترع الشيعة فكرة المهدي لكثرة ما لاقوه وعانوه من العسف والجور، فسلُّوا أنفسهم ومنوها بالمهدي الذي يملأ الأرض عدلاً وينصفهم من الظالمين والمجرمين.

وهناك آخرون غيرهم تمسكوا بالحديث القائل: إنَّ هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، فراحوا يبحثون في اثنا عشر خليفة الذين ذكرهم رسول الله ﷺ، وجعلوا من بينهم على سبيل المثال بني أمية، وأخص بالذكر منهم معاوية ويزيد ومروان، وعدوهم من الذين أقر النبي ﷺ بخلافتهم على المسلمين، وحاروا فيمن يكون الثاني عشر الذي يفترض أن يكون هو القائم، ووضعوا جانباً قوله ﷺ: المهدي منَّا أهل البيت، بل وضعوا جانباً قوله ﷺ: المهدي من ولد فاطمة عليها السلام.

وهناك الكثير الكثير من هذه السلوكيات التي شوهت معالم الكثير من الأحكام الإسلامية التي أمر الله تعالى في أن تكون هي القواعد لهذا الدِّين، وهناك الكثير من الأحاديث التي دعمت هذه السلوكيات ووضعت ولُفقت على النبي ﷺ من قبل أُناس مغرضين حاقدين نفعيين لا تمنعهم حرمة، ولا تردعهم مخافة.

فقال الابن الأكبر: اذكر لنا أمثلة لذلك غير ما ذكرت يا أبي.

فقال الأب: اعلم يا ولدي، أني أتحاشا من ذكر مثل هذه الأحاديث، لأني أعلم أنَّ هناك من سيطعن فيَّ ويعتبرني مغالياً، هذا إذا لم يعتبرني رافضياً كافراً، وأني أقول صادقاً: إن على كل مسلم يسعى لنيل رضا الله تعالى والفوز بالجنَّة، أن يراجع الأحاديث

النبوية، وبالتأكيد سيجد فيها الكثير الذي يناقض بعضه بعضاً، وحاشا لرسول الله ﷺ أن يكون منه ذلك، وإنَّما هو فعل المغرضين والحاقدين، وإنَّ على كل مسلم أن يُحكم كتاب الله وسنَّة نبيه الكريم ﷺ والعقل السوي المحايد، ليصل إلى الحقيقة التي شُوهت وأُخفيت معالمها، لا لشيء إلاَّ ليتبين الحقيقة ويُستوضح الطريق القويم الذي يسلكه كل من آمن بالله واليوم الآخر وبرسالة محمَّد ﷺ، لأنَّ حديث رسول الله ﷺ الصحيح والثابت، هو في وجوب الالتزام به، كالقرآن الكريم، وأن كل راد أو معترض أو مكذب لما ورد عن النبي ﷺ، يعد راداً أو معترضاً أو مُكذباً لما ورد في كتاب الله تعالى، وذلك لكون النبي ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.

ثم قال الأب: كل المسلمين تؤمن أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله وصفيه، وأنَّ النبي ﷺ جاء بتعاليم ومبادىء من عند الله تعالى، وهي التي شاء الله جلَّ جلاله أن تكون أحكاماً وسنناً لدينه الحنيف، إلاَّ أنَّ الظروف التي حدثت هي التي أدَّت إلى حصول الاختلاف بين المسلمين، ولكي ينقذ المسلم نفسه ويقيها العذاب عليه أن يراجع نفسه في كل ماتعلمه من آبائه وأجداده، وأن لا يكتفي بالقول: وجدنا عليه آباءنا وأجدادنا وإنا على نهجهم سائرون، بل يحاول تصحيح كل ما يراه غير صحيح من خلال اعتماده كتاب الله وسنَّة نبيه الكريم ﷺ مستعيناً بالعقل الذي وهبه الله تعالى إيَّاه، فبهذا الأسلوب وحده يمكن أن يميز الحق والعدل والصلاح، بعيداً عن الأهواء والمصالح الدنيوية التي لا تغني ولا تشبع في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاَّ من أتى الله بقلبٍ سليم، والله الموفق أولاً وآخراً، والحمد لله رب العالمين.

اليوم الثامن

بشارة عيسى (ع) بالمهدي (ع)

كان يوماً طويلاً ومملاً على الأبناء، حيث ظنوا أنَّ حديث أبيهم عن الإمام المهدي عليه السلام قد انتهى منذ يوم أمس، وهذا يعني أنَّ بعده ستمر عليهم أيَّام دون حديث من أبيهم إلى أن يحين وقت يرد فيه موضوع يجد أبيهم فيه سبباً للحديث أو هم يجعلوا منه سبباً لدعوة أبيهم في التحدث عنه.

راح الأبناء خلال هذا اليوم يبحث كل منهم عن شيء ينسيه ما يشعر به من الملل ولكن دون جدوى، فنفوسهم غير مستقرة يتنقلون هنا وهناك، حتى واجباتهم المدرسية التي اعتادوا تحضيرها خلال النهار، لم يقدموا على تحضيرها، والكبير بدأ بتحضيرها فعلاً لكن سرعان ما ترك كل شيء.

وهكذا كان حالهم خلال ذلك النهار، وما أن حل المغرب، وإذا بالأب داخل على أسرته مبكراً بعض الشيء، فحيّا أبناءه وحيّوه، وتقدمهم وتبعوه، واستقر بمجلسه والتفوا حوله، وحينما سألهم عن أحوالهم وواجباتهم، اعلموه أنَّهم لم يكملوا شيئاً منها، فاستغرب الأب من ردهم هذا، لأنَّه ما تعوده منهم، فسألهم عن

سبب ذلك فقالوا: نشعر يا أبي أنَّ شيئاً مهماً في حياتنا قد افتقدناه، فقال الأب وفي ووجهه علامات الاستغراب والحيرة: وما ذلك يا أبنائي؟

فقال الابن الأكبر: بنهاية أحاديثك لنا يا أبي سنشعر بفراغ وملل، وهذا ما حدث لنا هذا اليوم.

فقال الأب: ومن قال أنَّ حديثنا قد انتهى؟

فقال الابن الأكبر: لم يقل أحد ذلك، وإنَّما هو شعور انتابنا، وظن راودنا.

فقال الأب: لا يا ولدي، لم ننته من الحديث بعد.

ثم تابع الأب حديثه قائلاً: وعلى فرض أنَّنا انتهينا من الحديث عن الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام، ألا يمكننا أن نتحدث عن شيء آخر غيره، فديننا الحنيف ورجالاته تزخر بالمواضيع القيمة التي يمكننا الحديث عنها.

فرح الأبناء كثيراً من رد أبيهم، وتجدد في نفوسهم الأمل في اكتساب معارف يؤمنوا بكونها قيمة ونافعة، فما كان من الابن الأوسط إلاَّ أن قال: وما حديث هذا اليوم يا أبي؟

فقال الأب: حدثتكم كيف ورد في أحاديث النبي المصطفىٰ محمَّد صلى الله عليه وآله إعلام بغياب الإمام الثاني عشر من آل محمَّد عليه السلام عن الأنظار، وكذلك ما ورد في أحاديث أهل البيت النبوي الأطهار عليهم السلام، واليوم سنتحدث عن النبي عيسى بن مريم عليه السلام وهو ينبىء قومه وتابعيه بظهور نبي من بعده، وغيبة مصلح ثم ظهوره آخر الزَّمان فيكون سبباً في انتصار الحق على الباطل، وفي ذلك تكون النجاة والخلاص.

فقال الابن الأكبر: وهل كان ذلك من عيسى بن مريم يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي.

قال الابن الأوسط بلهفة شديدة للحديث: نعم يا أبي، حدثنا بذلك.

قال الأب: اعلموا يا أبنائي إنَّ من سنَّة الله تعالى أن يبشر كل نبي بالنبي الذي يأتي بعده وهكذا يفعل أوصياؤهم، أمَّا بالنسبة لرسول الله محمَّد ﷺ فقد بشَّر به الأنبياء أقوامهم منذ آدم عليه السلام وانتهاء بعيسى بن مريم، حيث جعل الله تعالى رسالته امتداداً لرسالة موسى عليه السلام وتمهيداً لرسالة محمد المصطفىٰ ﷺ، وتبشيراً به، وهذا ما أشار له القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾[1] من الآية الكريمة هذه نستدل أنَّ رسالة عيسى عليه السلام كانت امتداداً لرسالة موسى عليه السلام وإكمالاً لها كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، وكذلك قول عيسى عليه السلام: «لا تظنوا أني جئت لأبطل الشريعة أو الأنبياء، ما جئت لأبطل بل لأكمل»[2].

أمَّا بشارته عليه السلام بنبينا محمَّد ﷺ فقد وردت الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ٥٠.

(٢) إنجيل متى: ٥/١٧.

(٣) سورة الصف: الآية: ٦.

وقد ورد ذكر النبي ﷺ في الإنجيل بكونه المؤيد، وأنَّه سيأتي بعد عيسى عليه السلام: «أما الآن فإني ذاهب إلى الذي أرسلني... أنه خير لكم أن أذهب، فإن لم أذهب لا يأتيكم المؤيد، أمَّا إذا ذهبت فأرسله إليكم، وهو متى جاء أخزى العالم على الخطيئة والبر والدنيونة، لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكنَّكم لا تطيقون الآن حملها، فمتى جاء هو أرشدكم إلى الحق كله، لأنَّه لن يتكلم من عنده، بل يتكلَّم بما يسمع، ويخبركم بما سيحدث»[1].

ثم قال الأب: هكذا كان المسيح عيسى بن مريم يحدث الناس بظهور النبي محمد ﷺ، ويأمرهم باتباعه لأنَّ في ذلك الرشاد إلى الحق كله.

فقال الابن الأوسط: لقد ذكرت لنا يا أبي أنَّ عيسىٰ عليه السلام سيظهر في آخر الزَّمان، ويصلي خلف الإمام الحجَّة عليه السلام، فهل غاب كما غاب الإمام المنتظر عليه السلام، أم كيف يا أبي؟

فقال الأب: بعد وفاة موسى عليه السلام تصدر رجال الدِّين اليهود الوضع في بني إسرائيل، وهم إن كانوا قد ارتدوا مراراً في زمنه عليه السلام وهو بينهم فحري بهم أن لا يكونوا على نهجه بعد وفاته، وحينما كلَّف عيسى عليه السلام بالنُّبوَّة كانت ميزتهم الرياء وعدم التزام، وحينما لمس منهم عيسى عليه السلام ذلك حاول هدايتهم وإصلاحهم إلاَّ أنَّ ذلك لم يكن مجدياً معهم، فقال لهم يوماً: «لذلك أقول لكم، إنَّ ملكوت الله سينزع منكم ويعطى لأمة تثمر ثمره»[2] وقال عليه السلام

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٦/ ٥ و١٤.

(٢) إنجيل متى: ٢١/ ٤٦.

لهم أيضاً: «الويل لكم يا علماء الشريعة قد استوليتم على مفتاح المعرفة، فلم تدخلوا أنتم، والذين أرادوا الدخول منعتموهم»[1].

وحينما يأس عيسى عليه السلام من علماء اليهود أمر أتباعهم بتركهم والعمل على خلاص أنفسهم من العذاب يوم الآخرة، والدخول في ملكوت الله، وممَّا ذكر أنَّ «بعد اعتقال يوحنا، جاء يسوع إلى الجليل يعلن بشارة الله فيقول: حان الوقت، واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالبشارة»[2].

أي أنَّ بعد اعتقال يوحنا (يحيى عليه السلام) تحول عيسى إلى مدينة الجليل معلناً، أنَّ رحيله قد حان، وأنَّ الزَّمان قد اقترب من الساعة التي قضى الله تعالى فيها أن تكون الدولة التي تحكم بشريعة السَّماء، وما على النَّاس إلاَّ أن يتوبوا ويؤمنوا أنَّ ذلك حاصل لا محالة، وحينما وجد اليهود أنَّ عيسى عليه السلام قد فضح رياءهم ووجلهم وبعدهم عن الشريعة قرروا الإمساك به ومحاكمته بدعوى الكذب والادعاء الباطل، فتم لهم ذلك وحكموا عليه بالصلب، إلاَّ أنَّ الله جلَّ جلاله قضى بسلامته ورفعه إلى السَّماء[3]، وإلى هذا فقد أشار القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[4].

فقال الابن الأكبر: وكيف بشَّر عيسى بن مريم عليه السلام بظهور الإمام الحجَّة عليه السلام؟

---

(١) إنجيل لوقا: ٢٣/١٤.

(٢) إنجيل مرقس: ١/١٤ و١٥.

(٣) تقول بعض الرِّوايات أنَّه عليه السلام صلب ومات فأحياه الله تعالى بعد صلبه ورفعه إلى السَّماء، وهو حي يرزق إلى آخر الزَّمان. وهذا ما تعرضنا له في كتابنا هذا.

(٤) سورة النِّساء: الآية: ١٥٧.

فقال الأب: ذكرت لكم كيف أشار عيسى عليه السلام بحديثه لليهود إلى الدولة التي سيحين وقتها والتي أسماها ملكوت الله، وهي تعني الدولة التي سيقيمها المهدي من آل محمَّد عليهم السلام، وقد جاء ذكر هذه الدولة في عدَّة أقوال لعيسى عليه السلام فمرَّة أسماها ملكوت الله، وأخرى أسماها دولة الله وأخرى حكم الله، وكل هذه التسميات يشار بها إلى الدولة التي ستكون في آخر الزَّمان والتي عنيت بقوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[2].

الابن الأكبر: وهل أشار النبي عيسى عليه السلام إلى الإمام الحجَّة المنتظر عليه السلام صراحة أم ماذا؟

فقال الأب: لم تكن الإشارة صريحة بالاسم، وإنَّما كناه بابن الإنسان، وهذا التعبير بالإضافة إلى ما يحمل من البساطة فهو يحمل في خفاياه وطياته معاني جمَّة للأصالة والنقاء.

فقال الابن الأوسط: وما كانت أقوال النبي عيسى عليه السلام في الإمام يا أبي؟

الأب: حينما تحدث النبي عيسى عليه السلام عن الدولة التي سيقيمها الإمام في آخر الزَّمان والتي رمز إليها بملكوت الله، فقد تحدث أيضاً عن ابن الإنسان هذا الذي يقيمها، وكرد على من ادعى بكون القائم هو عيسى بن مريم فقد نفى عيسى عن نفسه ذلك بقوله: «أنا لا أطلب مجدي فهناك من يطلبه ويحكم»[3].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية: ١٠٥.

(٢) سورة القصص: الآية: ٥.

(٣) إنجيل يوحنا: ١٢/١٦.

وفي قول آخر للنبي عيسى عليه السلام يقول فيه: الحق أقول لكم، من الحاضرين هٰهنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته[1].

فلو كان المسيح عيسى عليه السلام هو ابن الإنسان لما خاطب الحاضرين بقوله: من الحاضرين هٰهنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ابن الإنسان آتياً في ملكوته.

وابن الإنسان هذا الذي سيحكم الدولة هذه بعد أن يقيمها إن كان غير عيسى عليه السلام، فقد ذكره نبينا المصطفىٰ محمَّد صلى الله عليه وآله في أحاديثه التي سبق وأن ذكرنا بعضها بكونه المهدي من آل الرَّسول صلى الله عليه وآله ومن ولد فاطمة عليها السلام، وهو ابن الحسن العسكري عليه السلام والإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم وعلى جدهم المصطفىٰ صلاة الله تعالى وسلامه.

فقال الابن الأكبر: ولكن يا أبي لم يبق من أنصار عيسى عليه السلام أحداً حتى الآن، ناهيك عن آخر الزَّمان، فكيف يقول لهم: من الحاضرين هٰهنا من لا يذوقون الموت حتى يشاهدوا ابن الإنسان...؟

فقال الأب والابتسامة ظاهرة على شفتيه فرحاً بذكاء ابنه وفطنته: لو راجعت قوله عليه السلام بأناة أكبر ولوجدته عليه السلام قال لهم: من الحاضرين هٰهنا... الخ آخر حديثه، أليس كذلك؟

قال الابن الأكبر: نعم يا أبي.

فقال الأب: ألم يكن عيسى عليه السلام من الحاضرين ساعتها؟

---

(١) إنجيل متى: ١٦/١٣ و٢٨.

قال الابن الأكبر: نعم يا أبي حاضراً، وهو المعني بالمشاهدة وليس غيره.

فابتسم الأب لكون ابنه قد أدرك ذلك قبل أن يوضحه له أكثر، ثم قال الأب: لم تكن بشارة عيسى عليه السلام بالمهدي (ابن الإنسان) لاتباعه فحسب، وإنَّما كانت للجميع، لكل من في القرى والمدن، لليهود من بني إسرائيل وللمسيحيين (النصارى)، فمن قول له عليه السلام: «يجب عليَّ أن أبشر سائر المدن أيضاً بملكوت الله فإني لهذا أرسلت»[1]، وقال أيضاً عليه السلام: «من أراد أن يتبعني فليزهد في نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، لأنَّ الذي يريد أن يخلص حياته يفقدها، وأمَّا الذي يفقد حياته في سبيلي وسبيل البشارة فإنَّه يخلصها»[2]، وقال لتلاميذه يوماً: «يجب أن تعلن البشارة قبل ذلك إلى جميع الأُمم»[3].

الابن الأكبر: وهل تحدث النبي عيسى عليه السلام عن علائم ملكوت الله، أو دولة الإمام المهدي عليه السلام؟

فقال الأب: سأله تلاميذه فأجابهم عنها، ومن بين هذه العلائم قال عليه السلام: «وستسمعون بالحروب وبإشاعات عن الحروب، فإيَّاكم أن تفزعوا، فلابدَّ من حدوث ذلك، وقال عليه السلام أيضاً: «ويزداد الإثم، فتفتر المحبة في أكثر النَّاس»، وقال المسيح عليه السلام أيضاً: وعلى أثر الشدة في تلك الأيام تظم الشمس، والقمر لا يرسل ضوءه»، وقال عليه السلام: وتظهر عندئذٍ في السَّماء آية ابن الإنسان».

---

(١) إنجيل لوقا: ٤/٤٢ و٤٣.

(٢) إنجيل مرقس: ٨/٣٤ و٣٥.

(٣) إنجيل مرقس: ١٣/٩ و١٠.

فقال الابن الأكبر: أيعني به يا أبي الصوت الذي ينادي بالمهدي واسمه واسم أبيه؟

فقال الأب: حتماً هو ذلك يا ولدي، ثم قال الأب: وحينما سئل عن وقت ذلك قال عليه السلام: «لا يأتي ملكوت الله على وجه يراقب»[1].

فقال الابن الأوسط: وهل ذكر علامات غير التي ذكرتها يا أبي؟

فقال الأب: نعم يا ولدي ومنها قوله عليه السلام: «ستقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، ويحدث زلازل شديدة، وأوبئة، ومجاعات في أماكن كثيرة، وستحدث أيضاً مخاوف تأتي من السَّماء، وعلامات عظيمة»[2].

وقال عليه السلام: «ومتى ابتدأت هذه فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم لأنَّ نجاتكم تقترب»[3].

ثم قال الأب متابعاً حديثه بالقول: ومما يروى يا أبنائي وإن كنت قد ذكرت لكم ذلك أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام يصلي خلف الإمام المهدي عليه السلام.

فقال الابن الأكبر: إنَّ عيسى بن مريم نبي، والإمام الحجَّة عليه السلام إمام يا أبي، فهل توضح لنا كيف يحصل ذلك؟

فقال الأب: هناك حديث مروي عن جابر بن عبد الله

---

(١) إنجيل لوقا: ١٧/ ٢٠.
(٢) إنجيل لوقا: ٢١/ ٩ و١١.
(٣) إنجيل لوقا: ٢١/ ٢٥ و٢٨.

الأنصاري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة[1].

ومن حديث آخر لرسول الله ﷺ روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم»[2].

وفي رواية أخرى عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «...فيلتفت المهدي وقد نزل عيسى عليه السلام كأنما يقطر من شعره الماء، فيقول المهدي: تقدم صلِّ بالنَّاس، فيقول عيسى: إنَّما أقيمت الصلاة لك، فيصلي عيسى خلف رجل من ولدي، فإذا صليت قام عيسى حتى جلس في المقام فيبايعه فيمكث أربعين سنة[3].

وقال رسول الله ﷺ: «منَّا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه»[4].

ثم قال الأب: هكذا أكرم الله تعالى مهدي آل محمَّد ﷺ، فقد شاءت حكمته جلَّ جلاله أن يجعل الفرج والخلاص على يديه، وأن يقيم دولة الإسلام التي تقيم الحق والعدل والتوحيد كما أراده الله تعالى أن يعم هذه الأرض، بعد أن تلوثها الأطماع وتدنسها الرذيلة، ويعمها الظلم والفجور والجور.

---

(١) صحيح مسلم: ج٤، ص٢٠٥، وج٣، الحديث ١٩٢٣. وصحيح ابن حبان: ج٨، الحديث ٦٦٨٠. وسنن البيهقي: ج٩، ص٣٩. والتهذيب: لابن عساكر: ج٤، ص٣٥٧.

(٢) صحيح مسلم: ج١، ص١٣٦. وصحيح البخاري: ج٤، ص٢٠٥.

(٣) عقد الدرر: ص١٨. وابن حجر في الصواعق المحرقة: ص١٦٤.

(٤) كنز العمال: ج١٤، ص٢٢٦. والجامع الصغير: ج٢، ص٥٤٦.

فقال الابن الأكبر: اللَّهمَّ أنت الخلاَّق العظيم، وأنت الرَّحمٰن الرحيم، اللَّهمَّ قد عظم البلاء، فارحمنا بفرج منك على يد وليك، ووصي وصي رسولك، وخليفتك في أرضك، اللَّهمَّ طيب قلوب عبيدك المؤمنين بفرج من عندك، وارحمهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

فقال الأب: جزاك الله يا ولدي خيراً، وأقرَّ عيني بك وبإخوانك في الدُّنيا والآخرة.

الفهرس

الإمام الهادي
علي بن محمد بن موسى عليهم السلام

التمهيد ٧
اليوم الأول: ولادة الإمام الهادي (ع) وأسماؤه ونسبه ١٤
اليوم الثاني: تحوله (ع) من المدينة إلى سر من رأى ٢٣
اليوم الثالث: ما روي عن الإمام علي الهادي (ع) من أحاديث ٣٤
اليوم الرابع: ما روي عنه (ع) من أدعية وزيارات ٤٥
اليوم الخامس: من فضائل الإمام علي الهادي (ع) ٥٤
اليوم السادس: مناقب الإمام علي الهادي (ع) ٦٣
اليوم السابع: خصائص الإمام الهادي (ع) ٧٢
اليوم الثامن: شهادته (ع) وأولاده ٧٩

الإمام العسكري
الحسن بن علي بن محمد عليهم السلام

التمهيد ٨٧
اليوم الأول: ولادة الإمام الحسن العسكري (ع) وتسميته ونسبه .. ٩٦

اليوم الثاني: فضائل الحسن العسكري (ع) بشهادة مبغض ١٠٦
اليوم الثالث: مناقب الإمام الحسن العسكري (ع) ١١٥
اليوم الرابع: ما روي عن الإمام الحسن العسكري (ع) ١٢٧
اليوم الخامس: شهادة الإمام العسكري (ع) ١٣٥

الإمام الحجة المنتظر
ابن الحسن بن علي عليهم السلام

التمهيد ١٤٣
اليوم الأول: المسلمون والمهدي (ع) ١٥٤
اليوم الثاني: هل يعد طول العمر عقبة لصحة فكرة المهدي (ع) ١٦٢
اليوم الثالث: من هو الإمام الحجة المنتظر (ع) ١٧٣
اليوم الرابع: وشهد شاهد من أهلها ١٨٦
اليوم الخامس: العلة في قضاء الله تعالى بغيبة المنتظر (ع) ١٩٤
اليوم السادس: أوان امتلاء الأرض قسطاً وعدلاً ٢٠٤
اليماني: ٢٠٨
السفياني: ٢٠٨
الدابة: ٢١٠
ذو النفس الزكية: ٢١١
الخسف بالبيداء: ٢١٢
اليوم السابع: المسلم والإيمان ٢١٧
اليوم الثامن: بشارة عيسى (ع) بالمهدي (ع) ٢٢٧
الفهرس ٢٣٩